- محاضرة لاهور
- الإسلام (محاضرة سيالكوت)
- محاضرة لدهيانه
- ينبوع المسيحية
- آريو قاديان ونحن
- ما هو الفرق بين الأحمدي وغير الأحمدي؟

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أسماء كتب هذا المجلد: محاضرة لاهور، الإسلام (محاضرة سيالكوت)، محاضرة لدهيانه، ينبوع المسيحية، آريو قاديان ونحن، ما هو الفرق بين الأحمدي وغير الأحمدي؟

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ الموافق لـ ٢٠٢٠م

An Arabic rendering of

Lecture Lahore, Islam (Lecture Sialkot), Lecture Ludhiana, Chashma-e-Maseehi, Qadian Kei Arya Aur Ham, Ahmadi Aur Ghair-Ahmadi Mein Kyaa Farq Hai?

Written by: Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya Muslim Community

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Published in UK in 2020

Published by:
Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
Fax: +44 1252 821796

www.alislam.org
www.islamahamadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-803-4

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدم للقارئ العربي الكريم الترجمة العربية لستة من كتب المسيح الموعود عليه السلام من المجلد العشرين من سلسلة الخزائن الروحانية[1]، وقد ألّفها حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام بيده الشريفة في أربعة أعوام، بدءا من الثلث الأخير من عام ١٩٠٤م إلى أوائل عام ١٩٠٧م. وهي كالآتي:

محاضرة لاهور، الإسلام (محاضرة سيالكوت)، محاضرة لدهيانه، ينبوع المسيحية، آريو قاديان ونحن، ما هو الفرق بين الأحمدي وغير الأحمدي؟

محاضرة لاهور

هذا الكتاب في أصله محاضرة لسيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام حول الإسلام والأديان الأخرى، قرأها الصحابي الجليل حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه في ١٩٠٤/٩/٣م في لاهور في اجتماع حاشد ضم جمعًا غفيرا من كل دين وملة ومن شتى الفئات، تطرَّق خلالها حضرته عليه السلام إلى طرح معارف دقيقة ونكات قرآنية عميقة بأسلوب يخلب الألباب، مبينا فضل الإسلام على سائر الأديان. فقد رأى حضرته عليه السلام هذه المحاضرة فرصة سانحة لبيان مزايا الإسلام مقابل ما سواه من الأديان، وكذلك للتدليل على صدق ادعائه بكونه المسيح الموعود والإمام المهدي، كل ذلك بأسلوب متحضر ينأى

[1] علمًا أن هذا المجلد في أصله يتضمن أربعة كتب أخرى أيضا وقد سبق أن طبعت منفصلة، وهي: تذكرة الشهادتين، سيرة الأبدال، الوصية والتجليات الإلهية. (المترجم)

عن المناظرات التي قد يغلب عليها طابع التحدي والتي قد تثير عواطف الكراهية والنفور عند من لا يقبل الحق من الفريقين. وما إن يستهل القارئ الكريم هذا الكتاب حتى يلفت نظره أمر على صفحة الغلاف، وهو التقريظ الواضح من الأغيار، ولو بشكل غير مباشر، إذ حظيت هذه المحاضرة بتقريظ من علماء المسلمين ورجالاتهم، من غير الأحمديين؛ فقد نشرها باسم "أنجمن فرقانية لاهور" السيدُ ميانْ معراج الدين عمر السكرتير العام "لأنجمن حماية الإسلام" وهي هيئة أسسها كبار رجالات المسلمين لرعاية مصالح المسلمين في الهند، والسيدُ حكيم شيخ نور محمد منشي عالم، صاحب مطبّ "همدم صحت" لاهور. وينبغي التذكر هنا أن ذلك كان في عام ١٩٠٤، حين كانت معارضة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وجماعته على أشدها، غير أن العقلاء من المسلمين غير الأحمديين لم يجدوا بدا من الاعتراف بتفرد المسيح الموعود عليه السلام في مضمار الذود عن حياض الإسلام والنبي العدنان صلى الله عليه وسلم.

لقد حظيت هذه المحاضرة بحضور حاشد، فقد ذكرت تقارير جريدتي "أخبار عام" و"بنجه فولاد" أنَّ عدد الحضور فيها كان ينوف على عشرة آلاف أو اثني عشر ألفا.

الإسلام (محاضرة سيالكوت)

في طريق إيابه من لاهور، وبعد محاضرته آنفة الذكر، مرّ سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بمدينة سيالكوت في ١٩٠٤/١٠/٢٧، فنزل بها بعد إلحاح على أبناء جماعته، وحرر إذَّاك محاضرة ألقاها على مسامع الحاضرين حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه في اجتماع حاشد في ١٩٠٤/١١/٢م، وكانت من حيث مضمونها إكمالا لمضمون محاضرة لاهور، إذ تناول فيها حضرته عليه السلام مزايا الإسلام، وإثبات ادعاء حضرته بكونه المسيح الموعود والإمام المهدي. وكان المشايخ في سيالكوت يثيرون الأكاذيب كعادتهم

سلفا للحيلولة دون استقبال الناس حضرتَه، غير أن الله تعالى أحبط كيدهم، وحضر لاستقباله عليه السلام عند محطة القطار ألوف مؤلفة.

محاضرة لدهيانه

كانت لُدهيانة مركزا مهما للتبشير المسيحي في البنجاب، وكانت الخطط تحاك فيها للانطلاق إلى جميع أنحاء البنجاب لتنصير المسلمين خاصة، وقد ارتبطت بها نبوءة عظيمة للنبي ﷺ الذي قال إن المسيح سيقتل الدجال في "باب لُد" (مسند أحمد، أبو داود، ابن ماجة)، ومن العجيب أن لُدهيانه مركَّبة من كلمتين بالبنجابية وهما "لُد" و"دهيانه" ومعنى دهيانه هو الباب أو البوابة، وقد شاء الله تعالى أن تؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية في تلك المدينة؛ إذ أخذ المسيح الموعود عليه السلام البيعة الأولى هناك في منــزل الصوفي أحمد جان المرحوم في عام ١٨٨٩م.

تُعَدّ هذه المحاضرة حلقة من حلقات إتمام الحجة، وإمعانا في الإثبات والتدليل على صدق دعوى حضرته عليه السلام مقابل دجل وتكذيب المشايخ المعارضين.

لقد ألقى المسيح الموعود عليه السلام هذه المحاضرة في ١٩٠٥/١١/٤م، غير أنها نُشرت مكتوبة لأول مرة على حلقات في أعداد جريدة "الحكم" من ١٩٠٦/٩/١٠م إلى ١٩٠٦/١١/٣٠م.

ينبوع المسيحية

ألف حضرته عليه السلام هذا الكتيب في ١٩٠٦/٣/٩م، وهو إلى حد ما كالكتيب السابق من حيث دواعي التأليف، إذ يتضمن توضيحا للمصادر التي جاءت منها المسيحية وعقائدها، ويتضمن تصحيحا لسوء فهم عام يقع فيه أغلب المسلمين جراء الضلالات التي كان يثيرها المُنَصِّرون وما زالوا، في إطار سعيهم الحثيث إلى نقض بنيان الإسلام العظيم، والنيل من شرف نبينا

الكريم ﷺ، إذ نشر أحد المؤلفين المسيحيين كتابا بعنوان "مصادر الإسلام" حوى فيما حواه من الأكاذيب والأضاليل الشيءَ الكثير وهاجم فيه شخصَ النبي ﷺ وأساء إليه، وادعى بحسب زعمه أن النبي ﷺ قد جاء بالإسلام من المسيحية المحرَّفة أو المهرطقة أو الفاسدة السائدة في الشرق آنذاك، وغير ذلك من المصادر والمعتقدات التي كانت سائدة في بلاد العرب في ذلك الوقت. وقد أرسل أحد المسلمين من سكان مدينة "بانس بريلي" رسالة إلى حضرته يشير فيها إلى ما حاق بالإسلام من ضرر بعد قراءة الكتاب المذكور. ولكن أنى لغير المسيح الموعود عليه السلام أن يكف بأس هؤلاء؟!

وفي هذا الكتيب ألقى حضرته الضوء على عدة أمور، منها أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قد جاء بالدين الحق من الله تعالى، وأنه عليه السلام لا يفند عقيدة المسيح الناصري عليه السلام ولا يتعرض له، بل يجلُّه ويحترمه ويكرمه ويؤمن به، وإنما يفند عقيدة المسيحيين المعاصرين المشوهة والمختلفة عن دين المسيح الناصري كل الاختلاف، وأن شخصية يسوع الإنجيلي كما يقدِّمها الإنجيل لا علاقة له بالمسيح الناصري عليه السلام النبي الصادق المكرم. لذلك بيَّن أن كل ما ذكره مما قد لا يليق بشأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إنما هو من باب إلزام الخصم بما يقول، وأن الاتهامات والشبهات التي أثارها صاحب كتاب "مصادر الإسلام"، إنما أثار اليهود ما يماثلها ضد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

ثم ألقى حضرته عليه السلام بيانا مفصلا حول ماهية الحرب التي تدور في آخر الزمان ويتمخض عنها ظهور الحق، نافيا أن تكون حربا وفق التصور التقليدي الساذج، فليست حربا بسلاح مادي، بل هي حرب بسلاح القلم والكلمة.

آريّو قاديان ونحن

لقد ألّف حضرته عليه السلام هذا الكتيب في ١٩٠٧/٢/٢٠م، وتحدث فيه عن أهل قاديان من الهندوس من فرقة الآريا، الذين حظوا أكثر من غيرهم بفرصة

الاطلاع على أدلة صدق حضرته ، حتى إن بعضهم كان يلتمس من حضرته الدعاء إذا ما أَلَمَّ به خطب. وفي ثنايا مواضيع هذا الكتيب تطرق حضرته إلى ذكر نبوءات عظيمة كنبوءة هلاك "آتهم" ونبوءة هلاك "ليكهرام". كذلك ألقى حضرته الضوء على لطائف معرفية كموضوع "الملائكة"، إضافة إلى دحض عقيدة التناسخ الواهية لدى الآريا. فمضمون هذا الكتيب يتلخص في أن حجة الله قد تمت على الآريين المقيمين في قاديان، وخاصة على الآريينِ الشاهديْن عيانا على كثير من الآيات والنبوءات، وهما الشقيقان "لاله شرمبت" و"لاله ملاوا مل". وبصدد النبوءات المتحققة يسرد حضرته في هذا الكتيب جملة من النبوءات التي عاينها آريو قاديان، وبالأخص هذان المذكوران.

ما هو الفرق بين الأحمدي وغير الأحمدي؟!

هذا الكتيب في أصله خطاب ألقاه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود في جمع من الإخوة المسلمين الأحمديين، بتاريخ ١٩٠٥/١٢/٢٧م في المسجد الأقصى في قاديان بعد صلاتي الظهر والعصر، وكانت الضرورة قد دعت حضرته إلى إلقاء هذا الخطاب تصحيحا لسوء فهم وقع فيه أحد الإخوة، ويتلخص في اختصار الفرق بين المسلم الأحمدي وغيره من المسلمين في مسألة وفاة المسيح الناصري ولا أكثر من ذلك من حيث المبدأ. فلما كان هذا القول لا يوضّح الهدف الحقيقي من وراء تأسيس هذه الجماعة بل كان الأمر يبدو مشتبها فيه وضعيفا، فكان ضروريا أن يقوِّمه حضرته . وكان هذا الخطاب الذي ألقاه حضرته على الرغم من اعتلال صحته، بيانا حقيقيا واضحا للفرق بين المسلم الأحمدي وغيره. ولا شك أن سوء الفهم ذاك يتكرر عادة، لا سيما مع إقبال مبايعين كل حين، بحيث تتضح أهمية مضمون هذا الكتيب للمبايعين الجدد وللأجيال المتلاحقة أيضا.

لقد كان شرف ترجمة هذا المجلد من نصيب الداعية عبد المجيد عامر، كما أسهم في مراجعته وإخراجه عدد من الإخوة الكرام والأساتذة الأفاضل، ونخص بالذكر السيد خالد عزام، والدكتور وسام البراقي، والسيد سامح مصطفى، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

لقد بذلنا أقصى جهدنا لِتكون الترجمة أقرب إلى النص الأردي، ومع ذلك لا نبرئ أنفسنا من ضعف فيها. وندعو الله تعالى أن يوفقنا لبذل جهد أكبر في الطبعات القادمة لتحقيق مزيد من الدقة.

نسأل الله تعالى أن يوفق القارئ الكريم للاستفادة مما يحويه هذا المجلد من علوم ومعارف، وأن يجعله سببا لهداية الباحثين عن صراط الله المستقيم، آمين.

الناشر

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

ٹائیٹل بار اول

فِیہِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

محمدؐ است امام و چراغ ہر دو جہاں — محمدؐ است فروزندۂ زمین و زماں
خدا نگویمش از ترس حق مگر بخدا — خدا نما ست وجودش برائے عالمیاں

اِسلام اَور اِس مُلک کے دُوسرے مَذاہب

پر

حضرت مجدد الوقت امام الزمان مسیح موعود جناب میرزا غلام احمد صاحب

رئیس قادیان کا لیکچر

جو ۳ ستمبر ۱۹۰۴ء کو بمقام لاہور ایک عظیم الشان جلسہ میں پڑھا گیا

اور جسکو

انجمن فرقانیہ لاہور کیلئے

میاں معراج الدین عمر جنرل کنٹریکٹر و سکرٹری انجمن مذکور و حکیم شیخ نور محمد

منشی عالم مالک ہمدم صحت لاہور

نے

رفاہ عام سٹیم پریس لاہور میں خلق اللہ کے فائدہ کیلئے چھپوا کر

شائع کیا

ترجمة صفحة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

فيه شفاءٌ للناس

(ترجمة بيتين فارسيين):

محمد ﷺ إمامٌ وسراجٌ للعالَمين، محمد ﷺ ينور المكان والزمان

لا أسميه إلـــهًا خشية لله، ولكن والله وجودُه يُري الناسَ وجهَ الله عيانا

محاضرة حضرة مجدد العصر وإمام الزمان،

المسيح الموعود ميرزا غلام أحمد، زعيم قاديان

حول

الإسلام والأديان الأخرى في هذا البلد

قُرئت في ١٩٠٤/٩/٣م في اجتماع حاشد في لاهور

ونشرها **لفائدة خلق الله** باسم **"أنجمن فرقانية لاهور"** السيدُ ميانْ معراج الدين عمر المتعاهد العام والسكرتير "للأنجمن"، والسيدُ حكيم شيخ نور محمد منشي عالم، صاحب مطب "همدم صحت" لاهور

في مطبعة ستيم "رفاه عام" لاهور،

لقد علمت اليوم بقراءة جريدة "بيسه أخبار" العدد ٢٧ آب ١٩٠٤م أن شخصا يُدعى حكيم مرزا محمود الإيراني يقيم في لاهور ويؤيد شخصا يدّعي أنه المسيح، ويريد أن يبارزني. ولكني متأسف أسفا شديدا أني لا أستطيع أن أقبل طلبه هذا لضيق الوقت الشديد عندي؛ فهناك اجتماع غدا، يوم السبت، وسأكون مشغولا فيه. وفي الصباح الباكر يوم الأحد عليّ أن أسافر إلى غورداسبور للمثول أمام المحكمة لقضية مرفوعة هناك. أنا مقيم في لاهور منذ ١٢ يوما تقريبا ولم يطلب مني أحد شيئا كهذا، ولا أعرف ما المقصود والهدف من تقديم هذا الطلب في وقت غير مناسب حين صرتُ على وشك السفر ولا أجد دقيقة فراغ واحدة لشغل آخر. ولكني أقترح طريقا سديدا آخر لحكيم مرزا محمود من أجل تصفية الأمور، وهو أن ينشر مدير جريدة "بيسه أخبار" في جريدته بنصه وفصه مقالي الذي سيُقرأ في الاجتماع غدا في ٣ أيلول. وأرجو من السيد حكيم المذكور أن ينشر أيضا بالمقابل مقالاً له في الجريدة نفسها. وبقراءة المقالين سيحكم الناس بأنفسهم مَن كان مقاله مبنيا على الصدق والحق والحجج القوية، ومن كان مقاله من سقطِ المتاع. في رأيي أن هذا الطريق للحكم أحوط وأسلم من النتائج السيئة التي تسفر عنها معظم المناظرات في هذه الأيام.

وما دام الكلام هنا ليس موجها إلى "حكيم" المذكور ولا يتناول ذكره؛ فلا بد أن يكون هذا المقال أسمى من الخصومات التي تنجم أحيانا عن المناظرات. والسلام. منه.

الراقم ميرزا غلام أحمد القادياني

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم

أولا[١] وقبل كل شيء أشكر الله الذي وهب لنا ملاذا في كنف حكومة مسالمة لا تمنعنا من نشر ديننا، وتزيح بعدلها وإنصافها كل شوكة من سبيلنا، فبعد شكر الله تعالى نشكر هذه الحكومة.

أما بعد، فيا أيها المستمعون الكرام، أريد أن أقول الآن شيئا عن الأديان الموجودة في هذه البلاد مراعيًا قدر استطاعتي الأدبَ واللباقة والتحضر أثناء الحديث. غير أنني أعرف أنه يشق على طبائع بعض الناس سماع الحقائق التي تعارض دينهم ومعتقداتهم، فليس بوسعي أن أزيل عواطف الكراهية الفطرية لديهم. على أية حال، أعتذر من الجميع حتى عند بيان الحق.

أيها الحضور الكرام، لقد علمتُ بعد تدبر طويل وبعد الوحي الإلهي الذي نزل عليّ بالتواتر أنه مع وجود فِرق كثيرة في هذه البلاد وخلافات دينية كارتجاس السيل، إلا أن الأمر الذي يسبب الخلافات أكثر من غيره في الحقيقة إنما هو تلاشي القوة الروحانية وتقوى الله من قلوب معظم الناس. فقد تلاشى تقريبًا من قلوب كثيرة النورُ السماوي الذي يستطيع الإنسان أن يميز به بين الحق والباطل. الدنيا لا تزال تتصبغ بصبغة الإلحاد رويدا رويدا، فهم يردِّدون كلمة الإله والرب باللسان وتتفاقم في القلوب أفكار الإلحاد شيئا فشيئا.

والشاهد على ذلك أن الحالة العملية ليست على ما يرام؛ فيقال باللسان ما لا يُنفَّذ عمليا. أما إذا كان أحد صالحا باطنيا فلا أهاجمه أبدا، أما الحالة التي

---

[١] لقد قرئت هذه المحاضرة أمام حشد كبير في لاهور في ١٩٠٤/٩/٣م ضم جمعا غفيرا من كل دين وملة ومن كل فئة من الناس. وبحسب تقارير جريدة "أخبار عام" و"بنجه فولاد" كان عدد الحضور يربو على عشرة آلاف أو اثني عشر ألفا، يضاف إليهم المستمعون الذين كانوا واقفين خارج مكان الاجتماع. (نقلا عن حاشية محاضرة لاهور الطبعة الثانية). (الناشر)

تتراءى للعيان بوجه عام فهي فقدان الهدف الذي بسببه جُعل الإنسان ملزَما بالدين. معظم الناس ليسوا منتبهين إلى طهارة القلب الحقيقية، وحب الله الخالص ومواساة خلقه الصادقة والحِلمِ والرحم والعدلِ والتواضع والأخلاق الطيبة الأخرى مثل التقوى والطهارة والصدق الذي هو روح كل دين. من المؤسف حقا أن الحروب والخصومات الدينية في الدنيا تزداد يوما بعد يوم، والروحانية تتضاءل. الهدف الحقيقي من الدين هو معرفةُ الإله الحق الذي خلق هذا العالَم كله، والوصولُ في حبه إلى درجة تحرق حب غيره تماما، ثم مواساةُ خلقه ﷻ، وارتداءُ لباس التزكية الحقيقية. ولكني أرى أن هذا الهدف قد ضُرب به عُرض الحائط في العصر الراهن، وأن معظم الناس متمسكون بفرع من فروع الإلحاد، وقد اضمحلّتْ معرفة الله تعالى كثيرا. لذلك تزداد على الأرض الجرأة على اقتراف الذنوب يوما بعد يوم؛ فمن البديهي تماما أن الإنسان لا يُكِنُّ في قلبه التقديرَ والحبَ والخوفَ لما يجهل، بل تنشأ كافة أسباب الخوف والحب والتقدير بعد المعرفة. فيتبيّن من ذلك بوضوح تام أن سبب كثرة الذنوب في الدنيا في العصر الراهن عائد إلى قلة المعرفة. ومن العلامات العظيمة للدين الحق أن تكثرَ فيه أسباب معرفة الله تعالى حتى يمتنع الإنسان عن الذنوب، وينال نصيبا من حب الله تعالى وعشقه الكامل بعد الاطلاع على حسنه ﷻ وجماله، ولكي يعتبر حالة انقطاع العلاقة به ﷻ أسوأ من جهنم. الحق أن التخلصَ من الذنوب والفناءَ في حب الله تعالى هو الغاية العظمى للإنسان، وهذه هي الراحة الحقيقية التي يمكننا أن نعبّر عنها بحياة الجنة. الأماني التي تنافي مرضاة الله كلها نار جهنم، وبذل العيش في اتباعها ليس إلا حياة جهنمية.

ولكن السؤال هنا هو: كيف يمكن التخلص من هذه الحياة الجهنمية؟

العلم الذي وهبني إياه الله تعالى للرد على هذا السؤال هو أن النجاة من هذه الجحيم مقتصرة على معرفة الله الحقيقية والكاملة، لأن الأهواء النفسية التي تجذب الإنسان إنما هي بمنـــزلة سيل عارمٍ وكامل يرْتَجِسُ بشدة متناهية لتدمير الإيمان. وإن القضاء على كاملٍ؛ لا يمكن إلا بواسطة كاملٍ لذلك هناك حاجة

إلى المعرفة الكاملة للحصول على النجاة، كما يقول المثل: الحديد بالحديد يُفلَح. لا حاجة إلى بيان أدلة كثيرة على أن التقدير والحب والخوف أمور تتأتى بالمعرفة فقط. فمثلا لو أعطي الطفلُ حجرا كريما يقدَّر ثمنه بالبلايين فلن يقدّره أكثر من تقديره ألعوبةً. كذلك لو دُس السم في العسل لشخص على حين غرة منه؛ لتناوله بكل شوق دون أن يدرك أن في ذلك هلاكه لأنه ليست لديه معرفة بذلك العسل. ولكنكم لن تدخلوا يدكم في جحر الأفعى عمدا لعلمكم أن في ذلك خطر الموت، كذلك لا يمكن أن تتناولوا سُمًا زعافا وأنتم مدركوه، لأنكم تعرفون أنكم بتناوله ستموتون؛ فلماذا إذن لا تعيرون اهتماما للموت الذي يدرككم نتيجة عصيانكم أوامر الله تعالى؟ واضح أن سبب ذلك يعود إلى خُلُوِّكم من معرفةٍ كمعرفتكم الأفعى والسم.

من المؤكد تماما أنه لا يمكن لمنطق أن ينقض مبدأً، وهو أن المعرفة التامة تمنع الإنسان من اقتراف كافة الأعمال التي تشكل خطرا على حياته وماله. والإنسان ليس بحاجة إلى أية كفارة ليمتنعَ عنها. أليس صحيحا أن الأشرار الذين دأبوا على الإجرام يمتنعون عن ألوف الأنواع من أهواء النفس التي يوقنون بأنها ستجعلهم يؤخذون بالجرم المشهود ويعاقبون عقابا شديدا إن اقترفوها؟ ترون أنه لا أحدَ يجرؤ في وضح النهار على نهب محل فيه آلاف الروبيات بصورة مكشوفة عندما يحرس الطريق إليها عشرات رجال الشرطة المدججين بالأسلحة. فهل يمتنع الناس عن السرقة أو السلب بفعل إيمانهم القوي بكفارةٍ أو نتيجة رُعب عقيدة الصلب في قلوبهم؟ كلا، بل لأنهم يعرفون رجال الشرطة بزيِّهم الأسود، ولمعانُ سيوفهم يُرعب قلوبهم، وهم يعرفون معرفة تامة بأنهم لو أطالوا أيديهم لقُبض عليهم ولأُدخلوا السجن فورا. علما أن الدواب أيضا تعمل وفق هذا المبدأ نفسه فضلا عن الناس؛ فالأسد الضاري لا يمكن أن يلقي بنفسه في نار مضطرمة وإن وُجد بجانبها الآخر صيدٌ له. كما لن يهاجم ذئبٌ شاةً يحرسها صاحبها ببندقية معبّأَة أو سيف مسلول.

فيا أيها الأحبة، إنها لفلسفة صادقة جدا ومجرَّبة أن الإنسان يحتاج إلى المعرفة التامة وليس إلى كفارة من أجل التخلص من الذنوب. الحق والحق أقول، إنه لو كان قوم نوح عليه السلام قد حازوا على معرفة تامة تخلق خوفا كاملا؛ لما غرقوا أبدا. ولو أُعطي قوم لوط عليه السلام تلك المعرفة لما أُمطروا بالحجارة. ولو أُعطي أهل هذا البلد معرفة الله التي ترتجف منها القلوب؛ لما حل بهم الدمار الذي حل نتيجة الطاعون. والمعرفة الناقصة لا تُجدي نفعا ولا تسفر عن نتيجة كاملة مفادها الخوف أو الحب. لا جدوى من الإيمان الذي ليس كاملا. ولا طائل من وراء الحب الذي ليس كاملا، ولا فائدة من الخوف الذي ليس كاملا، كذلك لا فائدة من المعرفة التي ليست كاملة. وكل طعام وشراب ليس كاملا فهو عديم الجدوى. هل يمكن أن تشبعوا بحبة واحدة وأنتم جياع؟ أو هل يمكن أن يخمد عطشكم بقطرة ماء واحدة؟

فيا ذوي الهمم المهيضة، ويا أيها الكسالى في طلب الحق؛ أنّى لكم أن تتوقعوا فضل الله العظيم مع معرفة بسيطة، ومع حب وخوف قليل؟ التطهير من الذنوب إنما هو فعل الله. وإن ملء القلوب بحبه هو فعل ذلك القادر القوي. وإن ترسيخ عظمته وخشيته في قلبٍ يعود إلى إرادته هو سبحانه وتعالى. وإن قانون الطبيعة الجاري منذ القِدم هو أن كل هذه الأشياء تتأتّى بعد المعرفة الكاملة.

إن أصل الخوف والحب والتقدير هو المعرفة التامّة. فمن أُعطِي المعرفة التّامة فقد أُعطي الخشية والحب الكاملين أيضًا. وكلّ من أُعطي الخشية الكاملة والحب التامّ فقد نُجِّي من الذنب الناشئ عن التجاسر. نحن لا نعتمد لهذا الخلاص على أيّ دم، ولا نحتاج إلى أيّ صليب ولا إلى أية كفّارة، بل نحن بحاجة إلى تضحية واحدة، ألا وهي التضحية بنفوسنا التي تشعر فطرتنا بالحاجة إليها. وهذه التضحية تُدعى بتعبير آخر "الإسلام". والإسلام يعني تسليم العنق للذبح. أي وضع الروح على عتبة الله طوعًا وانصياعًا. هذا الاسم الجميل هو روح جميع الشرائع السماوية وجذر التعاليم ونواتها. إن تسليم العنق للذبح طوعا وبقناعة حقيقية يتطلب حبًّا كاملا، والحبُّ الكامل يتطلب معرفة كاملة.

وهكذا فإنّ كلمة الإسلام تُشير إلى أنّ التضحية الحقيقية تحتاج إلى معرفة كاملة وحبّ كامل وليس إلى شيء آخر. لقد أشار الله تعالى إلى هذا الأمر في القرآن الكريم فقال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُم﴾ [١]، لذا فاخشوني واتقوني.

اعلموا أن الهدف الحقيقي من وراء كافة أحكام الإسلام هو أن يصل الإنسان إلى الحقيقة الكامنة في لفظ "الإسلام". فمن هذا المنطلق قد وردت في القرآن الكريم تعاليم تهدف إلى تحبيب الله إلى النفوس، فحينا تُري حسنه وجماله ﷻ، وحينا آخر تذكّر بإحساناته؛ لأن حب أحد يترسّخ في القلب إما نتيجة حسنه أو بواسطة إحسانه. فقد ورد أن الله تعالى واحد لا شريك له من حيث صفاته الحسنة ولا عيب فيه، هو جامع لجميع الصفات الكاملة ومظهر لجميع القدرات المقدسة. هو مبدأ المخلوقات كلها، ومنبع جميع الفيوض، ومالك يوم الدين، ومرجع جميع الأمور. هو قريب مع كونه بعيدا، وهو بعيد مع كونه قريبا. هو فوق كل شيء ولكن لا يمكن القول بأن هناك مَن تحته. هو أخفى من كل شيء ومع ذلك لا يمكن القول بأن هناك شيء أكثر ظهورا منه. هو حيٌّ بذاته وكل شيء حيٌّ بسببه هو. إنه قائم بذاته وكل شيء آخر قائم به. إنه حاملُ كلِّ شيءٍ ولا شيء يحمله. ما من شيء خُلِق من تلقاء نفسه وبدونه ﷻ، أو يمكن أن يحيا بغيره ﷻ. هو محيط بكل شيء ولكن لا يمكن وصفُ تلك الإحاطة. هو نور السماء والأرض وما فيهما، وكل نور يلمع بقوة هو من نوره وظلٌّ لنوره هو ﷻ. هو رب العالمين، فما من روح لا تتربى بربوبيته، ولا هي قائمة بحد ذاتها. ما من قوة في روح من الأرواح لم تُستَمَدّ منه ﷻ أو جاءت إلى حيّز الوجود من نفسها.

إن رحمته ﷻ نوعان: (١) تلك التي لم يسبقها عمل عامل بل هي موجودة منذ الأزل ومثالها الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم، والماء والنار

---

[١] الحج: ٣٨

والهواء وكافة ذرات هذا العالم التي خُلقت وسُخِّرت لراحتنا. كذلك فكل ما كنّا بحاجة إليه قد هُيِّئ لنا قبل ولادتنا، أي حين لم يكن لنا أيّ وجود ولم نكسب أيّ عمل. هل لأحد أن يقول بأن الشمس خُلقت نتيجة أعماله؟ أو خُلقت الأرض بسبب أعماله الصالحة؟ فهذه رحمة ظهرت قبل خلق الإنسان وأعماله، وليست نتيجة عمل أحد.

(٢) والنوع الثاني من الرحمة يترتب على الأعمال، ولا حاجة إلى شرحها. قد ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى نزيه من كل عيب وبريء من كل نقيصة، ويريد أن يطيع الإنسانُ أوامرَه ويتطهر من العيوب. فيقول: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾[١]. أي من كان في هذه الدنيا أعمى ومحروما من رؤية الله تعالى- الذي ليس كمثله شيء- فسيكون أعمى بعد الموت أيضا ولن تفارقه الظلمة؛ لأن الإنسان يُعطى لرؤية الله حواسَّ في هذه الدنيا، والذي لن يذهب من هذه الدنيا بتلك الحواس لن يرى الله في الآخرة أيضا. ولقد بيّن الله تعالى في هذه الآية بكل وضوح أيّ نوع من التقدم والرقي يريده من الإنسان، وأيّة مدارج يمكن للإنسان نيلها نتيجة تعليمه. ثم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم تعليما يمكن للإنسان أن يحظى بسببه وبالعمل به برؤية الله في هذه الدنيا، فيقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٢]. أي مَن سرّه أن يحظى في هذه الدنيا برؤية الله الإله الحق والخالق الحقيقي، عليه أن يكسب أعمالا صالحة لا يشوبها فساد، أي يجب ألا تكون تلك الأعمال رياءً للناس، ولا تخلق الكبر في قلب صاحبها؛ فيقول إني كذا وإني كذا، وألا تكون تلك الأعمال ناقصة غير كاملة، وألا تفوح منها رائحة تنافي الحب الخالص، بل يجب أن تكون مفعمةً بالصدق والوفاء. وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يجتنب صاحبها الشرك بكل أنواعه، فلا تُعبد

[١] الإسراء: ٧٣

[٢] الكهف: ١١١

الشمسُ ولا القمر ولا نجوم السماء ولا الهواء أو النار أو الماء أو أيّ شيء آخر في الأرض، وألا يُعلِّق آمالا على الأسباب الدنيوية ولا يعتمد عليها كأنها شركاء لله، وألا يعوِّل على قواه ومساعيه الشخصية؛ لأن ذلك أيضا نوع من أنواع الشرك. بل يجب عليه أن يحسب- بعد القيام بكل الأعمال- كأنه لم يفعل شيئا. فلا تزهو على علمكم ولا تستكبروا بعمل من أعمالكم، بل ينبغي أن تعُدّوا أنفسكم جاهلين وكسالى في الحقيقة. ولتكن الروح خاضعة على عتبات الله دائما، وينبغي جذب فيوضه بالأدعية، وأن تكونوا كالعطشان الظامئ الفاقد اليدين والقدمين، الذي تتفجر أمامه عين ماء زلال مَعين، فيصل إليها بصعوبة بالغة، حيث ينهض حينا ويسقط أحيانا حتى يضع شفتيه على الينبوع، ولا ينفصل عنه ما لم يرتوِ.

ثم يقول الله ربُّنا في القرآن الكريم عن صفاته الحسنة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. أي أن إلهكم وحيد وفريد في ذاته وصفاته، ليس كمثله ذات أزلية وأبدية. لا تماثل صفاتُ أيّ شيء صفاتِه. إن علم الإنسان بحاجة إلى معلِّم ومع ذلك يبقى علمه محدودًا، أما هو سبحانه وتعالى فغني عن أيّ معلِّم، ومع ذلك فإن علمه غير محدود. إن حاسة سمع الإنسان بحاجة إلى الهواء ومع ذلك تكون محدودة لأن جميع صفاته بلا مثيل ونظير. أما سمع الله فهو بقوته الذاتية، ولا تحده حدود. إن رؤية الإنسان بحاجة إلى الشمس أو إلى ضوء من مصدر آخر ومع ذلك تبقى محدودة، أما رؤية الله تعالى فمصدرها نوره الذاتي وهي غير محدودة. كذلك إن قدرة الإنسان على الخلق بحاجة إلى مادة ووقتٍ ومع ذلك تكون محدودة، ولكن قدرة الله على الخلق ليست بحاجة إلى مادة أو وقت وهي غير محدودة، وكما لا مثيل له سبحانه وتعالى، كذلك لا مثيل لصفاته سبحانه وتعالى. فإذا وُجد نقص في إحدى صفاته لكانت جميع صفاته ناقصة، فلا تستقيم وحدانيته ما لم يكن وحيدا فريدا لا نظير أو مثيل له في صفاته، كما لا نظير ولا مثيل له في ذاته. وتعني الآية التالية أنه سبحانه وتعالى ليس ولدا لأحد وليس له ولد؛ لأنه غني في حد ذاته، فليس بحاجة إلى أب ولا إلى ولد.

هذا هو التوحيد الذي علّمه القرآن الكريم وهو مدار الإيمان. أما عن الأعمال؛ فهناك آية جامعة وشاملة في القرآن الكريم وهي: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[1]. أي يأمركم الله أن تقوموا بالعدل والإنصاف. وإذا أردتم أن تكونوا أكمل من ذلك فأحسنوا، أي أحسنوا إلى الذين لم يحسنوا إليكم قط. وإذا أردتم أن تنالوا الكمال أكثر من ذلك فأحسنوا إلى بني البشر بمواساة ذاتية ودافع طبيعي كما تحسن الأم إلى ولدها بدافع طبيعي دون أن تتوقعوا شكرا من أحد أو تـمُنُّوا على أحد. ثم قال: إن الله تعالى ينهاكم أن تعتدوا أو تـمُنُّوا أو تكفروا بنعمة الذي واساكم مواساة صادقة. وفي شرح الآية نفسها قال تعالى في مكان آخر: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾[2]. أي أن الصادقين الكمَّل الذين حين يُطعمون الفقراء والأيتام والأسرى؛ إنما يفعلون ذلك حبا لوجه الله فقط وليس لأي طمع، ويقولون لهم بأننا نخدمكم لوجه الله فقط، ولا نريد منكم أيّ جزاء، ولا نريد منكم أن تشكرونا. ثم قال عن الجزاء والعقاب: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[3]. أي أن عقوبة السيئة يجب أن تكون بمثلها، أي السن بالسن والعين بالعين والشتيمة بالشتيمة. ولكن لو عفا أحد وكانت نتيجة عفوه هي الإصلاح لا الفسادُ، بمعنى أنه إذا مال المعفو عنه إلى الإصلاح وتوقف عن السلوك السيئ؛ لكان العفو بهذا الشرط أفضل من الانتقام، ولنال العافي أجرا وثوابا، وليس أن يُدار الخد الثاني في كل الأحوال بعد تلقي اللطمة على الخد الأول؛ لأن ذلك بعيد عن الحكمة. وفي بعض الأحيان يكون الإحسان إلى الأشرار ضارًّا، ومَثَلُه كمثل الإساءة إلى الصالحين.

---

[1] النحل: ٩١

[2] الإنسان: ٩-١٠

[3] الشورى: ٤١

وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١]. أي إذا أحسن إليك أحد فأحسِنْ إليه أكثر مما أحسن إليك، ولو فعلتَ؛ لتحوَّلَت العداوةُ بينكما- إن وُجدت- إلى صداقة، وكأنه صديق وقريب أيضا. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[٢]. ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾[٣]. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٤]. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾[٥]. ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٦]. ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٧]. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[٨]. أي يجب ألا يشكو بعضكم بعضا... وألا تسخر فئة من فئة أخرى ظانين أنفسهم من فئة عليا وغيرهم من فئة سفلى، والفوارق القومية لا تعني شيئا عند الله... ولا تنادوا الآخرين بأسماء يستاءون منها ويحسبونها إساءة إليهم؛ وإلا ستُعدّون عند الله من الفاسقين... واستخدموا العقل والحكمة عند الكلام، واجتنبوا لغو الحديث. ويجب أن تكون كل أعضائكم وقواكم تابعة لله تعالى، وأطيعوه جميعا.

وقال سبحانه وتعالى في آيات أخرى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي؛ أيها الغافلون عن الله، إن طمعكم في الدنيا قد أغفلكم حتى وصلتم إلى القبور، ومع ذلك لا تكادون تستفيقون من غفلتكم. وهذا خطأ منكم، ولكنكم سوف تعرفون ذلك عما قريب. وأكرر وأقول بأنكم ستعرفون ذلك قريبا. ولو علمتموه يقينًا لرأيتم بعد التدبر المبني على العلم جهنمَكم، ولعرفتم أن حياتكم هي حياة جهنمية. ولو تقدمتم في المعرفة أكثر؛ لرأيتم بعين اليقين الكامل أن حياتكم حياة جهنمية. والوقت قريب حين تُلقَون في جهنم، وتُسألون عن كل

---

[١] فصلت: ٣٥ [٢] الحجرات: ١٣ [٣] الحجرات: ١٢ [٤] الحجرات: ١٤
[٥] الحجرات:١٢ [٦] الحج:٣١ [٧] الأحزاب: ٧١ [٨] آل عمران: ١٠٤

تصرف شائن وغير معتدل. أي ستصلون إلى حق اليقين بعد أن يَبطِش بكم العذاب.

في هذه الآيات إشارة إلى أن اليقين ثلاثة أنواع:

أولا: الذي يأتي بالعلم والقياس فقط، كأنْ يرى أحد دخانا من بعيد ويظن- مستخدما العقل والقياس- أنه لا بد من وجود النار هناك.

ثانيا: والنوع الثاني من اليقين أن يرى المرء النارَ بأم عينه.

ثالثا: والنوع الثالث من اليقين أن يُدخل يده في النار ويجرّب قوة حرقها بنفسه. فهذه هي الأنواع الثلاثة لليقين، أي: علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين. لقد بيّن الله تعالى في هذه الآيات أن راحة الإنسان كلها تكمن في قربه من الله وحبه له ﷻ. وإذا قطع علاقته بالله ومال إلى الدنيا فتلك حياة جهنمية. وكل واحد يطّلع على هذه الحياة الجهنمية في نهاية المطاف، ولو حين يكون موشكا على الموت تاركا المال والمتاع وعلاقات الدنيا كلها. ويقول الله في آية أخرى في القرآن الكريم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1]. أي أن الذي يقدّر الله حق التقدير ويهجر الذنوب خائفا المساءلة عند الله؛ سيُنعَم عليه بجنّتين.

أولا: سيُوهب حياة الجنة في هذه الدنيا ويحدث فيه تغيير حسن، وسيكون الله تعالى وليًّا وكفيلا له.

ثانيا: توهب له جنة أبدية بعد الممات، ذلك لأنه خاف الله وآثره على الدنيا وأهواء النفس. ويقول ﷻ في آية أخرى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[2]. وقال تعالى أيضا: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[3]. أي

---

[1] الرحمن: ٤٧

[2] الإنسان: ٥- ٧

[3] الإنسان: ١٨- ١٩

قد أعتدنا سلاسل وأغلالا وسعيرا للكافرين الذين لا تكِنُّ قلوبهم حبًّا لنا- وهم مخلّدون إلى الإرض- وفي أقدامهم سلاسل حب الدنيا، وفي أعناقهم أغلال البُعد عن الله؛ فلا يستطيعون أن يرفعوا رؤوسهم وينظروا إلى الأعلى، بل يظلون مخلدين إلى الأرض. وفي قلوبهم حرقة دائمة لأطماع دنيوية. أما الصالحون فيشربون في هذه الدنيا شراب الكافور الذي فتَّر حب الدنيا في قلوبهم، وهدّأ عطش أطماعها. فإنهم يوهبون عينَ شرابِ الكافور، فيفجرونها بصورة الأنهار والقنوات ليشاركوا فيها كل قاصٍ ودانٍ من العطاشى. وحين تتفجر تلك العين بصورة قنوات وتزداد قوة الإيمان وينمو حب الله تعالى، عندها يُسقَون شرابا يسمَّى زنجبيلا. أي أنهم يشربون شراب الكافور أولا والذي مهمته أن يفتِّر حب الدنيا في قلوبهم. ولكنهم بعد ذلك يحتاجون إلى شراب ساخن أيضا حتى تشتعل فيهم حرقة حب الله تعالى؛ لأن ترك السيئة وحدها ليس عملا جبارا. وهذا ما يسمى بشراب الزنجبيل. وإن هذه العين تسمى سلسبيل، ومعنى ذلك أن اسْألْ عن سبيل الله.

وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]. أي أن الذي زكّى نفسه تحرَّر من أسر النفس، وملِك حياة الجنة. وفشل وخاب من دسّ نفسه في التراب و لم يتوجه إلى السماء.

وما دامت هذه المراتب لا تُنال بسعي الإنسان وحده، لذا وجّه الله تعالى في القرآن الكريم مرارا إلى الدعاء والمجاهدة، كما قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]. وقال أيضا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3]. أي إذا سأل عبادي عني ليتأكدوا كيف يثبت وجودي، وكيف نتأكد من أن الله موجود، فالجواب على

---

[1] الشمس: ١٠- ١١

[2] غافر: ٦١

[3] البقرة: ١٨٧

ذلك أنني جد قريب وأجيب مَن يدعوني. وحين يدعوني أسمع له وأكلِّمه، لذا عليهم أن يجعلوا أنفسهم جديرين بمكالمتي، وأن يؤمنوا بي إيمانا كاملا، لكي يهتدوا إلى سبيلي.

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]. ويقول: ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2] أي إذا كنتم تريدون لقاء الله فعليكم أن تدعوا وتجاهدوا، وأن تكونوا بصحبة الصادقين أيضا، لأن صحبة الصادقين أيضا شرط لذلك.

فهذه الأحكام توصل الإنسان إلى حقيقة الإسلام، لأنه كما قلت قبل قليل إن حقيقة الإسلام هي تسليم العنق إلى الله تعالى لتذبحَ مثل الشاة، وتركُ الإنسان جميع إراداته، وفناؤه في رضا الله تعالى وإراداته، وقبولُ نوعٍ من الموت لنفسه بعد الفناء في الله، والانصباغُ بصبغة حب الله بصورةٍ كاملة، ثم القيامُ بطاعته ﷻ نتيجة حبه الذاتي وليس لأي سبب آخر، والحصولُ على عينين لا تريان إلا بالله، وأذنينِ لا تسمعان إلا بالله، وقلبٍ خاضع لله وحده، ولسانٍ لا ينطق إلا بإنطاقه. هذا هو المقام الذي تنتهي عليه كل أنواع السلوك؛ حيث تكون القوى الإنسانية قد أنجزت كافة المهام الموكولة إليها. ويطرأ على نفسانية الإنسان موت كامل، عندها تهب رحمة الله ذلك الإنسان حياة جديدة بكلامه الحي وأنواره الساطعة، فيتشرّف بكلام الله العذب. والنور الأدق الذي لا يمكن للعقول أن تكتشفه، ولا تدرك العيون كنهه، يقترب إلى قلب الإنسان تلقائيا كما يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3]. فهكذا يشرِّف الله ﷻ الإنسان الفاني بقربه، فيأتي وقت يزول فيه عماه وتستنير عيناه؛ فيرى ربه بهاتين العينين الجديدتين، ويسمع صوته، ويجد نفسه ملفوفًا برداء نوره ﷻ. عندئذ تكتمل الغاية من الدين، ويخلع الإنسان عن جسمه لباسا وسخا للحياة

---

[1] العنكبوت: ٧٠

[2] التوبة: ١١٩

[3] ق: ١٧

السفلية برؤيته الله ﷻ ويلبس لباس النور. فلا ينتظر رؤيةَ الله تعالى والجنةَ كوعدٍ وانتظار الآخرة فقط، بل يحظى برؤيته ﷻ ومكالمته ونَعماء الجنة في هذه الدنيا نفسها. كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]. أي أنّ الذين يقولون بأن ربنا جامعٌ لجميع الصفات الكاملة ولا شريك له في ذاته ولا في صفاته، ثم يثبتون ويصمدون على ذلك ولا يتــزعزع إيمانهم وإخلاصهم مهما هزّتهم الزلازل ونزلت عليهم البلايا أو واجههم الموت؛ تتنــزل عليهم الملائكة ويكلِّمهم الله قائلا: لا تخافوا البلايا والأعداء الشرسين ولا تحزنوا على مصائب سبقت، فأني معكم وسأهب لكم في هذه الدنيا الجنةَ التي وُعدتم بها، فافرحوا بها.

فليتضح أن هذه الأمور ليست بدون شهادة عليها، وهي ليست بوعود لم تتحقق، بل قد نال هذه الجنة الروحانية ألوف من أصحاب القلوب النيِّرة من المسلمين. الحق أن الإسلام دينٌ قد جعل اللهُ تعالى أتباعه المخلصين ورثةً للصادقين السابقين كلِّهم، وأعطى هذه الأمة المرحومة كافة نعمهم المتفرقة، وقد استجاب دعاءً علّمه بنفسه في القرآن الكريم وهو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. أي اهدنا يا رب إلى صراط الذين نالوا منك جميع أنواع البركات ونالوا شرف مكالمتك ومخاطبتك، وحظُوا منك باستجابة أدعيتهم، وحالفَتْهم نصرتُك وعونك وهدايتك دائما، وجنِّبنا سبل الذين حلّ بهم غضبك، والذين تركوا سبيلك واختاروا سبلا غيرها. هذا هو الدعاء الذي نقرأه في الصلوات الخمس كل يوم، ويتبينُ بجلاء أن الحياة الدنيا في حالة العمى هي بمنــزلة جهنم، والموت أيضا بمنــزلة جهنم. والحق أن المطيع الحقيقي لله تعالى والناجي الحقيقي؛ هو ذلك الذي يعرف الله تعالى ويؤمن به إيمانا كاملا، وهو الذي

---

[1] فصلت: ٣١

يستطيع أن يهجر الذنوب ويفنى في حب الله. فالقلب الذي ليست فيه الرغبة وطلب الحظوة بمكالمة الله ومخاطبته بصورة يقينية إنما هو قلب ميِّتٌ. والدين الذي ليست فيه قوة الإيصال إلى هذا الكمال وجعلِ أتباعه الصادقين محظوظين بمكالمة الله؛ ليس من الله وليست فيه روح الصدق. كذلك إن النبي الذي لم يهدِ أتباعه إلى أن يطلبوا مكالمة الله ومخاطبته ويتطلعوا إلى المعرفة الكاملة؛ فليس من الله أيضا، بل يفتري عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأن هدف الإنسان العظيمَ الذي بسببه يمكنه التخلص من الذنوب، هو الحصول على يقين كامل بوجود الله، ونوال الأجر والجزاءِ منه عَزَّ وَجَلَّ. ولكن أنّى للإنسان أن يحظى باليقين الكامل بوجود الله، غيبِ الغيبِ، ما لم يسمع منه نداء "أنا الموجود"، وأنّى له أن يحظى باليقين الكامل بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وما لم يشاهد آياته البيِّنات؟! الاطلاع على وجود الله من حيث الأدلة العقلية ينحصر في أن يحكم العقل السليم- بالنظر إلى الأرض والسماء وما فيهما من ترتيب بليغ ومُحكَمٍ فائق الكمال- بوجوب أن يكون لهذه المخلوقات المنطوية على حكمة بالغة خالقٌ. ولكن لا يمكنه الجزم أن ذلك الخالق موجود في الحقيقة. والمعلوم أن "يجب أن يكون" مجرد خيال، أما "موجود في الحقيقة" فهو إثبات لواقع الأمر، والفرق بينهما واضح بيّن. بمعنى أن في الحالة الأولى قد أُخبر عن ضرورة الخالق، أما في الحالة الثانية فقد أُشهِد على كونه موجودا في الحقيقة.

باختصار، يجب على كل باحث عن الحق ألا ينسى المبدأ الأصلي- في العصر الراهن الذي طغى فيه سيل العراك بين مختلف الأديان- أن الدين الحق هو ذلك الذي يُري وجه الله تعالى باليقين الكامل، ويوصل إلى درجة مكالمة الله ومخاطبته، ويقدر على تشريفِ الإنسان بمكالمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ويقدر على تخليصِ القلوب من ظلمة الذنوب بقوته الروحانية ومزيته التي تنشّط الروح. أما ما سواه من الأديان فكله خادع.

والآن نلقي نظرة على بعض الأديان الموجودة في هذا البلد ونرى فيما إذا كانت قادرة على إيصال الإنسان إلى اليقين الكامل في معرفة الله تعالى، وهل في

كُتُبها وعدٌ بأنها تستطيع تشريف الإنسان بمكالمة الله اليقينية؟ وإذا كان هذا الوعد موجودا فهل يوجد في العصر الراهن مصداق لهذا الوعد أم لا؟

إن أول ما يجدر ذكره من الأديان هو الدين المسيحي. فليكن واضحا أنني لا أرى حاجة إلى الإسهاب في الكتابة عن هذا الدين، لأن المسيحيين متفقون على أن الوحي والإلهام قد انقطع بعد زمن المسيح الناصري عليه السلام، وقد مضى زمن هذه النعمة، ولا أمل فيها في المستقبل، ولا سبيل لنيلها إلى يوم القيامة، وإن باب الفيض مسدود. ربما لهذا السبب اختلقوا طريقا للنجاة وأوجدوا وصفة جديدة تفردت عن مبادئ العالم كله وتنافي العقل والإنصاف والرحمة أيما منافاة؛ وهي قولهم إن المسيح عليه السلام قَبِل الموتَ على الصليب حاملا ذنوب العالم كله لينجو الآخرون نتيجة موته. فأمات الله ابنه البريء من الذنوب لينجِّي المذنبين. ولكننا لا نفهم كيف يمكن أن تتخلّص وتتطهّر قلوب الآخرين من عادة سيئة لارتكاب الذنوب نتيجة ميتةِ ظلم؟! وكيف يمكن أن ينال الآخرون صكَّ الغفران لذنوبهم السابقة نتيجة قتل شخص بريء؟! بل الحق أن هذا الطريق يقتل العدل والرحمة معا؛ لأن معاقبة البريء من الذنوب عوضا عن المذنبين ينافي العدل، وكذلك إن قتل الابن بقسوة القلب هكذا دون وجه حق ينافي الرحمة. ولا جدوى من وراء هذه الفعلة على الإطلاق.

ولقد قلت قبل قليل إن السبب الحقيقي وراء سيل الذنوب هو قلة المعرفة. فما دامت العلة موجودة؛ فأنّى يمكن إنكار المعلول، لأن وجود العلة يقتضي المعلول دائما. الحق أنها من عجب العُجاب الفلسفة التي تقول بأن العلة الباعثة على الذنوب، ألا وهي قلة معرفة الله؛ ما زالت موجودة وقائمة، وتلاشى المعلول وهو ارتكاب الذنوب. إن التجربة تقدم ألوفا من الشهود على أنه لا يمكن أن يتولد الحب ولا الخوف ولا التقدير تجاه أي شيء دون المعرفة الكاملة.

والمعلوم تماما أن الإنسان يكسب عملا أو يتركه، إما بدافع الخوف أو الحبّ. والمعلوم أيضا أن الخوف والحب ينتجان عن المعرفة. فما لم تكن هناك معرفة لا يمكن أن يتولّد خوفٌ ولا حبّ.

أيها الإخوة والأحبة، إن عاطفة تأييد الحق تدفعنا إلى البيان هنا أنه ليس في أيدي السادة المسيحيين شيء واضح بالنسبة إلى معرفة الله تعالى. الوحي عندهم منقطع سلفا، ثم انقطعت المعجزات أيضا بعد المسيح عليه السلام والحواريين، وأما طريق العقل فقد أفلتَ أيضا من اليد نتيجة تأليههم بشرًا. وإذا ذُكرت المعجزات السابقة التي هي بصورة القصص والحكايات الآن؛ فلكل منكرٍ لها أن يقول: الله أعلم بمدى حقيقتها وبمدى المبالغة فيها، لأن المبالغة كانت من عادة كتَّاب الأناجيل. فمثلا قد وردت في أحد الأناجيل فقرة تفيد أن المسيح أنجز أمورا لو كُتبتْ لما وسعتها الدنيا. ولكن انظروا أن الدنيا وسعت هذه الأعمال دون كتابتها، ولكنها لن تسعها عند كتابتها؟ ما هذه الفلسفة وما هذا المنطق، هل يفهمها أحد؟!

وإضافة إلى ذلك فإن معجزات المسيح عليه السلام ليست أكثر عددا من معجزات النبي موسى عليه السلام بحال من الأحوال. ولو قورنت معجزات النبي إيليا بمعجزات المسيح عليهما السلام لكانت كفة معجزات إيليا راجحة.

فإذا كان بالإمكان أن يصبح أحد إلها نتيجة المعجزات؛ لاستحق هؤلاء الصلحاء كلهم الألوهية. أما القول بأن المسيح أطلق على نفسه أنه ابن الله، أو أُطلِق عليه في كتاب آخر أيضا أنه ابن الله؛ فلا يصح استنتاج تأليهه من ذلك. لقد سُمي الكثيرون بأبناء الله في الكتاب المقدس، وقد سُمي البعض إلها أيضا، فلا مبرر لتخصيص المسيح في ذلك. حتى ولو لم يُلقَّب أحد سوى المسيح بلقب الإله أو ابن الإله في تلك الكتب لكان حَمْله على معناه الحرفي مع ذلك جهلا محضا، لأن الاستعارات كهذه موجودة في كلام الله تعالى بكثرة. ولكن لما كان هناك كثيرون آخرون يشاركون المسيح عليه السلام في تسميته بابن الله بحسب الكتاب المقدس، فلماذا يُحرم الشركاء الآخرون من هذه الأفضلية؟

باختصار، الاعتماد على هذه الخطة من أجل النجاة لا يصح بأي حال، ولا علاقة للامتناع من الذنوب بهذه الخطة أصلا. بل الحق أن الانتحار من أجل نجاة الآخرين ذنب بحد ذاته. وأستطيع القول حالفا بالله إن المسيح عليه السلام لم

يرض بالصلب طواعيةً، بل فعل معه اليهود الأشرار ما شاءوا. وقد دعا المسيح في الحديقة طول الليل للتخلص من الموت على الصليب وسالت دموعه، فسمع الله دعاءه لتقواه وأنقذه من الموت على الصليب كما ورد في الإنجيل نفسه. فما أشنعها من تهمةٍ القولُ بأن المسيح انتحر طوعا! وبالإضافة إلى ذلك، لا يقبل العقل أن يضرب زيدٌ رأسَه بحجر ويزول به صداعُ بكرٍ. نعم، نحن نقبل أن المسيح عليه السلام كان نبيا وكان من العباد الكمّل الذين طهّرهم الله تعالى بيده، ولكن لا يمكن أن نؤلِّـــهه أو غيره من الأنبياء بناء على كلمات وردت في الكتب بحقه أو بحق غيره من الأنبياء. لدي خبرة في هذا المجال، وقد وردت في وحي الله تعالى المقدس بحقي كلمات إعزاز وإكرام لم أر مثلها في أي إنجيل بحق المسيح؛ فهل لي أن أقول إني إله أو ابن الله حقيقةً؟! أما تعليم الإنجيل فأرى أن التعليم الكامل هو ذلك الذي يطوّر القوى الإنسانية كلها دون أن يصبّ جُلّ اهتمامه على جانب واحد فقط.

أقول صدقا وحقا إنني وجدت هذا التعليم الكامل في القرآن الكريم وحده، وهو الذي يراعي الحق والحكمة في كل شيء. فمثلا قيل في الإنجيل: لو لطمك أحد على خدّك فأدرْ له الخد الآخر، ولكن القرآن الكريم يعلِّمنا أن هذا الأمر لا يصلح في كل الأحوال والظروف، بل يجب الانتباه إلى مقتضى الحال فيما إذا كان يتطلب الصبر أو الانتقام أو العفو أو العقاب. من الواضح أن هذا التعليم القرآني هو التعليم الكامل، وبدون العمل به تتحطم سلسلة البشرية ويفسد نظام الدنيا كلِّيا. كذلك قيل في الإنجيل ألا تنظر إلى المرأة المحرمة بنظرة شهوة، أما القرآن الكريم فيقول ألا تنظر إلى النساء المحرمات أصلا، لا شهوةً ولا غيرها؛ لأن ذلك مدعاة لعثارك. فينبغي أن تكون عينك غضيضة ضبابيّةٍ حسب مقتضى الأمر، ويجب أن تتجنب إلقاء النظرة المباشرة. هذا هو الطريق الأنسب للمحافظة على طهارة القلب. لعل الفِرق المناهضة لنا في العصر الراهن سوف تعارضنا في هذا الأمر لأنهم حديثو العهد بالحرية والتحرر. ولكن التجربة تؤكد بجلاء على أن هذا هو الحكم الصحيح.

أيها الأحبة، إن نتيجة الحرية المطلقة وتبادل النظرات لا تكون سليمة أبدا. فمثلا، إن لم يكن الرجل نزيها من أهواء النفس، ولم تكن الفتاة أيضا بريئة منها؛ فإن إعطاءهما فرصة الاختلاط الحر وتبادُلِ النظرات إنما هو بمنـــزلة إلقائهما في الهوة عمدا.

كذلك يقول الإنجيل بعدم جواز الطلاق إلا نتيجة ارتكاب الزنا. ولكن القرآن الكريم يجيزه، ويقول بأنه إذا صار الزوجان أعدى عدوَّينِ لبعضهما بعضا وكانت حياة أحدهما في خطر على يد الآخر، أو أن المرأة لم ترتكب الزنا ولكنها ارتكبت بوادره، أو أصيبت بمرض يؤدي إلى هلاك الرجل في حالة إقامة العلاقات معها، أو أطل سبب آخر برأسه يوجب الطلاق حسب رأي الزوج؛ فلا اعتراض عليه إن طلّق زوجته في هذه الظروف.

والآن أعود إلى صلب الموضوع وأقول: اعلموا أنه ليس في يد السادة المسيحيين وسيلة حقيقية للنجاة أو لتجنب الذنوب، لأن النجاة لا تعني شيئا إلا أن تطرأ على الإنسان حالة لا يتشجع فيها على الذنوب، ويتقدم في حب الله تعالى بحيث لا يتغلب عليه أي نوع من الحب النفساني. والمعلوم أن هذه الحالة لا تتولد دون المعرفة الكاملة. عندما نقرأ القرآن الكريم نجد فيه وسائل واضحة بسببها يمكننا الحصول على معرفة الله التامة، نجتنب الذنوب بعد غلبة الخوف، لأننا نرى أن الإنسان باتّباعه القرآن الكريم يحظى بمكالمة الله تعالى ومخاطبته، وتظهر الآيات السماوية، ويتلقى الإنسان علم الغيب من الله تعالى وتنشأ معه علاقة قوية فيهيج قلبه لوصاله ﷻ، ويؤثره على كل شيء، فتُستجاب أدعيته ويُطلَع على استجابتها. ويجري من المعرفة بحرٌ يمنع من ارتكابه الذنوب.

وحين نقرأ الإنجيل نجد فيه لاجتناب الذنب طريقا وحيدا غير معقول، وليس له أدنى علاقة بإزالة الذنب. اللافت في الموضوع أنه قد ظهرت من المسيح عليه السلام أنواع عدة من الضعف الإنساني، ولكن لم تظهر منه قوة تدل على الألوهية وتميِّزه عن غيره، إلا أنه اعتُبر إلها في نظر المسيحيين.

والآن نلقي نظرة عابرة على دين الآريين لنرى ماذا يقدمه للنجاة من الذنوب. فليتضح أن "فيدا" الآريين المقدس قد أنكر مكالمة الله ومخاطبته والآياتِ السماوية في المستقبل نهائيا. لذا فإن محاولة البحث في الفيدا عن الاطمئنان الكامل ليسمع الإنسان نداء "أنا الموجود" وليسمع الله الأدعية ويجيبه عليها ويُري وجهه بواسطة الآيات؛ محاولةٌ عبثية لا طائل من ورائها. بل هذه الأمور كلها من المحالات في رأيهم. ولكن من الواضح تماما أن الخوف من شيء أو حبه مستحيل بغير رؤيته أو معرفته معرفة كاملة. والمعرفة لا تكتمل بالنظر في المخلوقات فقط. لهذا السبب يوجد ألوف من الملاحدة وأتباع مذهب "ناستك مت" بين الذين يتبعون العقل فقط، بل الذين يبلُغون ذروة الفلسفة هم الذين يجب تسميتهم بالملاحدة بوجه كامل.

ولقد بيّنت آنفا أن أكثر ما يفيد العقل السليم بتدبّر المخلوقات- بشرط ألا تشوبه شائبة الإلحاد- هو إدراك أنه يجب أن يكون لهذه الأشياء خالق، وليس أن ذلك الخالق موجود في الحقيقة. كذلك يمكن للعقل أن يتوهّم أيضا أنه من الممكن أن يكون هذا الكون كله وُجد تلقائيا منذ الأزل، وأن يكون بعض الأشياء خالق بعضها الآخر بصورة طبيعية. فالعقل لا يوصل إلى اليقين الكامل الذي اسمه المعرفة التامة التي تنوب مناب رؤية الله تعالى، والتي بسببها يتولد الخوف الكامل والحب الكامل. وبنار الخوف والحب يحترق كل نوع من الإثم والذنب ويرِد الموتُ على الأهواء النفسانية، ويحدث التغيّر النوراني، فتزول كافة أنواع الضعف الداخلي وكُدْرة الذنوب. ولكن لما كان معظم الناس لا يعيرون اهتماما لائقا للطهارة الكاملة التي تخلِّص من وصمة الذنب تماما؛ فلا يشعرون بضرورتها ولا يشرعون في البحث عنها، بل يمتلئون- على عكس ذلك- عنادا، ويقومون بالمعارضة ويستعدون للشجار.

أما موقف الآريين فمؤسف للغاية؛ فهم يائسون تماما من الوسيلة الحقيقية للمعرفة التامة، ولم تبق في أيديهم الوسائل العقلية أيضا؛ فما دامت كل ذرة من العالم أزلية- حسب رأيهم- وجاءت إلى الوجود من تلقاء نفسها ولم تُخلَق بيد

أحد، كذلك هي الأرواح أيضا أزلية مع كل قواها وليس لها خالق، فأي دليل بقي في أيديهم على وجود الله؟! ولو قالوا إن الجمع بين ذرات العالم ونفخ الأرواح فيها، هو فعل الإله وحده، وهذا يكفي دليلا على وجوده؛ لكان رأيهم هذا غير صحيح، لأنه ما دامت الأرواح والذرات كلها تملك القدرة بحد ذاتها، ومحافظة على نفسها منذ الأزل، وهي خالقة نفسها؛ أَوَلا تستطيع الاتصال أو الانفصال عن بعضها من تلقاء نفسها؟ لن يقبل أحد المبدأ القائل بأن الذرات لا تحتاج إلى غيرها من حيث وجودها وحياتها وقواها، ومع أن الأرواح لا تحتاج إلى غيرها من حيث وجودها وقواها ولكنها تحتاج إلى غيرها فيما يتعلق بالانفصال والاتصال ببعضها. إن هذا الاعتقاد يهيئُ صيدا سهلا للملاحدة، ونتيجةَ هذا الاعتقاد يمكن لآريٍّ أن ينضم إلى الملحدين بكل سهولة، وبإمكان ملحد شاطر أن يستقطبه بكل سهولة.

إنني أتأسف جدا وأشفق أيضا على الآريين لأنهم أخطأوا في كِلا الجانبين للشريعة، أي اعتنقوا عن الإله عقيدة بأنه ليس مبدأ المخلوقات كلها، وليس منبع الفيوض كلها بل الذرات وكافة قواها، والأرواح وجميع قواها؛ وُجدت من تلقاء نفسها، وأن فطرتها محرومة من فيوضه ﷻ. هنا يجب أن يفكروا: ما الحاجة إلى الإله أصلا والحالة هذه؟! ولماذا يستحق العبادة؟! ولماذا يُدعى القادر ذو القوة كلها؟! وكيف وبأي طريقة عُرف؟! هل من مجيب؟! ليت مواساتي تؤثر في قلب أحد، ليت أحدا يجلس في عزلة ويفكر في هذه الأمور.

يا إلهي القادر القدير، ارحم هؤلاء القوم الذين هم جيراننا القدامى، واصرفْ قلوب كثير منهم إلى الحق، فلك القدرة كلها، آمين. هذا الأمر يتعلق بالإله وفيه اعتداء على حق ذلك الخالق الذي ليس له مثيل.

ومن الأمور الأخرى التي يقدمها الآريون بالنسبة إلى الخلق: التناسخ، أي عودة الأرواح إلى الدنيا مرارا بتغيير هويتها. اللافت والغريب في هذه العقيدة أولا وقبل كل شيء؛ هو أنهم يدّعون أنهم عاقلون، ثم يقولون إن الإله قاسي القلب لدرجة معاقبة المذنبين إلى ملايين السنين، بل بلايين السنين على ذنب

واحد، وذلك مع علمه أنه ليس خالقهم ولا حق له عليهم إلا أنه يعذبهم بإعادتهم إلى الدنيا مرارًا بصور مختلفة بحسب مبدأ التناسخ. فلماذا لا يكتفي بالعقاب لبضع سنوات فقط مثل الحكومات الدنيوية؟ معلوم أن هناك شرطا للعقوبة الطويلة الأمد وهو أن يكون له على مستحقي العقاب حقٌّ أيضا طويل الأمد. ولكن لما كانت الذرات والأرواح قد وُجدت من تلقاء نفسها ولا منَّة عليها للإله إلا أن يُدخلهم في دوامة التناسخ بالتكرار حسب مبدأ التناسخ؛ فبأيّ حق يعاقبهم عقوبة طويلة؟!

أما في الإسلام فيقول الله تعالى: إني خالق كل ذرة وكل روح، كل قواها هي نتيجة فضلي أنا، وخُلقت بيدي، وتعيش بسببي أنا، ومع ذلك يقول في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[1]. أي سيبقى أهل جهنم فيها إلى الأبد، ولكن هذه الأبدية ليست كأبدية الله تعالى، بل المراد منها هي المدة الطويلة فحسب، ثم تأخذ رحمة الله تعالى بيدهم لأنه قادرٌ، ويفعل ما يشاء. وفي شرح هذه الآية يقول سيدنا ومولانا النبي الأكرم ﷺ في حديث: يأتي على جهنم زمانٌ ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها.

ولكن للأسف الشديد، إن هذه الأقوام تعتبر الله تعالى عصبيا معتادًا على البُغضِ بحيث لا يهدأ غضبه في وقت من الأوقات؛ فلا يغفر الذنب حتى بعد إدخال المذنبين في التناسخ بلايين المرات التي لا تُعَدّ ولا تُحصى.

هذا الاعتراض لا يقع على الآريين فقط، بل المسيحيون أيضا يعتقدون بأبدية جهنم التي لا تنتهي عقابا على ذنب واحد فقط. وإلى جانب ذلك يعتقدون أيضا أن الله تعالى خالق كل شيء. فما دام الله تعالى بنفسه خالق أرواح البشرية كلها وقواها كافةً، وبنفسه أودع الضعف في بعض الطبائع؛ فترتكب الذنوب، ولا تمشي- إلا كما تجري ساعة- إلى مدة معينة حددها لها صانع الساعة الحقيقي، أي الله سبحانه وتعالى، فلا شك أن تلك الطبائع في هذه الحالة جديرة

[1] هود: ١٠٨

بالشفقة والرحمة لأن أخطاءها وتقصيراتها ليست من عندها، بل فيها دَخْلٌ كبير لذلك الخالق أيضا؛ الذي خلقها ضعيفة. فأيّ عدل أن الإله حدّد لعقوبة ابنه ثلاثة أيام فقط، أما عقوبة الناس الآخرين فجعلها أبدية لن تنتهي إلى أبد الآبدين، وقدّر أن يحترقوا في تنور جهنم إلى الأبد. هل هذا يليق بالإله الرحيم والكريم؟! بل كان من المفروض أن يعاقب ابنه بعقوبة أشد؛ لأنه كان قادرا على احتمالها أكثر من غيره لكونه يملك صفات إلهية، فكان ابن الإله على أية حال، ولما كان الأمر كذلك فأنّى لقدرات الناس الآخرين- وهم مخلوقون وعاجزون- أن تكون مساوية لقدرته؟!

باختصار، فإن المسيحيين والآريين في قارب واحد من حيث هذا الاعتراض، ومعهم بعض المسلمين من قليلي الفهم أيضا. ولكن الخطأ الذي وقع فيه المسلمون لا يعود سببه إلى خطأ في كلام الله، فقد بين الله تعالى بكل وضوح أن الخطأ خطؤهم، ومَثَلُه كخطئهم في اعتقادهم بكون المسيح عليه السلام موجودا في السماء الثانية حيا إلى الآن، مع أنه قد ورد في كلام الله القرآن الكريم بكل صراحة أن عيسى عليه السلام قد مات منذ مدة طويلة وانضم إلى أرواحٍ خلت. ولكن هؤلاء الناس لا يزالون ينتظرون عودته مخالفين بذلك كتاب الله تعالى.

على أية حال، أعود إلى صلب الموضوع وأقول: الجانب الثاني لبطلان التناسخ هو أنه يخالف الطهارة الحقيقية؛ لأننا نرى الناس يموتون كل يوم، وهناك من تموت أمه أو أخته أو حفيدته؛ فما الذي يضمن ألا يخطئ القائلون بهذه العقيدة فينكحوا مَن كان نكاحُها حراما بحسب تعليم الفيدا؟

أما لو جاءت مع كل مولود قائمة مفصلة مكتوب فيها أنه كان في حياته السابقة ابن فلان؛ لكان ممكننا أن يجتنبوا الزواج غير الشرعي، ولكن إلههم لم يفعل ذلك وكأنه يريد أن ينشر الطريق غير الشرعي بنفسه.

وإضافة إلى ذلك لا نفهم ما الفائدة من إدخال الناس في دوامة الولادات المتكررة، فلما كان مدار النجاة كله هو معرفة الله؛ فمن المفروض ألا يُضيِّع كل مولود- عند ولادته الثانية- رصيد معرفته التي كسبها في حياته السابقة. ولكن

كما هو معلوم، كلُّ مولود يولَد صِفر اليدين، ويواجه الدنيا فقيرا معدما كشخص متهوِّر ومبذِّرٍ أتلف وأضاع كل ما ادّخره في حياته السابقة، ولا يذكر شيئًا من تعليم الفيدا ولو قرأه ألف مرة. ففي هذه الحالة لا يوجد للنجاة سبيل بسبب دخول الإنسان في دوامة الولادات المتكررة، لأن رصيد العلم والمعرفة الذي كان قد جمعه بشق النفس في حياته السابقة؛ يضيع باستمرار تلقائيا. فلن يبقى رصيد أعماله محفوظا؛ ولن ينال النجاة أبدا.

إضافة إلى ذلك فإن النجاة بحسب مبدأ الآريين كانت لمدة محدَّدة فقط، ثم الطامة الكبرى هي أن ثروة النجاة أي المعرفة؛ لا يمكن أن تُدَّخر. أليس هذا من شقاوة الأرواح؟

والأمر الثاني الذي يدخل في معتقدات الآريين وينافي طهارة البشر هو مسألة الـــ "نيوك". أنا لا أنسب هذه المسألة إلى الفيدا المقدس، ويقشعر قلبي لمجردِ فكرةِ عزوِ مثل هذه الأمور إليه. وفيما يتعلق بعلمي وضميري فإنني على يقين أن الفطرة الإنسانية لن تقبل بحال من الأحوال أن يسمح شخص لزوجته- ذات الكرامة والتي هي من عائلة محترمة- أن تضاجع شخصا آخر لمجرد الحصول على الأولاد، مع أن العلاقة الزوجية قائمة بينهما، وهي زوجته.

كذلك ليس لي أن أتصور أن ترضى الزوجة أيضا بهذا التصرف وزوجُها حيٌّ يُرزق. الغيرة في هذا المجال ملحوظة عند بعض الدواب أيضا- دعْ عنك الإنسان- فلا تقبل هذا الأمر لأنثاها. لا أريد أن أدخل هنا في نقاش طويل، بل أقول للآريين بكل أدب واحترام إنهم لو تخلوا عن اعتقادهم هذا لكان أفضل لهم كثيرا. إن حالة هذا البلد متردية جدا أصلا من حيث مستوى الطهارة الحقيقية، ولو راجت هذه الأمور بين الرجال والنساء فلا يُدرَى ماذا عسى أن يكون مصير هذا البلد.

وبالإضافة إلى ذلك أسمح لنفسي بالقول أيضا؛ مهما كان الآريون يبغضون المسلمين في العصر الراهن، ومهما نفروا من معتقدات الإسلام، ولكنني أناشدهم بألا يتخلوا عن عادة الحجاب نهائيا؛ لأن ذلك سيؤدي إلى مفاسد

كثيرة تتراءى للعيان فيما بعد. يمكن لكل فطين أن يدرك أن عددا كبيرا من الناس يطيعون نفوسهم الأمارة بالسوء، وهم أسرى نفوسهم لدرجة أنهم لا يعيرون لعقوبة من الله أدنى اهتمام عند ثورتها، ولا يرتدِعون عن سوء النظر عند رؤيتهم السيدات الشابات والجميلات. وكذلك هناك سيدات كثيرات يرمقن الرجال بسوء النية. فلو أُعطِي الفريقان حريةً كاملةً مع سوء نيّاتهما؛ لكانت النتيجة مثلما نراها بادية في بعض مناطق أوروبا. ولكن حين يصبح الناس طاهري القلوب حقيقةً وتتلاشى نفوسهم الأمارة وتزهق روحهم الشيطانية وتتولد في عيونهم خشية الله وتترسخ في قلوبهم عظمة الله ويخلقون في نفوسهم تغييرا طيبا ويلبسون لباس تقوى الله؛ عندها يمكن أن يفعلوا ما يشاءون، لأنهم عندئذ يكونون مخنّثين في يد الله وكأنهم ليسوا رجالا، وتكون عيونهم قد عمِيَتْ عن رؤية السيدات المحرمات بخائنة الأعين، أو أن تتطرق إلى قلوبهم هذه الفكرة الفاسدة.

فيا أيها الأحبة، أدعو الله تعالى أن يلهمكم الصواب. ولكن هذا الوقت ليس بالوقت المناسب لتفعلوا ذلك، ولو فعلتم لزرعتم بذرة سامة في القوم. العصر الراهن عصر خطير وأحوج ما يكون إلى الحجاب، ولو لم يكن في أي زمن خلا، لأنه الزمن الأخير والأخطر، والسيئات والفسق والفجور والإدمان على الخمور في قِمّتها في العصر الراهن، وتغزو الأذهان أفكار الإلحاد. لقد زالت من القلوب عظمة أوامر الله. يتحدثون باللسان كثيرا، والمحاضراتُ أيضا مليئة بالمنطق والفلسفة، ولكن القلوب خالية من الروحانية. هل يجوز في هذا الوقت أن تُترَك الشياهُ المسكينة في فلوات فيها الذئاب؟

أيها الأحبة، إن الطاعون محدق بكم، وقد بقي منه الكثير كما أخبرني الله تعالى. الأيام جد خطيرة، ولا يُدرى مَن سيعيش إلى شهر أيار من السنة المقبلة ومَن سيلحق بالأموات، ومن الذي سيحل ببيته البلاء ومَن سيُجنَّبه. فانهضوا وتوبوا، وأرضُوا مالك ناصيتكم بالأعمال الصالحة. واعلموا أن العقوبة على الأخطاء العقدية تترتّب بعد الممات، وأن الحكم في كون أحد هندوسيا أو

مسيحيا أو مسلما سيصدر يوم القيامة، ولكن الذي يتجاوز الحدود في الظلم والاعتداء والفسق والفجور يُعاقَب في هذه الدنيا، ولا يستطيع أن يهرب من عقاب الله بأي حال. فأرضُوا ربكم سريعا، وتصالحوا معه قبل أن يأتي يوم مروّع، أي يوم شدة الطاعون، الذي أنبأ به الأنبياء. تصالحوا مع الله فإنه كريم جدا ويستطيع أن يغفر الذنوب- وإن كانت ممتدة إلى سبعين عاما- نتيجة توبةِ لحظةٍ واحدة تذيب القلب. لا تقولوا إن التوبة لا تُقبل. اعلموا يقينا أنكم لن تنجوا بأعمالكم قط، بل المنجّي هو فضل الله تعالى وليست الأعمال.

فيا إلهي الكريم الرحيم، ارحمنا جميعا فإننا عبادك المرتمون على عتباتك، آمين.

الجزء الثاني من الخطاب

أيها المستمعون الكرام، الآن سأقول شيئا حول ادّعائي الذي نشرته في هذه البلاد. من الثابت عقلا ونقلا أنه كلما سيطرت ظلمة الذنوب على الدنيا، وانتشرت السيئات والفواحش في الأرض بكل أنواعها واضمحلت الروحانية، وتنجّست الأرض بالآثام وفَتَرَ حبُّ الله تعالى وهبّت الريح السامّة، اقتضت رحمة الله تعالى أن تُحيي الأرض من جديد. فكما ترون أن الفصول تتناوب دائما، إذ يأتي فصل الخريف فيحل البلاء بأوراق الأشجار وأزهارها وثمارها، ويسوء منظر الأشجار كما ينحُل كثيرا المصابُ بمرض السل ولا تبقى فيه قطرة دم، وتعلو وجهَه آثارُ الموت الوشيك، أو كوصول جذام المجذوم منتهاه فتبدأ أعضاؤه بالتآكل والتساقط. ثم تأتي على الأشجار فترة أخرى تُسمى فصل الربيع. ففي هذا الفصل تأخذ الأشجار لونا آخر وتحمل ثمارا وأزهارا وأوراقا جميلة خضراء. والحال نفسه ينطبق على الناس إذ تتناوب عليهم فترات النور والظلام؛ ففي قرنٍ يفقدون جمال الكمال الإنساني كما يحدث للأشجار في فصل الخريف، وفي وقت آخر تهب عليهم ريح من السماء فيبدأ فصل الربيع في النشوء في قلوبهم. إذًا، فهذان الفصلان يلازمان الناس منذ خلق الدنيا. فالزمن الراهن الذي نحن فيه هو زمن بداية فصل الربيع. لقد كانت فترة فصل الخريف في قمتها في البنجاب حين كان السيخ يحكمون البلاد لأن العلم كان مفقودا؛ ساد الجهلُ البلادَ، وفُقدت الكتب الدينية لدرجة لعلها لم تعُد متيسرة إلا لأُسرة من الأُسر الكبيرة. ثم جاء زمن الحكومة الإنجليزية، وهذا زمن يسود فيه الأمن والوئام. والحق أنه لو شبَّهنا أيام حكم السيخ بليالي الحكم الإنجليزي- من حيث الأمن والراحة- لكان ذلك أيضا ظلمًا ومجانفة للحقيقة. هذا الزمن جامعٌ للبركات الروحانية والمادية. أما البركات المستقبلية فملحوظة من بداية ربيعها. صحيح أن هذا الزمن يُري وجوها كثيرة مثل دابة غريبة، فبعضها مروِّعة لكونها

منافية لمعرفة الله الحقيقية والحقِّ، وبعضها مباركة جدا ومؤيدة للحق. ولكن مما لا شك فيه أن الحكومة الإنجليزية قد طوّرت كثيرا العلوم المتنوعة في هذه البلاد. وقد اكتُشفت طرقٌ سهلة ومواتية لطباعة الكتب ونشرها بحيث لا يوجد لها نظير في غابر الأزمان. ولقد ظهرت للعيان في البلاد ألوف المطابع التي كانت خافية عن الأعين من قبل. وقد تغير الزمان من حيث الجو العلمي السائد في أيام قليلة؛ وكأن قوما جديدا تماما قد جاء إلى الوجود. لقد حدث كل ذلك، ولكن الحالة العملية ظلت تتقهقر يوما إثر يوم، وبدأت شجرة الإلحاد تنمو في الخفاء. لا شك في أنّ للحكومة الإنجليزية أياديَ بيضاء؛ فقد أحسنت إلى رعيتها وعدلت وأقامت الأمن في كل مكان، بحيث يكون من العبث البحثُ عن نظيره في الحكومات الأخرى. ولكن الحرية التي أُعطيتْها الرعية لتوسيع دائرة الأمن؛ ما راقت لكثير من الناس، وبدلا من أن يشكروا عليها اللهَ تعالى والحكومةَ تفاقمت الغفلةُ وحبُّ الدنيا وأطماعُها واللامبالاةُ في قلوب معظم الناس حتى ظنُّوا أن الدنيا هي المقر الدائم لهم، ولا مِنَّة ولا سلطة عليهم لأحد. والمعلوم أن معظم الذنوب تتولد حين يظن الناس أنفسهم في مأمن، كما جرت العادة. فبحسب هذا القانون الطبيعي ظلت الذنوب تكثر باستمرار. وبسبب قسوة القلوب والغفلة صارت حالة هذا البلد خطيرة جدا. فالجهلاء والأشرار من الناس- الذين هم كالوحوش- متورطون في جرائم مخجلة وخطيرة مثل النهب والزنا والقتل بغير حق. أما الآخرون فيرتكبون آثاما مختلفة كلٌّ بحسب أهوائه وثورة نفسه. فترى الحانات عامرة أكثر من المحلات الأخرى. وكذلك إن المهن الماجنة والخلاعة في تقدم مستمر. أما المعابد فقد اتُّخذت لأداء التقاليد والعادات فقط.

فباختصار، هناك ثورة خطيرة للذنوب على الأرض، وقد ثارت الأهواء النفسانية لدى معظم الناس بسبب الأمن وأسباب الراحة الكاملة كما يتمزق السدُّ أمام بحر هائج فيدمّر القرى كلها حوله في ليلة واحدة. ولا شك أن ظلاما حالكا يسود العالم كله، وقد آن الأوان؛ إما أن يخلق الله نورا في الدنيا أو

يهلكها. ولكن قد بقيت ألف سنة قبل أن تهلك الدنيا. وإن أسباب الراحة وزينة الدنيا التي تُكتشف في الأرض باستمرار؛ تدل أيضا على أن الله تعالى كما أصلح إصلاحا ماديا، كذلك يريد تقدم البشر وإصلاحهم الروحاني أيضا لأن حالة الناس الروحانية متردية أكثر من حالتهم المادية، وقد وصلت حدًّا خطيرا، حيث يمكن أن تكون البشرية محل غضب الله. الحماس لكل ذنب في تفاقم مستمر، وضعفت القوى الروحانية إلى حد كبير وخمدت أنوار الإيمان. يشعر العقل السليم بداهة بضرورة ظهور النور من السماء في هذا الوقت الذي غلب فيه الظلام؛ لأنه كما أن زوال الظلام المادي من الأرض منوط منذ القِدم بنـزول النور من السماء، كذلك الحال من حيث الروحانية أيضا؛ فينـزل هذا النور من السماء فقط وينوّر القلوب. فهذا هو قانون الطبيعة الملحوظ منذ أن خلق الله البشر؛ فالله تعالى ينـزِّل عند الضرورة- لخلق الوحدة بين البشر- نورَ معرفتِه التامة على أحدٍ ويشرِّفه بمكالمته ومخاطبته ويسقيه كأس حبه الكامل، ويهبه البصيرة الكاملة للسلوك على سبيل مرضاته، وينفث في قلبه حماسا ليجذب الآخرين أيضا إلى النور والبصيرة والحب الذي أُعطِيه. فبواسطته يتخلص الآخرون من الذنوب ويتقدمون في التقوى والطهارة بإنشاء علاقة به وانضمامهم إليه ونيلهم نصيبا من معرفته. وبحسب هذه السنّة القديمة أخبر الله تعالى بواسطة أنبيائه الأطهار أنه حين توشك الألفية السادسة منذ خلق آدم عليه السلام أن تنصرم؛ يعمُّ الأرضَ ظلامٌ حالك ويموج سيل الذنوب بقوة وشدة، ويفتر حب الله في القلوب كثيرا بل يتلاشى نهائيا، عندئذ ينفخ الله تعالى من السماء، وبدون أسباب دنيوية- كما نفخ في آدم- روح الحق والحب والمعرفة في شخصٍ؛ فيسمَّى مسيحا أيضا، لأن الله تعالى سيمسح بيده روحَه بعطر حبه الخاص، فيُقام ذلك المسيح المنتَظر- الذي سُمِّي بكلمات أخرى بالمسيح الموعود في كتب الله- مقابل الشيطان؛ فتكون تلك هي المعركة الأخيرة بين جيش الشيطان والمسيح. وسيأتي الشيطان يومئذ للحرب الروحانية مستعدا بكل قواه، وبذريته كافة، وبمكايده كلها.

ولن تكون قد سبقت بين الشر والخير حرب كالتي ستندلع يومذاك؛ لأن مكايد الشيطان والعلوم الشيطانية ستبلغ يومئذ منتهاها، وتتاح كافة الطرق التي يمكن أن يُضل الشيطانُ بها الإنسانَ. عندها ينال مسيحُ الله تعالى فتحا بعد حرب روحانية ضروس، وستهلك القوى الشيطانية. وسيستمر جلال الله تعالى وعظمته وقدسيته ووحدانيته في الانتشار في الأرض إلى مدة من الزمن. وتلك المدة هي ألفية كاملة، وتسمّى: اليومُ السابع، وبعدها ستنتهي الدنيا. وأنا ذلك المسيح، فمن شاء فليؤمن.

قد تستغرب هنا بعض الفِرق التي تنكر الشيطان فيقولون: ما هو هذا الشيطان؟

فليعلموا أن هناك جذبين يلازمان دائما قلب الإنسان بالتناوب؛ جذب الخير وجذب الشر. أما جذب الخير فتعزوه الشريعةُ الإسلامية إلى الملائكة، وأما جذب الشر فتنسبه إلى الشيطان. والمراد من ذلك أن جذبينِ موجودان في فطرة الإنسان؛ فيميل إلى الخير تارة وإلى الشر تارة أخرى.

أظن أن في هذا الاجتماع أيضا الكثير ممن ينظر إلى بياني- بأني أنا المسيح الموعود وأني مشرَّفٌ بمكالمة الله ومخاطبته- بالإنكار ويرمونني بنظرات التحقير والازدراء. ولكنني أراهم معذورين، لأن هذا ما ظل يحدث منذ الأزل؛ فأنبياء الله ومرسلوه يضطرون إلى سماع الكلام المسيء في البداية، فما من نبيٍّ في بداية عهده إلا أُهين. انظروا إلى سوانح حياة ذلك النبي والرسول، صاحب الكتاب والشريعة، الذي نعتز جميعا بكوننا من أمته، الذي خُتمت الشرائع كلها على شريعةٍ جاء بها؛ ترَوا كيف تحمَّل الإيذاء على يد المنكرين في مكة مدة ١٣ عاما وهو في حالة العزلة والمسكنة وعدم الحيلة، وكيف ظل عرضة للتحقير والاستهزاء والسخرية حتى أُخرج من مكة بظلم وعدوان كبيرَين. مَن كان يعرف عندئذ أنه سيُجعل في نهاية المطاف إماما ومقتدى لملايين الناس؟ فمن سنة الله أن عباده الأصفياء يُعَدّون أذلاء ومهانين في بداية الأمر. وقليل ما هم الذين يتمكنون من معرفة المرسلين من الله في البداية. فمن المقدر أن يتأذّوا على

أيدي الجهلاء ويقال في حقهم كلام مسيءٌ، ويواجهوا السخرية والاستهزاء ويُشتَموا إلى أن يأتي وقت يفتح الله تعالى فيه القلوب لقبولهم.

هذا ما أدّعيه أنا، أما المهمة التي بعثني الله من أجلها؛ فهي أن أزيل الكدر الحاصل في العلاقة بين الله وخَلْقه، وأرسي بينهما صلة المحبة والإخلاص ثانيةً؛ وأن ألغي الحروب الدينية بإظهار الحق مُرسِيًا دعائم الصلح، وأكشف الحقائق الدينية التي اختفت عن أعين الناس، وأقدم نموذجا للروحانية التي صارت مدفونة تحت ظلمات النفوس، وأكشف- بالحال لا بالقال فقط- تلك القوى الربانية التي تسري في الإنسان ثم تتجلى فيه نتيجة إقباله على الله تعالى أو نتيجة التركيز والدعاء. وفوق كل ذلك، أن أغرس في القوم من جديد؛ غراسًا خالدًا للتوحيدِ- الذي قد اختفى الآن- الخالص النقي اللامع الخالي من أية شائبة من شوائب الشرك. ولكن لن يحدث كل ذلك بقوتي أنا، بل بقدرة الله؛ فهو رب السماء والأرض.

فمن ناحيةٍ أرى أن الله تعالى قد ربّاني بيده وشرّفني بوحيه وأودع قلبي حماسا لأن أقوم بمثل هذه الإصلاحات، ومن ناحية ثانية أَعَدّ قلوبا لتكون مستعدة لقبول كلامي. وأرى أن هناك انقلابا عظيما يحدث في الدنيا منذ أن بعثني الله تعالى بأمر منه. فالناس في أوروبا وأميركا- الذين كانوا مولعين بألوهية عيسى- قد بدأ الآن الباحثون منهم يتخلون من تلقاء أنفسهم عن هذا الاعتقاد. والأمة التي كانت معجبة بالأوثان والأصنام منذ زمن أجدادهم؛ قد فهِم معظمهم أن الأوثان ليست شيئا يُعتدّ به. مع أن هؤلاء الناس لا يزالون محرومين من الروحانية ومتشبثين ببعض الكلمات تقليدا فقط، ولكن مما لا شك فيه أنهم خلعوا من أعناقهم حبال آلاف التقاليد السخيفة والبدعات والشرك، وقد وقفوا على عتبات التوحيد.

إنني آمل أن تدفع رحمة الله الخاصة بعد زمن قريب كثيرين منهم إلى دار الأمان للتوحيد الصادق والكامل الذي يوهب معه الحبُّ الكاملُ والخوف الكامل والمعرفة الكاملة. إن أملي هذا ليس تخيُّلِيًّا قط، بل تلقيت هذه البشارة

بوحي الله المقدس. لقد عملت حكمة الله هذا العمل في هذا البلد لتجعل الأمم المتفرقة أمة واحدة سريعا، ولتُشرقَ شمس يوم الصلح والوئام. كل أمة تشم شذا ريحٍ أن جميع الأمم المتفرقة ستصبح أمة واحدة يوما من الأيام؛ فالسادة المسيحيون يروِّجون أفكارا أن العالم كله سيعتنق قريبا دينهم، وأنهم سيؤمنون بألوهية عيسى عليه السلام. وقد تولّد في اليهود أيضا الذين يسمَّون بني إسرائيل؛ حماس جديد في هذه الأيام بأن مسيحهم الخاص الذي سيجعلهم ورثة الأرض كلها على وشك الظهور في هذه الأيام. كذلك الأنباء الموجودة في الإسلام- التي تتناول وعدًا بمجيء مسيح- ينتهي موعدها على القرن الرابع عشر من الهجرة. ويرى عامة المسلمين أيضا أنه قد قرُب وقت انتشار الإسلام في الأرض كلها. ولقد سمعت من بعض بانديتات مذهب "سناتن دهرم" أنهم يحسبون العصر الراهن عصر ظهور نبي بينهم، ويقولون إنه نبي الزمن الأخير، وبواسطته سينتشر الدين في الدنيا كلها. مع أن الآريين لا يؤمنون بأية نبوءة، ولكنهم نتيجة تأثير الريح التي تهب حاليا؛ يسعون جاهدين أن ينتشر دينهم وحده في آسيا وأوربا وأميركا واليابان وغيرها من البلاد. والأغرب من ذلك أن هناك حماسا جديدا في البوذيين أيضا. والمضحك في الموضوع أن أصحاب الفئات الاجتماعية السفلى في هذا البلد أيضا يفكرون بكيفية تمكنهم من الخلاص من تسلط أقوام أخرى عليهم، ليحرزوا على الأقل قوة للمحافظة على مذهبهم.

قصارى القول، هناك ريح تهب في العصر الراهن؛ فكل فرقةٍ متحمسةٌ بكل شدة وقوة لِتَقَدُّم قومها ومذهبها، ويودون ألا يبقى للأمم الأخرى أيّ أثر أبدا، ويريدون أن يسيطروا على كل شيء بأنفسهم وينتشروا في كل حدب وصوب. ويهاجم أهل الأديان المختلفة بعضهم كتلاطمِ أمواج البحر ببعضها عند الطوفان.

باختصار، يتبين من هذه النشاطات بجلاء أن هذا هو الزمن الذي أراد الله تعالى فيه أن يجعل من الفِرق المختلفة أمة واحدة، ويلغي الحروب الدينية ويجمع الجميع على دين واحد. وعن هذا الزمن الذي هو زمن تلاطم الأمواج، يقول

الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[1]. فإذا قرأنا هذه الآية مع آيات سبقتها؛ تبيَّن المعنى، وهو أن في زمن تلاطم الأمواج الذي تهيج فيه ضجة كبيرة لأديان العالم ويقع دينٌ على دينٍ وقوعَ موج على موج، ويسعى الناس لقتل بعضهم بعضا، سيؤسس ربّ السماء والأرض جماعةً جديدة بيده دون أسباب دنيوية، ويجمع فيها كل هؤلاء الذين لديهم استعداد وانسجام، فيدركون حقيقة الدين، وتُنفخُ فيهم روح الحياة والصدق الحقيقي، ويُسقَون كأس معرفة الله. ومن الضروري ألا تنقطع هذه السلسلة ما لم تتحقق النبوءة التي أعلنها القرآن الكريم في الدنيا قبل ١٣٠٠ عام. ولم يكتف الله تعالى ببيان آية واحدة فقط عن الزمن الأخير الذي تُجمَع فيه الأمم كلها على دين واحد، بل قد وردت في القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة أيضا، منها أن البحار في ذلك الزمن تُفجَّر أنهارا وقنواتٍ، وستُكتَشف في الأرض مناجم (أي معادن) مخفية عديدة، وتظهر علوم أرضية كثيرة، وستُكتشَف أسباب تؤدي إلى نشر الكتب على نطاق واسع، (هذه إشارة إلى أدوات الطباعة). وستُكتشف في تلك الأيام مطية تُعطِّل العِشار، وبسببها تسهُل طرق اللقاءات والعلاقات المتبادلة بين الناس، ويتمكنون من إيصال الأخبار إلى بعضهم بسهولة. وأن الكسوف والخسوف سيحدثان في ذلك الزمن في شهر واحد. وأن طاعونا جارفا سيتفشى بعد ذلك؛ فلن تسلم منه مدينة أو قرية، ويكثر الموت في الدنيا حتى تغدو خرابا، تدمَّر بعض القرى كليا ولن يبقى لها أثر أبدا، بينما يحل ببعضها الآخر عذابٌ إلى حد ما، وستُنقذ في النهاية. ستكون تلك الأيام أيام غضب الله الشديد؛ لأن الناس لم يقبلوا آيات الله ﷻ التي ظهرت تأييدا لمرسَله في ذلك العصر، ورفضوا نبي الله الذي جاء لإصلاح الخلق، وكذَّبوه.

لقد تحققت في هذا العصر الذي نحن فيه تلك العلامات كلها، واتضح وتبين السبيل للعاقل الفطين بأن الله تعالى بعثني في وقت ظهرت فيه جميع العلامات

[1] الكهف: ١٠٠

المذكورة في القرآن الكريم والمشيرة إلى بعثتي. كافة هذه العلامات التي تشير إلى زمن المسيح الموعود مذكورة في الأحاديث أيضا، أمّا ما قدمتُه هنا، فهو من القرآن الكريم فقط.

ثم هناك علامة أخرى ذكرها القرآن الكريم عن زمن المسيح الموعود فقال: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[١]. فلما كان عدد الأيام سبعةً فقد حُدِّد في هذه الآية عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة، وذلك بدءا من زمن آدم الذي نحن أولاده. يتبين من كلام الله ﷻ أن الدنيا كانت موجودة قبل ذلك أيضا، ولكن لا نستطيع القول من كان هؤلاء الناس ومن أي نوع كانوا. يبدو أن دائرة الدنيا تنتهي على سبعة آلاف سنة، لذا فقد حُدِّدت سبعة أيام في الدنيا دلالةً على هذا الأمر، فكلٌّ يوم يمثل ألف عام. لا ندري كم دورةً مضت على الدنيا وكم من الأوادم ظهروا في أزمنتهم. ولما كان الله تعالى هو الخالق منذ القِدم؛ فنقبل ونؤمن بأن الدنيا قديمة من حيث نوعيتها، ولكنها ليست قديمة من حيث هويتها.

من المؤسف حقا أن يعتقد المسيحيون بأنه لم يمض على خلْقِ الله الدنيا وخلْقه السماوات والأرض إلا ستة آلاف سنة، وبأن الله ﷻ كان دون أيّ عمل قبل ذلك؛ أي كان عاطلا منذ الأزل. ولكن لا يسع عاقلا أن يقبل هذا الاعتقاد. أما اعتقادنا الذي علَّمنا إياه القرآن الكريم فهو أن الله تعالى خالقٌ منذ الأزل، وقادر على أن يهلك السماء والأرض ملايين المرات ويخلقها مرة أخرى كما كانت إذا أراد سبحانه وتعالى. ولقد أخبرَنا أيضا أن سلسلة البشر الحالية بدأت بمجيء آدم إلى الدنيا؛ الذي جاء بعد أمم سابقة وكان والدنا جميعا. وإن الدورة الكاملة لعمر السلسلة الحالية هي سبعة آلاف سنة. وإن السبعة الآلاف سنة هذه عند الله كسبعة أيام عند الناس. اعلموا أن سنّة الله حددت أن تكون دورة كل أمة سبعة آلاف سنة. وللإشارة إلى هذه الدورة حُدِّدت سبعة أيام للناس.

---

[١] الحج: ٤٨

باختصار، إن سبعة آلاف سنة محددة كدورة عمر بني آدم. وقد مضى من الدورة الحالية نحو خمسة آلاف سنة إلى عهد نبينا الأكرم ﷺ. أو قل إن شئت بتعبير آخر؛ إنه قد مضى نحو خمسة أيام من أيام الله، وقد أشير إليها في القرآن الكريم بحساب الجمَّل لحروف سورة العصر؛ فحين نزلت في زمن النبي ﷺ كان قد مضى على زمن آدم بقدر مجموع أحرف هذه السورة المباركة وفق حساب الجمَّل. ووفقاً لهذا الحساب قد مضت إلى الآن ستة آلاف سنة من عمر البشر وبقيت ألف سنة. لقد ورد في القرآن الكريم، بل في معظم الكتب السابقة أيضا أن المرسل الأخير الذي سيأتي حاملا صفات آدم ويُسمَّى باسم المسيح؛ سيُخلق في نهاية الألفية السادسة حتما كما خُلق آدم في نهاية اليوم السادس. إن في هذه الآيات كفاية للمتدبرين. وتقسيم هذه الألفيات السبع بحسب القرآن الكريم وكتب الله الأخرى؛ هو أن الألفية الأولى تكون لانتشار الخير والهداية، والألفية الثانية لسيطرة الشيطان، ثم الألفية الثالثة لانتشار الخير والهداية، والألفية الرابعة لغلبة الشيطان، ثم الألفية الخامسة لانتشار الخير والهداية. (هذه هي الألفية التي بُعث فيها سيدنا ومولانا خاتَم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ لإصلاح الدنيا، وصُفّد الشيطانُ) ثم الألفية السادسة هي زمن إطلاق سراح الشيطان وتسلطه الذي بدأ بعد القرون الثلاثة وانتهى على رأس القرن الرابع عشر. ثم الألفية السابعة هي ألفية الله ومسيحه؛ وهي زمن كل خير وبركة وإيمان وصلاح وتقوى وتوحيد وعبادة الله، وزمن كل نوع من الحسنة والهداية. ونحن الآن على رأس الألفية السابعة. ولا يوجد موطئ قدم لمسيح آخر بعد ذلك؛ لأن عدة العصور سبعة فقط، وقد قُسمت بين خيرٍ وشرٍ. ولقد بيّن الأنبياء جميعا هذا التقسيم، بعضهم إجمالا وبعضهم تفصيلا. وهذا التفصيل مذكور في القرآن الكريم، وتترشح منه بوضوح تام نبوءةٌ من القرآن الكريم بحق المسيح الموعود.

واللافت في الموضوع أن جميع الأنبياء قد أنبؤوا في كتبهم، بأسلوب أو بآخر، بزمن المسيح، وذكروا فتنة الدجال أيضا، ولا تكاد تكون في الدنيا نبوءة بهذه القوة والتواتر الذي أنبأ به الأنبياء جميعا بحق المسيح الأخير، ومع ذلك

يوجد في العصر الراهن أناس يرفضون صحتها؛ فيقول بعضهم: أثبِتوها من القرآن الكريم!

ولكن من المؤسف أنهم لو تدبروا القرآن وفكّروا فيه لاضطروا إلى الاعتراف بأن هذه النبوءة مذكورة في القرآن الكريم بوضوح تام بحيث لا يحتاج العاقل الفطين إلى توضيحها أكثر من ذلك. لقد أشير في سورة التحريم إلى أن بعض أفراد هذه الأمة سيُسمَّون ابن مريم لأنهم شُبِّهوا بمريم أولا ثم ذُكر نفخ الروح فيهم كما نُفِخَت في مريم، وبذلك أُشير إلى أنهم سيأخذون وجودا مريميا أولا ثم يترقَّون من هذا المقام ويتحولون إلى ابن مريم. وقد سماني الله تعالى في وحيه في البراهين الأحمدية "مريمَ" أولا فقال: "**يا مريم اسكن أنتَ وزوجكَ الجنة**"، أي ادخُلِ الجنة يا مريم أنتَ وأصدقاؤك. ثم قال: "**يا مريم نفختُ فيكَ من روح الصدق**" (أي كأن مريم حملتْ بالصدق، على سبيل الاستعارة). ثم قال: "**يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ**". ففي هذا المقام نُقلتُ من مقام مريمي وسُمِّيتُ عيسى، وبذلك اعتُبرتُ ابن مريم ليتحقق الوعد الوارد في سورة التحريم.

كذلك قيل في سورة النور إن الخلفاء كلهم سيأتون من هذه الأمة، ويُستنبَط من القرآن الكريم أنه سيأتي على الأمة زمنان خطيران جدا؛ الزمن الأول أتى في عهد خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، والزمن الثاني هو زمن الفتنة الدجالية الذي كان سيأتي في زمن المسيح، وقد أشير للاستعاذة من هذا الزمن في الآية: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾. وعن الزمن نفسه جاءت النبوءة في سورة النور بقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[1]. ومعنى هذه الآية مع الآية التي سبقتها هو أن الله تعالى يقول بأنه سيقع بهذا الدين في الزمن الأخير زلزال، وسيُخشى فيه أن يتلاشى هذا الدين من الدنيا كلها؛ عندها سوف يمكِّن الله الدينَ على الأرض كلها من جديد، وسيبدّل الخوفَ أمنا كما يقول في آية أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى

[1] النور: ٥٦

الدِّينِ كُلِّهِ﴾[١]. أي ليجعل الإسلام غالبا منتصرا على الأديان كلها. وهذه أيضا إشارة إلى زمن المسيح الموعود. كذلك هناك آية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢] إشارة أيضًا إلى زمن المسيح الموعود. وهناك تشابه، بحسب القرآن الكريم، بين زمن المسيح الموعود وزمن أبي بكر ؓ. وفي هذا الدليل القرآني كفاية لاطمئنان العقلاء الذين يتدبرون. وإن لم يكن ذلك كافيا في نظر جاهل، فلا بد له من الاعتراف بأنه لا يوجد في التوراة نبوءة بحق عيسى ؑ ولا بحق نبينا الأكرم ﷺ لأن تلك الكلمات أيضا مجملة، مما أدى إلى عثار اليهود فلم يؤمنوا.

فمثلا لو أُنبئ عن النبي ﷺ بكلمات صريحة أنه سيولَد في مكة ويكون اسمه المبارك "محمد" واسم أبيه عبد الله، واسم جده عبد المطلب، وسيكون من بني إسماعيل، وسيهاجر إلى المدينة، وسيولَد بعد موسى بمدة كذا وكذا؛ لما استطاع أحد من اليهود إنكاره لوجود هذه العلامات. أما بالنسبة إلى النبوءة بحق المسيح الناصري ؑ فقد واجه اليهود مشاكل أكبر من ذلك، وبسببها عَدُّوا أنفسهم معذورين بحق؛ لأن هناك نبوءة عن المسيح ؑ أنه لن يُبعث ما لم يعُد إيليا إلى الدنيا، ولكن إيليا ما عاد إلى الآن، بينما كان هناك شرط في كتاب الله أنه لا بد أن يأتي إيليا إلى الدنيا ثانيةً قبل أن يأتي المسيح الصادق من الله. فردَّ المسيح على ذلك أن المراد من ذلك هو مثيل إيليا وليس إيليا الحقيقي. ولكن اليهود يقولون بأن ذلك تحريف في كلام الله وبأنهم أُخبِروا بعودة إيليا الحقيقي. فيتبين من ذلك أن النبوءات عن الأنبياء تكون دقيقة دائما ليتميَّز الشقي من السعيد.

وإضافة إلى ذلك، من الواضح أن الادّعاء الذي يكون مبنيا على الصدق فلا يصحبه دليل واحد فقط، بل يلمع من جميع جوانبه مثل الجوهرة الحقيقية تماما التي يلمع كل جانب من جوانبها.

---

[١] الصف: ١٠

[٢] الحجر: ١٠

فأقول بكل قوة بأن ادّعائي كوني المسيح الموعود أيضا هو أيضا من النوع نفسه، أي يلمع من كل جانب. فانظروا أولا أني ادّعيتُ كوني من الله ﷻ وكوني مشرَّفا بمكالمة الله ومخاطبته منذ ما يقارب ٢٧ عاما، أي قبل تأليف "البراهين الأحمدية" بفترة طويلة، ثم نُشر هذا الإعلان في زمن "البراهين الأحمدية" وفي الكتاب نفسه الذي مضى على نشره ما يقارب ٢٤ عاما.

لكل عاقل فطين أن يدرك أن حبل الكذب لا يكون طويلا إلى هذا الحد. ومهما كان أحد كذابا لن يتمكّن من ارتكاب الوقاحة بطبيعة الحال إلى مدة تكفي ليولد فيها ولدٌ ويصبح ذا عيال.

كذلك لن يقبل عاقل أن شخصًا يفتري على الله تعالى منذ ما يقارب ٢٧ عاما، ويختلق كل صباح إلهامات ونبوءات من عنده ثم ينسبها إلى الله، ويدّعي كل يوم أن الله قد أوحى إليه، وأن كلاما كذا وكذا نزل عليه من الله، مع أن الله تعالى يعلم أنه كاذب فيما يقول؛ إذ لم يُوحَ إليه شيء ولم يكلّمه سبحانه وتعالى قط، بل يحسبه الله شخصا ملعونا ولكن مع ذلك ينصره ويرزق جماعته تقدما وازدهارا، وينقذه من جميع البلايا والمكايد التي ينسجها له الأعداء.

ثم هناك دليل آخر يتبين منه صدقي كوضح النهار ويبرهن على كوني من الله؛ فعندما لم يعرفني أحد، أيْ في زمن البراهين الأحمدية حين كنتُ أؤلفه منـــزويا في زاوية الخمول، ولم يكن أحد مطّلعا على حالتي إلا الله عالم الغيب، خاطبني سبحانه وتعالى في ذلك الزمن وأظهر عليّ بعض النبوءات التي نُشرت في البراهين الأحمدية في زمن الخمول والعزلة والإفلاس، ونُشرت في البلاد كلها وهي:

"يا أحمدي أنت مرادي ومعي. سرّك سري. أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تُعان وتُعرف بين الناس.. (أي الوقت قريب حين يُعَدّ الناسُ لنصرتك). أنت مني بمنـــزلة لا يعلمها الخلق. ينصرك الله في مواطن. أنت وجيه في حضرتي. اخترتُك لنفسي، وإني جاعلك للناس إماما... (أي سأجعل كثيرا من الناس تابعين لك، وتُجعَل إماما لهم). ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء. (ليدعموك بأموالهم) يأتيك (الدعم المالي) من كل فجٍّ عميق.

يأتون من كل فجٍّ عميق. ولا تصعِّر لخلق الله ولا تسأم من الناس. وقل ربِّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين. أصحاب الصُّفة، وما أدراك ما أصحاب الصُّفة. ترى أعينهم تفيض من الدمع. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان. إني جاعلك في الأرض خليفة. يقولون أنّى لك هذا؟ قل الله عجيب.. (أي يقولون تحقيرا وازدراء: من أين لك هذه المرتبة؟ فقل لهم بأن الله ذو قدرات عجيبة). لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. ويقولون إن هذا إلا اختلاق. قل الله، (الذي أسس هذه الجماعة) ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. يريدون أن يطفئوا نور الله والله متم نوره.. (أي سيوصله إلى جميع القلوب المستعدة). ولو كره الكافرون. يعصمك الله ولو لم يعصمك الناس. إنك بأعيننا. سمَّيتُك المتوكل. وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيثَ من الطيب. شاتان تُذبحان، وكل مَن عليها فانٍ. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون."

ليكن معلوما أن أربع نبوءات عظيمة الشأن ذُكرت في هذه الإلهامات.

(١) لقد بشّرني الله في زمن كنت فيه وحيدا ولم يكن معي أحد، وقد مضى على ذلك الزمن قرابة ٢٣ عاما أنك لن تبقى وحيدا بل الوقت آتٍ بل هو قريب حين يكون الناس معك أفواجا، وسيأتونك من أماكن نائية، وسيأتون بكثرة حتى تكاد تسأم منهم أو تُصعِّر لهم، ولكن عليك ألا تفعل ذلك.

(٢) النبوءة الثانية هي أنه ستصلك من هؤلاء الناس نصرة مالية كبيرة. والدنيا كلها تشهد على هذه النبوءات أنها حين سُجِّلت في البراهين الأحمدية؛ كنت وحيدا في زاوية الخمول في قاديان، وهي قرية قفراء. ولم تمض على ذلك عشر سنوات حتى بدأ إقبال الناس كما جاء في إلهام الله، وبدأ الناس يتوافدون للنصرة بأموالهم، وقد بايعني إلى يومنا هذا أكثر من مئتَي ألف شخص.

والنبوءة الثالثة في الإلهامات المذكورة هي أن الناس سيسعون ليمحوا هذه الجماعة ويطفئوا هذا النور، ولكنهم سيفشلون في سعيهم هذا. أما إذا اختار

أحدٌ طريق الإلحاد صراحة؛ فمن يستطيع أن يمنعه؟ وإلا فهذه النبوءات الثلاث تسطع كالشمس.

من الواضح أنه إذا أمكن التنبؤ في هذا الزمن بالتخمين والتخريص أو بالعقل فقط، لشخصٍ يعيش في زاوية الخمول وهو وحيد وعديم الحيلة لا حول له ولا قوة، ولا علامات تشير إلى أنه سيُجعل إماما لمئات الآلاف من الناس، ولا مؤشر على تقديم الناس له آلاف الروبيات؛ أنه سينال إقبال الناس ونصرة الله إلى هذا الحد، فليقدم المنكرون نظيرا بذكر اسمه. وخاصة إذا وُضعت النبوءتان المذكورتان آنفًا مع النبوءة الثالثة التي تفيد أن الناس سيبذلون قصارى جهودهم لكيلا تتحقق هذه النبوءات، ولكن الله تعالى سيحققها، ولن يكون بدّ من الاعتراف بالنظر إلى هذه النبوءات الثلاثة نظرة شاملة بأنها ليست من صنع الإنسان، لأنه ليس للإنسان أن يدّعي أنه سيعيش أيضا إلى تلك المدة.

والنبوءة الرابعة في تلك الإلهامات هي أن شخصين من المنتمين إلى هذه الجماعة سيُستَشهَدان في تلك الأيام. فقد استُشهد الشيخ عبد الرحمن بأمر من الحاكم عبد الرحمن والي كابول، واستُشهد المولوي صاحب زاده عبد اللطيف خانْ في كابول بأمر من الحاكم حبيب الله.

إضافة إلى ذلك هناك مئات النبوءات التي تحققت في وقتها. ففي إحدى المرات أخبرتُ المولوي الحكيم نور الدين قبل الأوان أنه سيُرزق ولدًا مع عدة بثور على جسمه؛ وكذلك كان. فقد ولِد ذلك الولد وعلى جسمه بثور. قد يكون المولوي نور الدين موجودا في هذا الاجتماع ويستطيع كل شخص أن يسأله مستحلفا إياه فيما إذا كان ذلك صحيحا أم لا. ثم حدث مرة أن مرض عبد الرحيم ابن سردار محمد علي خان زعيم "مالير كوتله" وبدت بوادر اليأس للعيان، فأخبرني الله بإلهامٍ أنه يمكن أن يُشفى بشفاعتك. فأكثرت له من الدعاء كناصح مشفق، وشُفي الولد وكأن ميّتًا قد أُحيي. كذلك مرض ابنه الثاني- واسمه عبد الله خان- وأوشك على الموت نتيجة إصابته بمرض خطير. فأُخبرتُ بشفائه أيضا، وشُفي بدعائي.

بالإضافة إلى ذلك هناك آيات كثيرة لو سجّلت كلها لاستحال أن ينتهي هذا المقال حتى في عشرة أيام. والشاهد على تلك الآيات ليس شخصا أو شخصين بل يشهد عليها مئات الآلاف من الأشخاص. لقد سجّلتُ منها ١٥٠ آية في كتابي "نزول المسيح" الذي سيُنشر قريبا. ولتلك الآيات عدة أنواع، فمنها ما ظهر في السماء، وبعضها ظهر على الأرض، ومنها ما يتعلق بالأصدقاء ومنها بالأعداء وقد تحققت. بعضها يتعلق بشخصي أنا وبعضها بأولادي. وقد تحققت بعض من تلك الآيات بواسطة عدوٍّ من الأعداء دون أن يكون لي أي دخل فيها، كما باهلني المولوي غلام دستغير القصوري من جانب واحد في كتابه "فتح رحماني" ودعا أن يُهلك اللهُ الكاذبَ منا، فلم يمض على دعائه إلا بضعة أيام حتى هلك، وبموته شهِدَ على صدقي. وهناك ألوف من الناس الذين أظهر الله عليهم صدقي بالرؤى.

فباختصار، هذه الآيات كلها بيّنة وجليّة بحيث لو أُلقِيت عليها نظرة إجمالية، لما وسع الإنسانَ إلا القبول. يقول بعض المعارضين المعاصرين إنه لو قدِّم الدليل من القرآن الكريم لقبلناه. فأجيبهم: هناك أدلة كثيرة في القرآن الكريم على كوني مسيحا موعودا وقد أوردتُ بعضها قبل قليل. ولكن تقديم هذا الشرط أيضا تعنُّت صريح وعناد سافر، إذ ليس ضروريا للإيمان بصدق أحد أن يكون الخبر عنه مذكورا في كتاب سماوي بكلمات واضحة. فإذا كان هذا الشرط ضروريا لما ثبتت نبوة أي نبي. الحق أنه يجب الانتباه إلى حاجة العصر أولا لتصديق ادّعاء أحد. ثم ينبغي النظر فيما إذا كان قد جاء في وقت حدَّده الأنبياء أم لا. ثم لا بد من التأمل أيضا؛ هل أيده الله تعالى أم لا؟ ثم يجب النظر فيما إذا رُدَّ كما يجب أم لا على اعتراضات أثارها الأعداء ؟ وإذا تحققت جميع هذه الأمور فلا بد من الاعتراف أن هذا الشخص صادق، وإلا فلا.

والمعلوم أن العصر ينادي بلسان حاله أن هناك ضرورة حتما- بُغية رفع الفُرقة بين الفِرق الإسلامية ولحماية الإسلام من الهجمات الخارجية، وإقامة الروحانية مجددّا التي اندثرت من الدنيا- لمصلح سماوي يهب اليقين مرة أخرى

ويسقي جذورَ الإيمان، وبذلك يخلِّص من السيئات والذنوب ويوجِّه إلى الحسنة والصدق. فإن بعثتي في وقت الضرورة أمرٌ واضح جليّ، ولا أخال أحدا يسعه إنكارها إلا من كان متعنتًا شديد التعنت.

والشرط الثاني، أي البحث فيما إذا جاء المدعي بحسب موعد حدده الأنبياء أم لا؟ فقد تحقق هذا الشرط أيضا بمجيئي؛ لأن الأنبياء قد أنبؤوا ببعثة المسيح الموعود حين تكون الألفية السادسة موشكة على الانتهاء. فقد انتهت الألفية السادسة- بحسب التقويم القمري اعتبارا من بعثة آدم عليه السلام- منذ مدة لا بأس بها، أما بحسب التقويم الشمسي فقد أوشكت الألفية السادسة على الانتهاء.

وإضافة إلى ذلك فقد قال نبينا الأكرم ﷺ أنه سيأتي على رأس كل قرن مجدد يجدّد الدين، وقد مضى من القرن الرابع عشر واحد وعشرون عاما، ونحن الآن في العام الثاني والعشرين. أليس في ذلك دلالة على أن ذلك المجدد قد أتى؟!

والشرط الثالث هو: هل أيد الله تعالى المدّعي أم لا؟ وهنا أقول بأن تحقق هذا الشرط بحقي أيضا واضح وجليٌّ؛ لأن بعض الأعداء من كل قوم في هذه البلاد أرادوا أن يهلكوني، وأخرجوا كل ما في جعبتهم وسعوا كل سعي، ولكنهم فشلوا وخابوا في مساعيهم. لم يكن في نصيب أي قوم فخرٌ ليستطيعوا القول بأنه لم يسعَ أحد منهم لتدمير هذا الشخص. ولكن الله تعالى أكرمني على عكس مساعيهم، وجعل آلاف الناس أتباعي. فإن لم يكن ذلك تأييدًا من الله فماذا يكون إذًا؟! مَن لا يعرف بأن كل قوم بذلوا قصارى جهدهم ليهلكوني، ولكني لم أُهلَك على الرغم من جهودهم المضنية، بل ظللتُ أزدهر يوما إثر يوم حتى زاد عدد جماعتي على مئتَي ألف مبايع. فلو لم تكن يد الله الخفية معي، ولو كان مشروعي كله مجرد كيد الإنسان؛ لصرتُ حتما عرضة سهم من تلك السهام المختلفة ولدُمِّرتُ منذ فترة طويلة، ولما وُجد حتى لقبري أيّ أثر؛ لأن الذي يفتري على الله الكذب تظهر لهلاكه عدة سبل؛ لأن الله يكون عدوًا له. ولكن الله تعالى أنقذني من جميع مكايدهم كما أخبر قبل ٢٤ عاما.

ثم ما أجلاه من تأييد! إذ أخبرني الله تعالى في "البراهين الأحمدية" بكلمات واضحة في زمن خمولي وعزلتي قائلاً: سأنصرك وأجعل معك أناسا كثيرين، وأخيِّب آمال الذين يتصدون لذلك. ففكِّروا بقلب نزيه وسليم، ما أبرزه من تأييد! وما أوضحها من آية! هل يملك أحد تحت أديم السماء قدرة- إنسانا كان أم شيطانا- لينبئ بنبوءة كهذه في زمن خموله، ثم تتحقق بجلاء تام؟ وأن يهُبَّ ألوف من الأعداء دون أن يعيق أحدٌ تحققها؟

والشرط الرابع هو: هل ردَّ المدّعي ردًّا مفحما على اعتراضات أثارها الأعداء أم لا؟ لقد تحققت هذه النبوءة أيضا بكل جلاء؛ لأنه كان من أكبر اعتراضات المعارضين أن المسيح الموعود هو عيسى عليه السلام نفسه، وهو الذي سيعود إلى الدنيا بعينه. فرددتُ عليهم أنه قد ثبت من القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام قد مات؛ ولن يعود إلى الدنيا أبدا، فقد قال تعالى على لسان المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[1]، ولا أدري ماذا فعلوا بعدي.

يتبين من هذه الآيات أن عيسى عليه السلام سيقول يوم القيامة: إن النصارى لم ينحرفوا في حياتي، ولم أعرف بعد مماتي ما آلت إليه حالتهم. فلو سلّمنا أن عيسى عليه السلام مازال حيا؛ فلا بد من التسليم أيضا أن النصارى لم ينحرفوا بعد، بل لا يزالون ثابتين على دين صادق. إضافة إلى ذلك فإن عيسى عليه السلام يُظهر عدم علمه بانحراف النصارى بعد وفاته ويقول: ياربّ لا أعرف عن حالة قومي شيئا منذ أن أمتَّني. فلو صحّ القول بأنه سيعود إلى الدنيا قبل القيامة وسيحارب الكفار في معيّة المهدي؛ لبطُلت هذه الآية القرآنية، والعياذ بالله، أو نضطر إلى

---

[1] المائدة:١١٧- ١١٨

قبول أن عيسى عليه السلام سيكذب في حضرة الله يوم القيامة، وسيكتم عودته إلى الدنيا ومكثه فيها أربعين عاما ومحاربته النصارى في معية المهدي.

قصارى الكلام، أنه لو كان أحد مؤمنا بالقرآن الكريم لبطُلت- بهذه الآية وحدها- الخطة القائلة بمجيء مهدي سفاك ونزول عيسى عليه السلام من السماء لنصرته. والذي يعتنق هذا الاعتقاد يهجر القرآن الكريم دون أدنى شك.

عندما يُغلَب معارضونا على أمرهم في كل مجال يقولون في الأخير: إن بعضا من أنبائك لم يتحقق، كالنبأ عن "آتهم". أتساءل: أين آتهم الآن؟ إن مغزى النبوءة كانت أن الكاذب سيموت في حياة الصادق، فمات آتهم، أما أنا فما زلتُ حيا. ثم إن النبوءة كانت شرطية؛ أي كان ميعادها مرتبطا بشرط مذكور فيها. فلأن آتهم ظل مذعورا بعد الاطلاع على النبوءة؛ فقد حقق الشرطَ، لذلك أُعطي مهلة بضعة أشهر أخرى. ولكن من المؤسف حقا أن مثيري مثل هذا الاعتراض لا يفكرون أن النبي يونس أيضا أنبأ دون أن يرافق نبوءته أي شرط قط- كما ورد في سِفر النبي يونان- ولكن النبوءة لم تتحقق. الحق أن أنباء الوعيد (أي التي وُعد فيها بنـــزول العذاب على أحد) تكون مشروطة عند الله دائما بشرط التوبة أو الصدقات أو بإظهار الخوف، ويمكن أن يتأخر تحققها أو تزول نهائيا نتيجة التوبة والاستغفار والصدقة وخشية الله، وإلا لا يمكن اعتبار النبي يونس نبيا أصلا؛ لأن نبوءته القطعية لم تتحقق. إن مشيئة الله تعالى المتعلقة بعذاب مجرم؛ يمكن أن تزول نتيجة الصدقات والدعاء، ويمكن أن تزول بمجرد الخوف أيضا. فحصيلة النبوءات عن العذاب هي أن الله تعالى إذا أراد أن يعذب أحدا؛ وأظهر إرادته هذه على نبي من الأنبياء، فلماذا يمكن أن تزول تلك المشيئة نتيجة الدعاء والصدقات إذا لم يكن الله قد أظهرها على نبي، وإذا أظهرها فلا يمكن زوالها؟ هذه الفكرة سخف محض وفيها معارضة الأنبياء جميعا.

إضافة إلى ذلك، تكون بعض الأنباء مجملة، وبعضها من المتشابهات فتنكشف حقيقتها فيما بعد. صحيح أيضا أنه يمكن أن يخطئ اجتهاد نبي أحيانا عند

الاستنباط من نبوءة، ولكن لا غضاضة في ذلك لأن النبي أيضا بشرٌ. لقد أنبأ عيسى عليه السلام بأن اثني عشر من حوارييه سيجلسون على العرش في الجنة، ولكن هذا لم يتحقق؛ إذ ارتد أحدهم واستحق جهنم. وقال أيضا بأن أناسًا من عصره يكونون أحياء حين عودته إلى الدنيا ثانية و لم يتحقق ذلك أيضا. وهناك أنباء عديدة لعيسى عليه السلام لم تتحقق بسبب الخطأ في الاجتهاد.

باختصار، كانت هذه أخطاء اجتهادية. أما فيما يتعلق بنبوءاتي؛ فلو سمعها أحد بالصبر وصدق القلب لوجد أن أكثر من مائة ألف نبوءة وآية قد أُظهِرت تأييدا لي. فمن الوقاحة المتناهية ألا يستفيدوا من آلاف النبوءات التي تحققت، ويجعلوا نبوءة واحدة لم يفهموها عرضة للاعتراض ويثيروا ضجة ويصدروا قرارهم بناء على هذه النبوءة الوحيدة. إنني آمل وأقول بكل ثقة ويقين: لو مكث أحد عندي ولو أربعين يوما لرأى آية حتما. والآن أُنهي كلامي وأنا موقنٌ بأن في ذلك كفاية للباحث عن الحق. والسلام على من اتبع الهدى.

الراقم: ميرزا غلام أحمد القادياني

الحاشية

استفسرني اليوم- في رسالة بتاريخ ٢/٩/ ١٩٠٢م- شخص يُدعى حكيم مرزا محمود الإيراني، معنى الآية: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[1].

فليكن واضحا أن هذه الآية القرآنية تحمل في طياتها أسرارا كثيرة تستحيل الإحاطة بها، وتحت ظاهرها باطن أيضا. ومعناها الذي كشفه الله تعالى عليّ هو أن هذه الآية مع سياقها تضم نبوءة عن المسيح الموعود وتحدد وقت ظهوره. وبيان ذلك أن المسيح الموعود أيضا ذو القرنين. وفي الآية القرآنية إشارة إلى أن ذلك المسيح الموعود الذي سيظهر يوما ما؛ ستشمل ولادته وبعثته قرنَين، وهذا ينطبق عليّ تماما. فقد ظهر وجودي في قرنَينِ معروفَينِ سواء كانا بحسب التقويم الهجري أو الميلادي أو التقويم الهندي، بحيث كان ظهوري في قرنَين في كل الأحوال، وما اقتصرت فترة ولادتي وبعثتي على قرن واحد فقط.

باختصار، فإن ولادتي وبعثتي لم تقتصرا- بحسب علمي- على قرن واحد لأي دين كان، بل امتدّتا إلى قرن ثان أيضا. فأنا ذو القرنين بهذا المعنى. ففي بعض الأحاديث أيضا سمِّي المسيح الموعود ذو القرنين، ومعنى ذي القرنين الذي ذهبتُ إليه؛ هو المعنى نفسه المذكور في تلك الأحاديث. والمعاني الأخرى للآية، بحسب النبوءة، هي أن هناك قومَين كبيرينِ في الدنيا بُشِّروا بالمسيح الموعود، وجُعلوا أحق بدعوة المسيح قبل غيرهما. فيقول الله تعالى هنا على سبيل الاستعارة: إن المسيح الموعود- الذي هو ذو القرنين- سيجد أثناء سيره قومَين؛ قوما متربعًا في ظلام على عينٍ آسنة لا يصلح ماؤها للشرب، بل فيها وحلٌ كريه الرائحة جدًا لدرجة لا يصح أن يسمَّى ماءً أصلا. وهم قوم المسيحيين الجالسين في الظلام؛ الذين جعلوا عين المسيح آسنة وذات رائحة كريهة بسبب

[1] الكهف: ٨٧

أخطائهم. وفي سيره الثاني سيجد المسيح الموعود- الذي هو ذو القرنين- قوما جالسين في حرّ الشمس المحرقة ولا سِتْرَ بينهم وبين حرّ الشمس. لم ينالوا من الشمس نورا، بل كان نصيبهم منها احتراق أبدانهم بحرِّها، واسوداد جلودهم. والمراد من هذا القوم هم المسلمون الذين يواجهون الشمس، ولكنهم مع ذلك لم يستفيدوا من نورها شيئا إلا الاحتراق. أي قد أُعطوا نور شمس التوحيد، ولكنهم لم ينالوا منها نورا حقيقيا سوى الاحتراق. بمعنى أنهم فقدوا جمال الدين الحقيقيَ، وافتقروا إلى الأخلاق الفاضلة، ولم يكن من نصيبهم إلا العناد والبُغض وحِدَّة الطبع والتصرفات الهمجية.

فملخص الكلام أن الله تعالى يقول هنا إن المسيح الموعود- الذي هو ذو القرنين- سيأتي حين يكون المسيحيون في ظلام دامس، ولن يكون في نصيبهم إلا حمأ مسنون. أما المسلمون فلن يكون عندهم إلا توحيدٌ ظاهري، ويكونون قد احترقوا بنار العناد والهمجية، ولن يكون هناك توحيدٌ نزيه. ثم سيجد المسيح الموعود- الذي هو ذو القرنين- قوما ثالثا متضايقا جدا من يأجوج ومأجوج، ويكونون ثابتين على الدين بقوة، وذوو طبائع سليمة، فيستعينون بالمسيح الموعود الذي هو ذو القرنين ليجتنبوا صولات يأجوج ومأجوج، فيجعل لهم المسيح الموعود سدًّا منيعا لامعًا؛ أي يعلّمهم براهين قوية في تأييد الإسلام، ويسدّ بها هجمات يأجوج ومأجوج كليا، وسيمسح دموعهم، ويعينهم بكل طريقة ممكنة ويكون معهم. وهذه إشارة إلى الذين يؤمنون بي. هذه نبوءة عظيمة الشأن؛ وقد أُنبئ فيها بصراحة كاملة بظهوري وبوقت بعثتي وبجماعتي. فطوبى للذي يقرأ هذه النبوءات بتدبر.

من سُنَّة القرآن الكريم أنه يذكر في نبوءاته أحدا، ولكن يكون المراد هو النبوءة عن المستقبل؛ كما وردت في سورة يوسف نبوءة من هذا النوع؛ إذ ذُكرت في الظاهر قصة، ولكنها تتضمن نبوءة. فكما نظر إخوة يوسف إليه في البداية بازدراء وتحقير ثم صار حاكما عليهم في نهاية المطاف، فإن ذلك ما

سيحدث الآن أيضا مع قريش. وبالطريقة نفسها رفض أولئك الناسُ النبيَّ ﷺ وأخرجوه من مكة، ولكن الذي رفضوه جُعل مقتداهم وحاكما عليهم.

فمن الغريب حقا أن ترد في القرآن الكريم عن المسيح الموعود- أي عن هذا العبد المتواضع- نبوءات متكررة إلى هذا الحد، ثم يقول بعض الذين لا يملكون روح البصيرة؛ إنه لم يرد في القرآن الكريم أيّ ذكر للمسيح الموعود! إن مثلهم كمثل المسيحيين الذين لا يزالون يقولون: إنه لم ترد عن رسول الله ﷺ نبوءة في التوراة.

ترجمة بيتين فارسيين:

"أعينهم وآذانهم مفتوحة، وذكاؤهم وقّاد، ولكن يا عجباً إنهم لا يرون الله

كنانتهم بالسهام مليئة، والصيد على مقربة منهم ولكنهم يطلقون السهام إلى مكان بعيد".

الراقم: ميرزا غلام أحمد القادياني

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

ٹائیٹل بار اول

هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ

رسید مژدہ ز غیبم کہ من ہماں مردم — کہ او مجدّد ایں دین و رہنما باشد
منم مسیح بہ بانگِ بلند میگویم — منم خلیفہ شاہے کہ بر سما باشد
چنیں زمانہ چنیں دَور ایں چنیں برکات — تو بے نصیب بشی وہ چہ ایں شقا باشد
سیاہ باد رخِ بخت من اگر بدلم — دگر غرض بجز از یار آشنا باشد

خدا کے مُرسل

حضرت مسیح موعود مہدی معہود

عالی جناب میرزا غلام احمد صاحب قادیانی

کا لیکچر موسومہ بہ

اسلام

جو ۲ نومبر ۱۹۰۴ء کو بمقام سیالکوٹ ایک عظیم الشان جلسہ میں پڑھا گیا

جسکو

چوہدری مولا بخش صاحب بھٹی احمدی نائب محافظ دفتر ضلع سیالکوٹ نے

مفید عام پریس شہر سیالکوٹ میں چھپوا کر شائع کیا

جلد ۱۲۰۰ قیمت فی جلد ۲

ترجمة صفحة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

(ترجمة أبيات فارسية):

لقد تلقيتُ البشرى من الغيب أني أنا البطل الذي هو المجدد والهادي في هذا الدين.

إني أنا المسيح؛ وأقول ذلك علنًا، وأنا خليفة الملك الذي في السماء.

العصر هو هو، والفترة هي هي، والبركات هي هي، وأنت تذهب محروما منها، فيا لها من شقاوة!

فليسودّ نصيبي إذا كان في قلبي طمع آخر غير قرب ذلك الحبيب.

محاضرة المرسل من الله

المسيح الموعود والمهدي المعهود

سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني

بعنوان

الإسلام

التي قرئت في اجتماع حاشد في ١٩٠٤/١١/٢م في سيالكوت

والتي طبعها في مطبعة "مفيد عام" بمدينة سيالكوت،

شودهري مولا بخش بهتي الأحمدي نائب مدير في مكتب محافظة سيالكوت

عدد النسخ: ١٢٠٠. سعر النسخة: آنتان

"هنيئًا بمجيء المهدي المعهود، هنيئًا بمقدم عيسى الموعود
تغار اليوم الجنة والفردوس من مدينةِ سيالكوت، فهنيئًا بشرف استقبال المسعود
لقد جاء إلى العالم ذلك الإمام الأعظم، فهنيئًا بمجيء الحَكَم العَدْل والمحمود
اغفر لنا ببركته يا ربنا الكريم، فهنيئًا لنا بفضلك ورحمتك وَجُودك"[1]

لقد وهب الله تعالى لأرض سيالكوت مزِيَّة فريدة إذ توجد فيها قلوب كثيرة مليئة بالإخلاص والحب من مؤيدي هذه الجماعة المقدسة. عندما عاد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام - بعد تفرّغه من سفر لاهور، وصل حضرته الذي هو لطف ورحمة متجسدة- إلى سيالكوت بالقطار بتاريخ ١٩٠٤/١٠/٢٧م مرورا بلاهور، وذلك بناء على طلب مبني على إخلاص وإصرار شديدين من أفراد الجماعة في سيالكوت. وفي الطريق توافد أفراد فروع الجماعة المحلية إلى محطات القطار على طول الطريق بكل شوق وحبّ لزيارته عليه السلام حتى وصل القطار في الساعة السادسة والنصف إلى محطة سيالكوت. كان المشايخ المعارضون ثائرين سلفا بسبب محاضرة المولوي عبد الكريم، فكانوا عاكفين على إغواء عامة الناس وكانوا يقولون في محاضراتهم إن الذي يذهب لزيارة الميرزا سيفسخ نكاحه ويُعَدّ مرتدا عن الإسلام. ولكن الله لا يسمح أن تقوم لمثل هذه المعارضة قائمة. فكان الناس متحمسين من تلقاء أنفسهم ومشتاقين عفويا لرؤيته حتى اجتمع قبل الموعد ألوف من الناس على المحطة وفي الشوارع والأزقة، فكان هناك جمعٌ حاشد وعظيم بمناسبة مقدم المسيح الموعود عليه السلام. وظل الحماس والشوكة الدينية سائدة على مدينة سيالكوت إلى أسبوع كامل لم يلاحَظ نظيرها من قبل.

[1] ترجمة أبيات أردية. (المترجم)

الضيافة التي قدّمتها جماعة سيالكوت كانت جديرة بالإشادة والتقدير من كل الجوانب والنواحي. لا شك أن هذه مناسبة مباركة جدا لجماعة سيالكوت إذ حرر المسيح الرباني هذه المحاضرة جالسا بينهم وقُرئت عليهم. فطوبى لكم يا سكان هذه المدينة التي يحبها المبعوث الرباني مثل مولده، على أن جاء المسيح الرباني إليكم وشرّفكم بعقد هذه الجلسة العظيمة. وطوبى لك يا أرض، فاسعدي وتغنِّي بالفرحة والسعادة إذ وطئتك أقدام المهدي.

فيا مسيح الله، يا كرشنا، يا قاتِلَ الخنازير وراعيَ الأبقار، لتُمْدَحْ في العالم، وليجد الناس نور الهداية ببركة قدمَيك، ويخرجوا من هوة الضلال، آمين.

العبد المتواضع: مولا بخش بهتي الأحمدي، الساكن في مدينة "شونده" مديرية "ظفر وال" محافظة سيالكوت.

وحاليا: نائب مدير في مكتب محافظة سيالكوت.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

الإســــلام

لو ألقينا نظرة على أديان العالم لوجدنا في كل واحد منها خطأ ما إلا الإسلام. ولكن ليس لأنها كاذبة منذ بداية عهدها، بل لأن الله تعالى تخلى عن تأييدها بعد ظهور الإسلام، فصارت كبستان بلا بستاني ولا سبيل إلى سقيها ونظافتها؛ لذا تطرَّقت إليها المفاسد رويدا رويدا ويبست الأشجار المثمرة كلها وحلت محلها الأشواك والطفيليات. لقد تلاشت الروحانية تماما التي هي روح الدين، ولم تبق في أيديهم إلا الكلمات الظاهرية فقط. ولكن لم يعامل الله تعالى الإسلام على هذا النحو. فلما أراد ﷻ أن تبقى هذه الحديقة خضراء نضرة إلى الأبد، فظل يسقيها على رأس كل قرن، فأنقذها من اليبس. مع أنه كلما قام عبد من عباد الله على رأس كل قرن، قاومه الجهلاء من الناس وشقّ عليهم كثيرا أن يُصلح خطأهم الذي تطرّق إلى عاداتهم وتقاليدهم. ولكن الله تعالى لم يتخلّ عن سنته، وحين وجد المسلمين في الزمن الأخير في القرن الرابع عشر وعلى رأس الألفية الأخيرة- التي تمثل المعركة الأخيرة بين الهدى والضلال- في غفلةٍ، أوفى بعهده مرة أخرى وجدّد الإسلام. أما الأديان الأخرى فلم يتسنّ لها هذا التجديد بعد بعثة نبينا ﷺ؛ فماتت كلها، ولم تبق فيها روحانية، وترسّخت عليها كثير من الأخطاء كما يترسّخ الوسخ على ثوب استُخدِم طويلا ولم يُغسَل قط. وتدخّل في تلك الأديان أناس- لم تكن لهم علاقة مع الروحانية ولم تكن نفوسهم الأمارة نزيهة من شوائب الحياة السفلية- بغير وجه حق حسب أهوائهم، وشوَّهوا صورها حتى صارت شيئا آخر تماما. خذوا المسيحية مثلا؛

فقد كانت قائمة على مبادئ طيبة في بداية عهدها. ومع أن التعليم الذي جاء به عيسى عليه السلام كان ناقصا- مقارنة مع تعليم القرآن الكريم؛ لأن وقت التعليم الكامل ما كان قد حان بعد، والطبائعُ الضعيفة ما كانت تستحق ذلك التعليم- ولكنه مع ذلك كان تعليما جيدا جدا بحسب مقتضى الحال، وكان يهدي إلى الإله الذي هدت إليه التوراة. أما بعد المسيح عليه السلام فقد صار للمسيحيين إلـــه آخر لم يرد ذكره في تعليم التوراة قط، ولا يعلم عنه بنو إسرائيل شيئا. وبالإيمان بهذا الإلـــه الجديد انقلبت مبادئ التوراة كلها رأسا على عقب، واختلت موازين كافة التعليمات الواردة فيها عن الحصول على النجاة من الذنوب والفوز بالطهارة الحقيقية. وعُدّ الإقرار بأن المسيح عليه السلام قَبِلَ الموت على الصليب لينجِّي العالم، وأنه كان إلـــهًا؛ مدار النجاة من الذنوب. وليس ذلك فحسب بل نُقِضت أيضا عديد من أحكام التوراة الأبدية الأخرى، وحرِّفت الديانة المسيحية لدرجة أنه لو عاد المسيح عليه السلام بنفسه لما استطاع أن يعرف ملامحها.

من الغريب حقا أن الذين أُوصُوا بشدة بأن يتمسكوا بالتوراة نبذوا أوامرها وراء ظهورهم دفعة واحدة. فمثلا لم يرد في الإنجيل قط أن لحم الخنـــزير حرام في التوراة ولكنني أحلله لكم، أو قد أُكِّد في التوراة على الختان وها أنا أشطب هذا الحكم. ثم متى أُجيز أن يُقحَم في الدين ما لم يتفوه به عيسى عليه السلام؟ ولكن لما كان محتوما أن يقيم الله في الدنيا دينا عالَـــميا، أي الإسلام، فكان فساد المسيحية علامةَ ظهورِ الإسلام. ومن الثابت المتحقق أن الديانة الهندوسية أيضا كانت قد فسدت قبل ظهور الإسلام، وكانت عبادة الأوثان رائجة في الهند كلها بوجه عام. فمن بقايا ذلك الفساد أن يحسب الهندوسُ اللهَ سبحانه وتعالى محتاجا إلى المادة حتما في الخلق مع أنه ليس محتاجا قط إلى أية مادة لإظهار صفاته. ونتيجة لهذا الاعتقاد الفاسد اضطروا إلى قبول اعتقاد فاسد آخر مليء بالشرك؛ وهو اعتقادهم بقِدَم ذرات العالم والأرواح كلها وكونها أزلية. ولكنني أتأسف على أنهم لو أمعنوا النظر في صفات الله بدقة؛ لما قالوا بذلك قط. لأنه إذا كان الله

تعالى محتاجا، مثل الإنسان، إلى مادة لإظهار صفة الخلق الموجودة في ذاته منذ القِدم؛ فلماذا لا يحتاج إلى المادة مثل الإنسان فيما يتعلق بصفته السمع والرؤية وغيرهما؟ الإنسان لا يستطيع أن يسمع شيئا دون واسطة الهواء، ولا يقدر على أن يرى شيئا إلا بواسطة الضوء، فهل يوجد هذا الضعف عند الإله أيضا؟ وهل هو أيضا بحاجة إلى الهواء والضوء للسمع والرؤية؟ فإذا كان غير محتاج للهواء والضوء للسمع والرؤية؛ فاعلموا يقينا أنه لا يحتاج إلى أية مادة من أجل صفة الخلق أيضا. ومن الخطأ تماما القول بأنه يحتاج إلى مادة لإظهار صفاته. إن قياس صفات الإنسان على الله، والقولَ بأن الخلق من العدم مستحيل عليه، وكذلك عزو الضعف الإنساني إلى الله؛ لخطأ كبير. إن ذات الإنسان محدودة وذات الله غير محدودة؛ فهو قادر على أن يخلق ذاتًا أخرى بقوته الذاتية. هذا هو مقتضى الألوهية، وهو ليس بحاجة إلى مادة لإظهار صفة من صفاته، وإلا فهو ليس إلـــها أصلا. هل لشيء أن يحول دون إرادته؟ فمثلا إذا أراد أن يخلق الأرض والسماء في لمح البصر، أفليس قادرا على خلقهما؟

الناس من الهندوس الذين ملكوا نصيبا من الروحانية أيضا إلى جانب العلم وما كانوا أسرى المنطق الجاف؛ لم يعتقدوا في وقت من الأوقات بهذا الاعتقاد الذي يقدمه الآريون اليوم عن الإله. إن هذا الاعتقاد نتيجةٌ لفقدان الروحانية كليا.

فباختصار، كل هذه المفاسد التي طرأت على هذه الأديان- وبعضها لا يجدر بالذكر أيضا وهي تنافي الطهارة الإنسانية- كانت كلها مؤشرات إلى حاجة العصر إلى الإسلام.

فلا بد للعاقل الفطين من الاعتراف بأن كل الأديان كانت قد فسدت وفقدت الروحانية قبل الإسلام بفترة وجيزة. فكان نبينا ﷺ هو المجدد الأعظم في مجال بيان الصدق الذي أعاد الحق المفقود إلى الدنيا، ولا أحد من الأنبياء يشارك نبينا ﷺ في هذا الشرف، حيث وجد العالم كله في الظلام، وبظهوره ﷺ تحوّل الظلام إلى نور، ولم يغادر ﷺ الدنيا حتى خلعَ القوم كلهم الذين بُعث إليهم لباسَ الشرك، ولبسوا حُلّة التوحيد. وليس ذلك فحسب، بل وصلوا إلى

أرفع مراتب الإيمان، وظهرت على أيديهم من أعمال الصدق والوفاء واليقين ما لا نظير له في أي بقعة من بقاع العالم. و هذه الدرجة من النجاح لم تكن من نصيب أيّ نبي سوى نبينا الأكرم ﷺ. هذا هو الدليل الأكبر على صدق نبوة سيدنا رسول الله ﷺ، إذ بُعث في زمن غارق في الظلمات؛ وكان بطبيعة الحال يتطلّبُ بعثة مصلح عظيم الشأن. ثم إنه ﷺ ارتحل من الدنيا بعد أن تمسك مئات آلاف الناس بالتوحيد والصراط المستقيم، متخلين عن الشرك وعبادة الأصنام. والحق أن هذا الإصلاح الكامل كان خاصًّا به وحده، حيث علّم قومًا همجيين ذوي طبائع وحشية عادات الإنسانية، أو قولوا بتعبير آخر أنه ﷺ حوَّل البهائم أناسًا، ثم حوّل الناس إلى أناسٍ مثقفين، ثم جعل المثقفين أناسًا ربانيين، ونفخ فيهم الروحانية وأنشأ لهم علاقةً مع الإله الحق؛ فذُبحوا في سبيل الله كالشياه، ودِيسوا تحت الأقدام كالنمل، ولكنهم لم يتخلوا عن الإيمان قط، بل مضوا قُدُمًا عند كل مصيبة. فلا شك أن نبينا ﷺ هو آدم الثاني من حيث توطيد دعائم الروحانية، بل هو آدم الحقيقي؛ إذ بلغت بواسطته كل الفضائل الإنسانية كمالها، وأخذت كل القوى الصالحة تعمل عملها، ولم يبق غصن من أغصان الفطرة الإنسانية دون ورق وثمر. ولم تُختم عليه النبوة من حيث إنه الأخير زمانًا فقط، بل أيضا من منطلق أن جميع كمالات النبوة خُتمت به. وما دام ﷺ هو المظهر الأكمل للصفات الإلهية ؛ فكانت شريعته متصفة بالصفات الجمالية والجلالية كلتيهما، ولهذا السبب سُمي باسمين: محمد وأحمد ﷺ. وليس في نبوته العامة شيء ينم عن البُخل، بل هي للعالم كله منذ الأزل.

والدليل الآخر على صدق نبوته هو أنه يتبين من كتب جميع الأنبياء وكذلك من القرآن الكريم؛ أن الله تعالى قد حدَّد عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة من زمن آدم إلى النهاية. وقد حدّد فترات الهداية والضلال بألف سنة بالتناوُب. أي تكون الغلبة للهداية في مرحلة ثم تتبعها مرحلة يغلب فيها الضلال. وكما قلتُ إن هاتين المرحلتين مُقَسَّمتان في كتب الله إلى ألف سنة لكل منهما. فكانت الفترة الأولى لغلبة الهداية التي لم يكن فيها للوثنية أي أثر قط. ولكن عندما

انتهت تلك الألفية بدأت في الدنيا- في الفترة الثانية- الوثنيةُ بأنواعها المختلفة، وحمي وطيس الشرك، وأخذت الوثنية من كل بلد مستقرًّا لها. ثم وُضع أساس التوحيد في الفترة الثالثة الممتدة إلى ألف عام، وانتشر التوحيد في الدنيا بقدر ما شاء الله. ثم أطل الضلال برأسه في الألفية الرابعة. وفي هذه الألفية تطرق إلى بني إسرائيل فساد كبير، وذبلت الديانة المسيحية فورًا بعد أن بُذرت بذرتها وكأن ولادتها وموتها كانا في وقت واحد. ثم أتت مرحلة الألفية الخامسة التي كانت مرحلة هداية، وفيها بُعث نبينا الأكرم ﷺ فأقام الله تعالى التوحيد في الدنيا على يده من جديد. فمن أقوى الأدلة على كونه من الله ﷻ أنه بُعث في الألفية التي كانت مقرَّرة للهداية منذ الأزل. ولا أقول ذلك من تلقاء نفسي، بل هذا ما يتبين من كتب الله كلها. وبالدليل نفسه يثبت ادّعائي كوني المسيح الموعود أيضا، لأن الألفية السادسة من منطلق هذا التقسيم هي ألفية انتشار الضلال وتبدأ من القرن الثالث بعد الهجرة وتنتهي على رأس القرن الرابع عشر. وقد سمى النبي ﷺ أناسا في هذه الألفية بالفيج الأعوج. أما الألفية السابعة التي نحن فيها؛ فهي ألفية الهداية. ولما كانت هذه الألفية هي الألفية الأخيرة؛ فكان لزاما أن يُبعث إمام آخر الزمان على رأسها. فلا إمام بعده ولا مسيح؛ إلا من كان ظِلّا له، لأن في هذه الألفية ينتهي عمر الدنيا، الأمر الذي شهد به الأنبياء كلهم. وهذا الإمام الذي سماه الله تعالى مسيحا موعودا؛ إنما هو مجدد القرن ومجدد الألفية الأخيرة أيضا. لا يختلف النصارى ولا اليهود في أن الزمن الراهن هو الألفية السابعة من زمن آدم. وتاريخ آدم الذي كشفه الله تعالى لي من خلال حساب الجمّل لأحرف سورة العصر، يثبت منه أيضا أن الزمن الذي نحن فيه؛ إنما هو الألفية السابعة. وقد أجمع الأنبياء أيضا على أن المسيح الموعود سيُبعث على رأس الألفية السابعة ويولَد في نهاية الألفية السادسة، لأنه آخر الجميع كما كان آدم أول الجميع. وقد وُلد آدم في الساعة الأخيرة من اليوم السادس، أي يوم الجمعة. ولما كان يوم الله كألف سنة دنيوية؛ فبناء على هذا التشابه خلق الله تعالى المسيح الموعود في نهاية الألفية السادسة وكأنها هي

الساعة الأخيرة من اليوم. وما دام هناك علاقة بين الأول والأخير فقد خلق اللهُ المسيحَ الموعود على شاكلة آدم. لقد وُلد آدم توأما، ووُلد يوم الجمعة، كذلك وُلد هذا العبد المتواضع الذي هو المسيح الموعود توأما ووُلد يوم الجمعة، حيث وُلدَتِ البنتُ أولا ثم وُلدتُ أنا بعدها. هذا النوع من الولادة يشير إلى ختم الولاية. فالتعليم الـمُتَّفَق عليه من قِبل جميع الأنبياء هو أن المسيح الموعود سيُبعَث على رأس الألفية السابعة. لهذا السبب ثارت في السنوات الأخيرة ضجة كبيرة في السادة النصارى حول هذا الموضوع، ونُشرت في أميركا مجلات عديدة حول هذا الموضوع قيل فيها بأنه كان من المفروض أن يظهر المسيح الموعود في هذا العصر، فما الذي حدث، ولماذا لم يظهر؟ وقد ردّ على ذلك بعضهم على سبيل الرثاء أنه لما كان موعده قد ولّى؛ فاحسبوا الكنيسة الآن تنوب منابه.

باختصار، إنه مما يدل على صدقي أني بُعثت في ألفية حددها الأنبياء. ولو لم يكن هناك دليل آخر، لكان في هذا الدليل البيِّن كفاية للباحث عن الحق؛ لأنه لو رُفض هذا الدليل لبطلت كتب الله كلها. الذين لديهم إلمام بكتب الله والذين يتدبرونها يمثّل لهم هذا الأمر دليلا واضحا وضوح النهار. وبرفض هذا الدليل تبطل النبوات كلها وتنقلب الموازين جميعها رأسا على عقب، وتفسد لحمة التقسيم الإلهي وسداه. فالفكرة التي يتبنَّاها بعض الناس بعدم علم أحدٍ عن القيامة ليست صحيحة. ففي هذه الحالة كيف يمكن تحديد السبعة آلاف سنة من آدم إلى نهاية الدنيا؟ إنهم أناس لم يتدبروا كتب الله حق التدبر قط. لست أنا الذي أبدعتُ هذا الحساب اليوم، بل كان مسلَّمًا به في كتب الباحثين من أهل الكتاب منذ القِدم، حتى ظل العلماء اليهود أيضا قائلين به، ويتبين من القرآن الكريم أيضا وبصراحة تامة؛ أن عمر بني آدم- من آدم إلى الأخير- هو سبعة آلاف سنة. وهذا ما اتفقت عليه الكتب السابقة كلها أيضا، وهذا ما يتبين من

الآية: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، وهذا ما ظل ينبئ به الأنبياء جميعا بوضوح تام.

كما قلت قبل قليل؛ يتبين بوضوح تام من حساب الجمّل لأحرف سورة العصر أن النبي ﷺ قد بُعث في الألفية الخامسة بعد آدم. فمن هذه الناحية؛ إن هذا الزمن الذي نحن فيه هو الألفية السابعة. وإضافة إلى ذلك لا يسعني إنكار ما كشفه الله تعالى لي بوحيه، ولا أرى سببا لإنكار ما اتفق عليه أنبياء الله الأطهار جميعا. فما دامت الأدلة موجودة إلى هذا الحد، ويتبين من القرآن والأحاديث الشريفة أيضا بلا أدنى شك أن هذا العصر هو الزمن الأخير، فأي شك بقي في كونها الألفية الأخيرة، ولا بد من مجيء المسيح الموعود على رأس الألفية الأخيرة. أما القول بأنه لا يعلم أحدٌ ساعة القيامة فليس المراد من ذلك أنه لا يعلم عنها أحد شيئا على الإطلاق. فلو كان الأمر كذلك، لما كانت علامات قرب القيامة المذكورة في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة جديرةً بالقبول؛ لأنها أيضا تفيد العلم بقرب القيامة.

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم أنه ستفجَّر الأنهار، وتُنشر الكتب والجرائد بكثرة في الزمن الأخير، وتُعطَّل الإبل، ونجد أن كل هذه العلامات قد تحققت في زمننا هذا؛ إذ حل القطار محل العشار وبواسطته تتم التجارة، ففهمنا أن القيامة قد قربت. وقد مضى حينٌ من الدهر وقد أخبرنا الله تعالى بقرب القيامة في الآية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[2] وغيرها من الآيات.

فالشريعة لا تعني أن القيامة مخفية عنا من كل الوجوه، بل الحق أن جميع الأنبياء ظلوا يذكرون علامات الزمن الأخير، وقد ذُكرت في الإنجيل أيضا. فالمراد من ذلك أنه لا يعلم أحد تلك الساعة بالتحديد، والله قادر على أن يزيد بضعة قرون أخرى بعد مرور ألف سنة؛ لأن الكسر لا يُعَدُّ في مثل هذا

---

[1] الحج: ٤٨

[2] القمر: ٢

الحساب كما تزداد بضعة أيام على الحمل قبل الإنجاب. من المعلوم أن معظم الأولاد يولَدون في مدة تسعة أشهر وعشرة أيام، ومع ذلك يقال إنه لا يعلم أحد ساعة المخاض. كذلك مع أنه لم يبق من الآن إلى نهاية الدنيا ألف عام؛ إلا أن ساعة قيام القيامة ليست معروفة على وجه التحديد. إن رفض الأدلة والبراهين التي بيّنها الله تعالى لإثبات الإمامة والنبوة ليس إلا إضاعة للإيمان.

من الواضح أن علامات قرب القيامة قد اجتمعت كلها، وصار الانقلاب العظيم في الدنيا ملحوظا. كذلك فقد ظهرت معظم علامات قرب القيامة التي بيّنها الله تعالى في القرآن الكريم. كما يتبيّن من القرآن الكريم سوف تُفجَّر الأنهار بكثرة عند اقتراب القيامة، وتُنشر الصحف بكثرة، وتُنسَف الجبال، وتُجفَّفُ الأنهارُ، وتُعَدّ الأرض بكثرة للزراعة، وتُفتَح الطرق لاجتماع الناس، وتقوم ضجة دينية كبيرة بين الأقوام، وينقضّ قومٌ على دين قومٍ آخرين كتلاطم الأمواج ليقضي عليهم نهائيا. ففي تلك الأيام يعمل صُور سماوي عمله، وتُجمع الأمم كلها على دين واحد إلا الطبائعُ الرديئة التي لا تستحق الدعوة السماوية. فهذا النبأ المذكور في القرآن الكريم يشير إلى ظهور المسيح الموعود، ولهذا السبب ذُكر بعد ذكر يأجوج ومأجوج. والمعلوم أن يأجوج ومأجوج قومان ذُكرا في كتب سابقة. والسبب وراء هذه التسمية هو أنهما يستخدمان "الأجيج" أي النار بكثرة، ويحرزان غلبة كبيرة في الأرض، وسيملكان كل علوٍّ. عندها ستقوم السماء بإحداث تغيُّر كبير وستأتي أيام الصلح والوئام. كذلك قد ورد في القرآن الكريم أنه ستُكتشفُ في تلك الأيام المناجم والأشياء الخافية في باطن الأرض، ويحدث الكسوف والخسوف في السماء. وسيتفشى في الأرض طاعونٌ شديد، وتُعطّل الإبل إذ ستُكتشَف مطية أخرى تؤدي إلى تعطيل الإبل. فنرى أن الأمتعة التجارية التي كانت تُنقل من قبل على ظهور الإبل، صارت الآن تُنقل من مكان إلى آخر بالقطار. وليس بعيدا الوقت الذي سيسافر به الحجيج أيضا إلى المدينة المنورة بالقطار، وبذلك يحققون الحديث الذي جاء فيه: وليتركن القلاص فلا يسعى عليها.

فما دامت هذه هي علامات الزمن الأخير وقد تحققت كاملةً، فيتبين أن هذه هي الدورة الأخيرة من أدوار الدنيا. وكما أن الله تعالى خلق سبعة أيام، وشبّه كل يوم بألف عام، فتبين من هذا التشبيه أن عمر الدنيا هو سبعة آلاف سنة بحسب النص القرآني. وكذلك إن الله تعالى وِترٌ ويحب الوتر؛ فكما خلق سبعة أيامٍ وترا، كذلك جُعلت سبعة آلاف سنةٍ وترا. فيُفهَم من هذه الأمور كلها أن هذا هو الزمن الأخير، وهذه هي الدورة الأخيرة للدنيا التي يثبت من الكتب الإلهية ظهور المسيح الموعود على رأسها.

لقد شهد النواب صديق حسن خانْ في كتابه "حجج الكرامة" أن جميع أهل الكشوف الذين خلَوا في الإسلام؛ لم يتجاوز أحدهم رأس القرن الرابع عشر في تحديد موعد ظهور المسيح الموعود.

هنا ينشأ السؤال تلقائيا: ما الحاجة أصلا إلى إرسال المسيح الموعود في هذه الأمة؟ والجواب هو أن الله تعالى قد وعد في القرآن الكريم أن النبي ﷺ سيكون مثيل موسى عليه السلام من حيث بداية زمن نبوته ونهايتها. فقد كانت المماثلة الأولى من حيث بداية الزمن الذي كان زمن النبي ﷺ، وكذلك من حيث الزمن الأخير. فتحققت المماثلة الأولى أنه كما جعل الله تعالى موسى عليه السلام منتصرا على فرعون وجنوده، كذلك جعل النبي ﷺ منتصرا في نهاية المطاف على أبي جهل- الذي كان فرعون عصره- وجنوده، وأهلكهم ووطّد دعائم الإسلام في الجزيرة العربية. فبتلك النصرة الإلهية تحققت النبوءة القائلة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[1]. أما المماثلة من حيث الزمن الأخير فهي أن الله تعالى بعث في نهاية زمن الملة الموسوية نبيا كان يعارض الجهاد، ولم تربطه بالحروب الدينية علاقة، بل كان يعلِّم العفو والصفح. وجاء في وقتٍ كانت فيه حالة بني إسرائيل الأخلاقية قد فسدت إلى حد كبير، وانحرفوا بشدة في تصرفاتهم وسلوكياتهم، وتلاشت مملكتهم، فكانوا يعيشون

[1] المزمل: ١٦

تحت إمرة السلطنة الرومانية. وقد بُعث ذلك النبي بعد موسى عليه السلام بأربعة عشر قرنا بالتحديد، وانتهت عليه سلسلة النبوة الإسرائيلية؛ إذ كان هو اللبنة الأخيرة لها. كذلك بعثني الله تعالى بصبغة المسيح ابن مريم وصفاته في الزمن الأخير لعهد النبي ﷺ، وألغى الجهاد في زمني، كما أُخبِر من قبل أن الجهاد القتالي سيُلغَى في زمن المسيح الموعود، وأعطاني تعليم العفو والصفح. وقد جئتُ حين كانت حالة معظم المسلمين الداخلية قد فسدت مثل اليهود، وتلاشت الروحانية و لم تبق فيهم إلا العادات واتّباع التقاليد. وقد أشير إلى هذه الأمور في القرآن الكريم من قبل، واستخدم بحق مسلمي الزمن الأخير الكلمة نفسها التي استخدمها في حق اليهود فقال: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1] والتي تعني أنكم ستُعطَون الخلافة والسلطنة، ولكن ستُنـــزَع منكم تلك السلطنة في الزمن الأخير نتيجة سوء أعمالكم كما انتُـــزِعت من اليهود. ثم يشير سبحانه وتعالى إشارة صريحة في سورة النور إلى أن الصفات التي تحلّى بها الخلفاء في بني إسرائيل سيتحلى بها الخلفاء في هذه الأمة أيضا. فكان عيسى عليه السلام خليفة من خلفاء بني إسرائيل الذي لم يحمل السيف و لم يقم بالجهاد؛ لذا فقد أُعطِيتُ هذه الأمة أيضا مسيحا موعودا بالصفات نفسها. فاقرءوا الآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]. إن جملة: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في هذه الآية جديرة بالتدبر بوجه خاص إذ يُفهَم منها أن سلسلة الخلافة المحمدية تماثل سلسلة الخلافة الموسوية. فلما انتهت الخلافة الموسوية على نبي أي عيسى عليه السلام الذي بُعث على رأس القرن الرابع عشر بعد موسى، و لم يقم بقتالٍ أو جهادٍ، فكان ضروريا أن يتحلى الخليفة الأخير من السلسلة المحمدية أيضا بالصفات نفسها.

---

[1] الأعراف: ١٣٠

[2] النور: ٥٦

لقد ورد في الأحاديث الصحيحة أيضا أن معظم المسلمين في الزمن الأخير سيشبهون اليهود، وهذا ما أشير إليه في سورة الفاتحة أيضا، لأننا قد عُلِّمنا فيها دعاءً أن جَنِّبْنا يا ربَّنا أن نكون مثل اليهود في زمن عيسى عليه السلام الذين عارضوه؛ فحلّ بهم غضب الله في هذه الدنيا. ومن سنة الله تعالى أنه حين يأمر قوما أو يعلِّمهم دعاءً؛ يكون المراد من ذلك أن بعضا منهم سيرتكبون الذنب الذي مُنعوا منه. فلما كان المراد من الآية: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ أولئك اليهود الذين كانوا في زمن الملة الموسوية الأخير، أي في عصر عيسى عليه السلام، وكانوا محل غضب الله لعدم الإيمان بالمسيح الناصري عليه السلام، فإن هذه الآية تتضمن بحسب السُنَّة المذكورة آنفا نبوءة أن في الزمن الأخير للأمة المحمدية أيضا سينـــزل المسيح الموعود من الأمة نفسها، وسيعارضه بعض المسلمين، وبذلك سيشبهون اليهود الذين كانوا في زمن المسيح الناصري عليه السلام.

ولا يصح الاعتراض أنه إذا كان المسيح الآتي سيُبعث من هذه الأمة؛ فلماذا سُمِّي عيسى في الأحاديث؟ ذلك لأن من سنة الله أنه يطلِق على البعض اسم غيره، كما سُمِّي أبو جهلٍ فرعونَ، وسُمِّي نوحٌ عليه السلام آدم الثاني في الأحاديث، وسمِّي النبيُّ يوحنا بإيليّا. هذه سنة الله التي لا ينكرها أحد. ولقد شبّه الله تعالى المسيح الآتي بالمسيح السابق من ناحية أخرى أيضا؛ وهو أن المسيح الأول، أي عيسى عليه السلام، قد ظهر على رأس القرن الرابع عشر بعد موسى، كذلك ظهر المسيح الأخير على رأس القرن الرابع عشر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد زوال الدولة الإسلامية من الهند وقيام الدولة الإنجليزية فيها، كما ظهر المسيح الناصري حين كانت الدولة الإسرائيلية قد زالت، وكان اليهود يعيشون تحت إمرة الدولة الرومانية.

وهناك مماثلة أخرى بين المسيح الموعود لهذه الأمة وعيسى عليه السلام؛ وهي أن عيسى لم يكن من بني إسرائيل بصورة كاملة، بل كان إسرائيليا من ناحية الأم فقط. كذلك إن بعض الجدات من أبي كنّ من نسل السادات، وإن لم يكن أبي من نسل السادات. لم يحب الله لعيسى عليه السلام أن يكون له أبٌ من بني إسرائيل،

وكان السر في ذلك أن الله تعالى كان ساخطا على بني إسرائيل بشدة لكثرة ذنوبهم، فأراهم إنذارًا لهم آيةً أن خلق طفلا فيهم من أمٍّ فقط، دون مشاركة أبٍ. فكأنه بقي عند عيسى جزءٌ واحد من جزأَيْ التكوين الإسرائيلي. وكانت في ذلك إشارة إلى أنه لن يكون في النبي المقبل هذا الجزء أيضا. وما دامت الدنيا موشكة على الانتهاء، لذا في ولادتي هذه أيضا إشارة إلى أن القيامة قريبة، وبها يزول الوعد بخلافة قريش.

باختصار، كانت هناك حاجة - بُغية تحقيق المماثلة بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم - إلى بعثة المسيح الموعود الذي يظهر محققا تلك الشروط كلها. فكما بدأ السلسلة الإسلامية من مثيل موسى، كذلك كان ضروريا أن تنتهي هذه السلسلة على مثيل عيسى ليماثل الآخرُ الأولَ. فهذا أيضا دليل على صدقي؛ ولكن للذين يتدبرون خاشعين لله.

رحم الله المسلمين المعاصرين، فقد تجاوزت معظم أمورهم الإيمانية والعقائدية حدودَ الظلم والجَور كلها؛ يقرأون في القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام مات ثم يحسبونه حيا. كذلك يقرأون في سورة النور أن الخلفاء القادمين كلهم سيكونون من هذه الأمة، ثم يعتقدون بنـــزول عيسى من السماء. يقرأون في الصحيحين أن عيسى الآتي لهذه الأمة سيكون من الأمة نفسها، ثم ينتظرون عيسى الإسرائيلي. يقرأون في القرآن الكريم أن عيسى لن يعود إلى الدنيا، ولكن مع هذا العلم يريدون أن يعيدوه إليها، ومع كلِّ ذلك يدّعون إسلامهم أيضا، ويقولون إن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء حيا بجسده المادي، ولكن لا يجيبون لماذا رُفع؟ كان اليهود يتنازعون في الرفع الروحاني فقط، وكانوا يعتقدون أن روح عيسى لم تُرفع إلى السماء كالمؤمنين لأنه صُلب، والمصلوب ملعون؛ أي لا تُرفع روحه إلى الله في السماء. وكان القرآن الكريم فقط سيحكم في هذا النـــزاع، كما يعلن أنه يكشف أخطاء اليهود والنصارى ويحكم فيما شجر بينهم. كان اليهود ينازعون في أن المسيح عيسى ليس من المؤمنين، ولم يحظ بالنجاة، ولم تُرفع روحُه إلى الله تعالى. فكان الأمر الجدير

بالحكم فيه: هل المسيح عيسى مؤمن ونبي صادق من الله أم لا؟ وهل رُفعت روحه إلى الله تعالى كالمؤمنين أم لا؟ هذا هو الأمر الذي كان القرآن الكريم سيحكم فيه. فإذا كان المراد من الآية: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ﴾[١] أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام إلى السماء الثانية بجسده المادي؛ فكيف حُكِم في الأمر المتنازَع فيه؟ وكأن الله تعالى لم يفهم الأمر المتنازَع فيه وأصدر حُكما لا علاقة له بادّعاء اليهود أصلا. ثم ورد في الآية بكل وضوح أن عيسى رُفع إلى الله، ولم يرِد أنه رُفع إلى السماء الثانية، فهل الله عز وجل متربع في السماء الثانية؟ أو هل من الضروري من أجل النجاة والإيمان أن يُرفع الجسمُ أيضا؟

واللافت في الموضوع أنه لم يرد في الآية: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ﴾ أيُّ ذِكر للسماء. والآية لا تعني إلا أن الله تعالى رفع المسيحَ إليه. فقولوا الآن، هل رُفع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب وموسى عليهم السلام والنبي ﷺ إلى غير الله، ولم يُرفَعوا إليه سبحانه وتعالى؟ والعياذ بالله! أقول هنا بكل قوة وشدة إن تخصيص المسيح عليه السلام بهذه الآية، أي اعتبار الرفع إلى الله خاصا به وحده، واعتبار الأنبياء الآخرين خارجين عن ذلك؛ كفرٌ ما بعده كفرٌ، لأن هذا المعنى يؤدي إلى رفضِ رفعِ الأنبياء جميعا ما عدا عيسى عليه السلام مع أن النبي ﷺ شهد بعد المعراج على رفعهم.

وليكن معلوما أن رفع عيسى ذُكر تنبيها لليهود ودحضا لاعتراضهم فقط، وإلا فإن هذا النوع من الرفع يشمل الأنبياء والرسلَ والمؤمنين جميعا، وكلُّ مؤمن يُرفع بعد موته. ففي الآية: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾[٢] إشارة إلى هذا النوع من الرفع. أما الكافر فلا يُرفع كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[٣]. والذين

---

[١] النساء: ١٥٩

[٢] ص ٥٠ – ٥١

[٣] الأعراف: ٤١

أخطأوا في ذلك قبل بعثتي فإنهم معذورون لأنهم ما ذُكِّروا، وما أُفهِموا المعاني الحقيقية لكلام الله، ولكنني ذكَّرتكم وأفهمتكم المعاني الصحيحة والحقيقية. لو لم آتِ لكان هناك عذر على الخطأ التقليدي؛ أما الآن فلم يبق لكم عذر. لقد شهدت لي السماء والأرض، وشهد بعض من الأولياء في هذه الأمة بذكر اسمي ومسكني على أني أنا المسيح الموعود. وبعض من هؤلاء الشهود قد خلَوا قبل بعثتي بثلاثين عاما، وقد سبق أن نشرتُ شهاداتهم من قبل. وفي العصر نفسه صدّقني بعضٌ من السلف الصالح- الذين كان لهم مئات آلافٍ من المريدين- بعد أن تلقّوا إلهاما من الله، وسمعوا من النبي ﷺ في الرؤى.

وقد ظهرت إلى الآن آلاف الآيات على يدي. كما حدّد أنبياء الله الأطهار وقتا وموعدا لبعثتي. ولو تدبرتم لوجدتم أن جوارحكم وقلوبكم أيضا تشهد لي؛ لأن الضعف بكل أنواعه قد تجاوز الحدود، ونسي معظم الناس حلاوة الإيمان. وإن الضعف والهوان والأخطاء والضلال وعبادة الدنيا والظلمة التي أصبح القوم أسيرا لها؛ تقتضي بالطبع أن ينهض أحد ويأخذ بيدهم. ومع ذلك كلّه أُسمَّى دجالا! ما أشقى القوم الذين يُرسَل إليهم دجالٌ وهم في هذه الحالة الخطيرة! وما أتعس أولئك القوم الذين يُنـــزَّل عليهم من السماء فساد آخر، وهم يعانون من فساد داخلي سلفًا!

ويقولون عني: إن هذا الشخص ملعون ولا إيمان له. ولقد قيل الكلام نفسه عن عيسى عليه السلام أيضا، حتى إن اليهود الخبثاء لا يزالون يقولون به، ولكن الذين يذوقون جهنم يوم القيامة سيقولون: ﴿مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾[1]. لا شك أن أبناء الدنيا عادَوا المبعوثين من الله دائما؛ لأن حب الدنيا وحب المرسَلين من الله لا يجتمعان في مكان واحد أبدا. لو لم تحبوا الدنيا لعرفتموني، ولكنكم لا تعرفونني الآن.

---

[1] ص: ٦٣

إضافة إلى ذلك، إذا كان صحيحا أن معنى الآية: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾[١] هو أن عيسى عليه السلام قد رُفع إلى السماء الثانية؛ فلا بد من تقديم آية صدر فيها الحكم في الأمر المتنازَع فيه. اليهود الموجودون إلى يومنا هذا لا يزالون ينكرون هذا المعنى لرفع المسيح ويقولون إنه ما كان مؤمنا ولا صادقا- والعياذ بالله- و لم تُرفع روحه إلى الله. وإذا ارتبتم في ذلك فاستفسروا من علماء اليهود؛ ألا يستنتجون من الموت على الصليب عدم صعود الروح إلى السماء مع الجسد؟ بل يقولون مُجمعين إن الذي يموت على الصليب ملعونٌ ولا يُرفع إلى الله. لذلك فقد أنكر الله تعالى في القرآن الكريم موت عيسى على الصليب وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٢]. وأضاف في الآية كلمة: ﴿قَتَلُوهُ﴾ إلى ﴿صَلَبُوهُ﴾ لتدل على أن مجرد التعليق على الصليب لا يوجب اللعنة، بل الشرط هو أن يعلَّق أحدٌ على الصليب وأن تُكسَر ساقاه بنيَّة القتل وأن يُقتَل فعلا، عندها يكون ذلك الموتُ موتَ اللعنة، ولكن الله تعالى عصم عيسى عليه السلام من هذه الميتة. لقد علِّق على الصليب ولكنه لم يمت عليه، غير أنه قد أُلقيت الشبهة في قلوب اليهود كأنه مات على الصليب. كذلك خُدع النصارى أيضا بالخديعة نفسها، إلا أنهم ظنوا أنه قد قام حيًّا بعد الموت. والحق أنه قد أُغمي عليه من صدمةِ الصليب، وهذا ما تعنيه العبارة ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

إن وصفة "مرهم عيسى" تشكِّل شهادة قوية على هذا الحادث، وظلت مذكورة منذ مئات السنين في قراباذين العبرانيين والرومان واليونانيين والمسلمين حيث يقولون عنها بأنها رُكِّبت من أجل عيسى عليه السلام.

باختصار، إن الأفكار القائلة بأن الله تعالى قد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء بجسده؛ مخجلة للغاية، لأنها توحي وكأنه عز وجل كان يخاف أن يقبض عليه اليهود. والذين لم يعرفوا حقيقة النزاع قد نشروا أفكارا كهذه. وفي هذه الأفكار

[١] النساء: ١٥٩

[٢] النساء: ١٥٨

إساءة إلى النبي ﷺ لأن كفار قريش طلبوا منه بكل إصرار وإلحاح معجزةً أن يرقى في السماء أمام أعينهم وينــــزِل منها بكتاب حتى يؤمنوا به جميعا، ولكن الله تعالى ردَّ عليهم قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾[١]، أي إنني بشر، والله بريء من أن يرفع البشر إلى السماء خلافا لسنته مع أنه قد وعد أن البشر كلهم سيعيشون على الأرض فقط ولكنه ﷻ رفع المسيحَ إلى السماء بالجسد ولم يهتم بوعْده قط، وقد قال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٢].

يظن بعض الناس أنه لا حاجة لهم إلى الإيمان بالمسيح الموعود، ويقولون: مع أننا قبِلنا وفاة عيسى عليه السلام ولكن ما دمنا مسلمين ونصلي ونصوم ونتّبع أحكام الإسلام فما حاجتنا إلى أحد أصلا؟ وليكن معلوما أن أصحاب هذه الأفكار مخطئون خطأ كبيرا. فأولا: كيف يصحّ ادّعاؤهم الإسلام وهم لا يعملون بما أمر اللهُ ورسولُه؟ فقد أُمروا أن يفرّوا إليه دون أدنى تأخير ولو حبْوًا على الثلج إذا ظهر ذلك الإمام، ولكنهم على النقيض من ذلك لا يبالون بهذا الأمر أدنى مبالاة. هل هذا هو الإسلام؟ وهل هذه شيمة المسلمين؟ ليس ذلك فحسب؛ بل يكيلون لي شتائم بذيئة ويكفِّرونني ويسمونني دجالا. والذي يؤذيني يحسب أنه قام بعمل يُثاب عليه، والذي يكذِّبني يظن أنه أرضى الله تعالى.

يا مَن عُلِّموا الصبر والتقوى، مَن علَّمكم التسرع وسوء الظن؟ هل من آية لم يظهرها الله تعالى؟ وأيّ برهان لم يقدِّمه ﷻ؟ ولكنكم ما قبلتم وأعرضتم ثم ترفضون وتعرضون عن أحكام الله متجاسرين! بمن أشبِّه المحتالين المعاصرين؟ إنهم، كمكّار يُغمض عينيه في يوم مشرق ثم يقول: أين الشمس؟

فيا مَن تخدع نفسَك، افتحْ عينك أولا ترى الشمس. إن تكفير مرسَلٍ من الله سهل، ولكن اتّباعه في سبل الإيمان الدقيقة صعبٌ. إن تسمية مبعوث من الله:

---

[١] الإسراء: ٩٤

[٢] الأعراف: ٢٦

دجالاً سهل؛ ولكن دخول بابٍ ضيِّق- عملا بتعليمه- صعبٌ. كل من يقول بأنه لا يبالي بالمسيح الموعود؛ فهو لا يبالي بالإيمان في الحقيقة. هؤلاء الناس غافلون عن الإيمان الحقيقي والنجاة والطهارة الصادقة. ولو عدلوا شيئا وفحصوا حالتهم الباطنية؛ لعلموا أن صلواتهم بدون اليقين المتجدد- الذي ينـــزل من السماء بواسطة رسل الله وأنبيائه- ليست إلا عادة وتقليد. وإن صيامهم ليس إلا جوعٌ فقط. الحق أنه لا يستطيع أحد أن يتخلص من الذنوب حقيقةً، ولا يسعه أن يحب الله تعالى حبا صادقا، ولا يمكنه أن يخشى الله كما هو حقه ما لم يحظ بمعرفة الله تعالى بمحض فضله ورحمته، وما لم يُوهب قوة من عنده ﷻ.

واضح تماما أن كل نوع من الخوف والحب يتأتّى بالمعرفة. إن جميع أشياء الدنيا التي يُلقي لها الإنسان بالاً، لا تنشأ في قلب الإنسان حالات حبها أو خوفها والفرار منها إلا ؛ بعد المعرفة فقط. غير أنه صحيح تماما أن المعرفة لا تتأتّى دون فضلِ الله تعالى، ولا تنفع ما لم يحالفها فضلٌ منه ﷻ. فالمعرفة تأتي بفضل الله، ثم بالمعرفة يُفتح باب رؤية الحق والبحث عن الحق. ثم يبقى هذا الباب مفتوحا بسبب تكرار نزول الفضل فقط، ولا يُغلَق.

باختصار، إن المعرفة تأتي بالفضل وتدوم بالفضل وحده. الفضل يجعل المعرفة نزيهة ووضّاءة للغاية ويرفع الحجب كلها، ويزيل غبار النفس الأمارة، ويهب الروح قوةً وحياة، ويُخرج النفس الأمارة من قوقعتها، ويطهِّرها من قذارة الأهواءِ السيئة، ويُخرجها من سيل أهوائها العارم. عندها يحدث في الإنسان تغيُّر؛ فيتبرّأ بطبيعته من الحياة القذرة. النشاط الأول الذي يحدث في الروح بعد ذلك نتيجة الفضل هو الدعاء.

لا تظنوا بأنكم تدعون كل يوم، وإن الصلاة التي تصلّونها هي الدعاء كلها لأن الدعاء الذي ينبع عن المعرفة الحقيقية ونتيجة فضل الله تعالى يتميز بصبغةٍ خاصة وكيفية مختلفة تمامًا. إن ذلك الدعاء قادر على الإفناء، إنه نار تذيب القلب. إنه قوةٌ مغناطيسية تجذب رحمة الله. إنه موتٌ يهب الحياةَ في نهاية

المطاف. إنه لسيل عارم، إلا أنه يتحول إلى سفينة في النهاية، وبه يستقيم كل أمر قد فسد، وبفضله يتحول كل سُمٍّ إلى ترياق في آخر الأمر.

فطوبى للسجناء الذين يدعون ولا يَملّون، لأنهم سينالون الحرية في يوم من الأيام. وطوبى للعميان الذين لا يتوانون في الدعاء، لأنهم سيُبصرون يوما. طوبى للراقدين في القبور الذين يستعينون الله بالدعاء، لأنهم سيُخرَجون منها يوما. وطوبى لكم حين لا تكِلّون ولا تـــمَلّون من الدعاء، وتذوب أرواحُكم للدعاء، وتذرف عيونكم الدموع، ويُحدث الدعاءُ حرقةً في صدوركم، ويحدو بكم- لكي تتمتعوا بالبكاء والابتهال في الخلوة والانفراد- إلى الحجرات المظلمة والفلوات المقفرة، ويجعلكم مضطربين مفتونين مجذوبين؛ فطوبى لكم لأنكم سوف تحظَون بفضل الله في آخر الأمر.

الإله الذي أدعو إليه؛ كريمٌ رحيمٌ حَيِيٌّ صادقٌ وفيّ، ويرحم المتواضعين. فكونوا من المخلصين، وادعوا بكامل الصدق والوفاء يرحمْكم الله. ابتعِدوا عن شغب الدنيا وضجيجها، ولا تعطوا لخصوماتكم النابعة عن أهوائكم صبغةً دينية. ينبغي أن تستسلموا لوجه الله حتى ترِثوا فتوحاتٍ كبيرة. سوف يُري الله تعالى معجزاتٍ للذين يَدْعون، وسيُعطَى الطالبون نعمة خارقة للعادة. الدعاء يأتي من الله ويرجع إليه. وبسبب الدعاء يتقرب الله تعالى منكم كقرب أنفسكم منكم. إن النعمة الأولى للدعاء هي أن تغيُّرا طاهرا يحدث في الإنسان، فيُحدِث الله تغييرًا في صفاته أيضا نتيجة التغيُّر المذكور. مع أنه لا تبديل لصفات الله في الواقع، ولكن الذي يُحدِث في نفسه تغييرًا؛ يلاحظ تجلّيًا إلهيًا مختلفا لا تعرفه الدنيا، وكأنه إله آخر مع أنه ليس إلها آخر بل تجليه الجديد يُظهره بصورة جديدة. عندئذ ينجز للشخص الحائز على تغيير بسبب تجليه الخاص أعمالا لا يُنجزها لغيره، وهذه هي الخوارق.

الدعاء إكسيرٌ يحوّل حفنةً من التراب تِبرًا، وإنه ماء يغسل الأدران الباطنية، وإنه ابتهال تذوب معه الروح وتسيل مثل الماء وتخرّ على عتبة حضرة الأحدية، فهي تقوم في حضرة الله وتركع وتسجد أيضا. وصورة ذلك تلك الصلاة التي

علَّمها الإسلام. والمراد من قيام الروح هو أنها تكون مستعدة لتحمّل الصعاب والانصياع لكل أمر في سبيل الله. والمراد من ركوعها أنها تركع لله تاركة كل أنواع الحب والعلاقات، وتصبح لله وحده. والمراد من سجودها أنها تخرّ على عتبات الله وتتخلى عن إرادتها كليا، وتمحو وجودها تماما. هذه الصلاة توصل صاحبها إلى الله. وقد صوَّرها الشرع الإسلامي في الصلاة لتتحرك صلاة الجسد إلى صلاة الروح؛ لأن الله تعالى قد خلق الإنسان بحيث تؤثر الروح في الجسد، ويؤثر الجسد في الروح. فحين تحزن روحكم تسيل الدموع من عينيكم أيضا، وحين تُسرُّ الروح تعلو البشاشة وجوهكم لدرجة أن الإنسان يضحك عفويا في كثير من الأحيان، كذلك حين يعاني جسده الألم والأذى تشاركه الروح أيضا فيهما، وعندما يسعد الجسد مثلا بجوّ النسيم البارد، تنال الروح أيضا نصيبا منه.

فالهدف من العبادات الجسدية هو أن تكون هناك- بسبب العلاقات بين الروح والجسد- حركة في الروح إلى الله الواحد الأحد، فتعكف على القيام والركوع والسجود الروحاني؛ لأن الإنسان بحاجة إلى المجاهدات من أجل الرقي، وهذا أيضا نوع من المجاهدة.

واضح أنه إذا كان هناك شيئان ملتصقَين ببعضهما، ورفعنا أحدهما؛ لتحرَّك الملتصَق به أيضا. ولكن لا طائل من وراء القيام والركوع والسجود الجسدي وحده ما لم يرافقه السعي لمشاركة الروح أيضا بطريقتها. وهذا الاشتراك يعتمد على المعرفةِ، والمعرفة تعتمد على فضل الله. لقد جرت سنة الله منذ القِدم، أي منذ خلق الإنسان، أن يلقي الله بفضله العظيم روحَ القدس على من يشاء أولاً، ثم يُنشئ فيه حبه بواسطة روح القدس ويرزقه الصدق والثبات ويقوّي معرفته بآياته الكثيرة، ويزيل منه كافة أنواع الضعف حتى يكون مستعدا في الحقيقة للتضحية بنفسه في سبيله تعالى. وتنشأ فيه علاقة وطيدة لا تنفك عن تلك الذات الأزلية؛ بحيث لا تنقطع في أية مصيبة ولا يسع سيفا أن يقطعها. وذلك الحب لا يكون مستندا إلى سَنَدٍ مؤقت، ولا مبنيا على الطمع في الجنة ولا على

خوف النار، ولا علاقة له براحة الدنيا وأموالها، بل يكون مبنيا على علاقة مجهولة الكنه لا يعلمها إلا الله.

والأغرب من ذلك أن أسير هذا الحب أيضا لا يدرك كنه تلك العلاقة ولا يدرك سببها وما هي الأمنية والكيفية وراءها؛ لأنها تكون علاقة من الأزل. إنها لا تنشأ بسبب المعرفة، بل المعرفةُ تأتي بعدها وتصقلها. كما أن النار تكون كامنة في الحجر سلفا فتخرج الشَرَرُ من الزند.

فإن شخصًا كهذا يكون من ناحية متحليا بحب الله الذاتي، ومن ناحية أخرى يعشق مواساة خلق الله وإصلاحهم. فتكون له من جانب علاقة مع الله تعالى تجذبه إليه ﷻ باستمرار، ومن جانب آخر يكون على علاقة مع بني البشر، فيجذب إلى نفسه ذوي الطبائع السليمة منهم، كما تجذب الشمس إليها جميع طبقات الأرض وتكون بدورها مجذوبة باتجاه ما؛ هكذا تماما تكون حالة ذلك الشخص. فهؤلاء الناس يُسمَّون الأنبياء والرسل والمحدَّثين في مصطلح الإسلام. إنهم يُكرَمون بمكالمات الله ومخاطباته المقدسة، وتظهر على أيديهم الخوارق، وتجاب معظم أدعيتهم، ويتلقون استجابات من الله تعالى على أدعيتهم بكثرة.

يقول بعض الجهال في هذا المقام بأننا أيضا نرى رؤى صادقة، وقد يُستجاب دعاؤنا، ونتلقى إلهاما أيضا أحيانا، فما الفرق بيننا وبين الرسل؟ إنهم يرون أن أنبياء الله إما خادعون أو مخدوعون؛ إذ يعتزون بشيء بسيط جدا ولا فرق بينهم وبين غيرهم قط. إنها لفكرة متعجرفة يهلك بسببها كثير من الناس في العصر الراهن. أما الباحث عن الحق، فالجواب على هذه الأوهام واضح له؛ وهو أنه صحيح تماما أن الله تعالى قد اصطفى حزبا بفضله ورحمته الخاصة وأعطاهم نصيبا وفيرا من نِعمه الروحانية، لذا فمع أنه قد ظل هؤلاء المعاندون والعميان ينكرون الأنبياء دائما، ولكن أنبياء الله ﷻ كانوا هم الغالبين عليهم، وإن نورهم الخارق ظل يظهر دائما بطريقة اضطر العاقلون إلى الإقرار بأن هناك فرقا عظيما بينهم وبين غيرهم. فالمعلوم أن المفلس المتسول أيضا يملك دراهم معدودة، بينما يملك الملِك من الدراهم ما يملأ خزائن، ولكن لا يحق للمتسول

أن يدّعي أنه يساوي الملك. كما أن هناك ضوءا في اليراعة فتلمع ليلا، وكذلك الشمس مضيئة، ولكن ليس لليراعة أن تدّعي التساوي مع الشمس. إن بذرة الرؤيا والكشف والإلهام التي بذرها الله في نفوس عامة الناس إلى حد ما، كان السبب الوحيد وراءها ليتمكّنوا من معرفة الأنبياء عليهم السلام بناء على تجربتهم الشخصية، ولتتم الحجة عليهم من هذه الناحية أيضا ولا يبقى لهم عذرٌ.

والمزية الأخرى في عباد الله الأصفياء هؤلاء هي أنهم يملكون تأثيرا وجذبا ويُرسَلون لتأسيس الأجيال الروحانية في الدنيا. وبما أنهم يهدون على بصيرةٍ ويرفعون حجب المخلوق المظلمة؛ فتنشأ بهم في القلوب معرفة الله الصادقة وحب الله الحقيقي والزهد والتقوى والذوق والحلاوة الصادقة. وإن قطع العلاقة بهم كأنْ يقطع الغصن علاقته بشجرته. إن هذه العلاقات تتميز ببدء نمو الروحانية وازدهارها في كل حدب وصوب فور نشوئها، بشرط الانسجام. وكلما قُطعت العلاقة اعتلى الإيمانَ الغبارُ فورا. إذًا، إنه لتعجرفٌ بحتٌ أن يقول أحد بأنه ليس بحاجة إلى أنبياء الله ورسله، بل هو علامة سلب الإيمان. وإن صاحب هذه الأفكار يخدع نفسه حين يقول: ألا أصلّي، ألا أصوم، ألا أنطق بالشهادة؟ إنما يقول ذلك لأنه يجهل الإيمان الصادق والذوق والخضوع الحقيقي. فعليه أن يفكر أنه مما لا شك فيه أن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان، ولكنه سُبحانه وتعالى جعل بعض الناس سببا لخلق غيرهم؛ فكما أن هناك آباء ماديين في السلسلة الجسدية يولَد الإنسان بواسطتهم، كذلك هناك آباء روحانيون في السلسلة الروحانية يولَد الإنسان بواسطتهم ولادة روحانية.

فاحذروا ولا تخدعوا أنفسكم بإسلامكم الظاهري. اقرأوا كلام الله بتدبر لتعرفوا ما الذي يريده الله منكم. إنما يريد عزّ وجلّ منكم ما عُلِّمتموه في سورة الفاتحة دعاءً: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾. فما دام الله تعالى ينصحكم أن تدعوا في صلواتكم الخمس لتُعطَوا نِعَمًا أعطيها الأنبياء والرسل؛ فأنّى لكم أن تنالوها بدون وسيلة الأنبياء والرسل؟ فلا بد من أن يأتي

أنبياء الله بين حين وآخر بُغية رفعكم إلى مرتبة اليقين والحب لتنالوا النِعم بواسطتهم.

فهل ستخاصمون الله، وتنقضون سنته القديمة؟ هل للنطفة أن تقول بأنها لم تُرِد أن تتولّد من الأب؟ وهل يجوز للأُذن أن تقول بأنها لا تريد أن تسمع بواسطة الهواء؟ أيُّ غباوة أكبر من مهاجمة سنة الله القديمة؟

وفي الأخير أريد أن أوضّح أيضا أن مجيئي من الله تعالى في هذا الزمن لا يهدف إلى إصلاح المسلمين فقط، بل قُصد به إصلاح الأمم الثلاث؛ المسلمين والهندوس والمسيحيين. وكما أرسلني الله تعالى مسيحا موعودا للمسلمين والنصارى، كذلك أنا "أوتار" (أي مبعوث) للهندوس أيضا. وأعلن منذ عشرين عاما أو أكثر أني جئت بصفة المسيح ابن مريم لإزالة الذنوب التي مُلئت بها الأرض، كذلك جئت بصفة الراجا "كرشنا" أيضا؛ الذي كان نبيا من الأنبياء الكبار في الهندوسية، أو يمكن القول كأني هُوَ هُوَ من الناحية الروحانية. وهذا الكلام ليس من بنات أفكاري أو تخمينا مني، بل هذا ما كشفه عليّ اللهُ رب السماء والأرض. وليس مرةً واحدة بل أخبرني مرارا أنك "كرشنا" للهندوس و"المسيح الموعود" للمسلمين والمسيحيين.

أعلم أن الجهلاء من المسلمين سيقولون عنّي فورا إثر سماعهم هذا الكلام: إنه قَبِل الكفر صراحة بإطلاقه اسم كافرٍ على نفسه، ولكن هذا وحيٌ من الله تعالى ولا يسعني إلا أن أُصرّح به. واليوم هو اليوم الأول الذي أطرح فيه هذا الأمر أمام جمع غفير كهذا لأن الذين يأتون من الله تعالى لا يخافون لومة لائم.

وليتضح الآن- كما كُشف عليّ- أن الراجا كرشنا كان في الحقيقة إنسانا كاملا لا نظير له في "المقدسين" أو "الأنبياء" عند الهندوس، وكان "أوتارا" أي نبي عصره، وكان روح القدس ينـــزل عليه من الله تعالى. ورزقه الله الفتح والازدهار وطهّر أرض الهند من الذنوب. وكان بحقٍ نبي عصره، ولكن تعاليمه قد شُوِّهت بأمور كثيرة فيما بعد. كان فياضًا بحب الله تعالى، يحب الخير ويعادي الشر. ولقد وعد الله أن يبعث بروزه أي ظلّه في الزمن الأخير؛ وقد

تحقق ذلك الوعد ببعثتي. ومن جملة الإلهامات التي تلقيتها عن نفسي إلهامًا تعريبيه: "يا كرشنا، قاتل الخنـــزير وراعى الأبقار، مدْحُك مسجل في الجيتا". فإني أحب "كرشنا" لأني مظهره. وهناك سرٌّ آخر وهو أن الصفات التي ذُكرت لـــــ "كرشنا" (أي مزيل الذنوب وجابر خاطر الفقراء ومربِّيهم) هي نفسها صفات المسيح الموعود. لذا فإن كرشنا والمسيح الموعود هما شخص واحد من حيث الروحانية، غير أن هناك مغايرة في الاصطلاح بين الأقوام المختلفة.

والآن أريد أن أنبه الآريين إلى بعض أخطائهم بصفتي كرشنا. فمنها ما ذكرته سابقًا بأن الاعتقاد والإيمان بكون الأرواح وذرات العالم أزلية وغير مخلوقة ليس صحيحا. ما من كائن أو شيء هو غير مخلوق إلا الله الذي لا يستند إلى غيره في حياته إلى غيره. أما الأشياء التي تعيش بالاستناد إلى غيرها فلا يمكن أن تكون غير مخلوقة. هل صفات الأرواح وقواها وُجدت من تلقاء نفسها، وليس لها خالق؟ إذا كان ذلك صحيحا فيمكن للأرواح أن تدخل الأجسامَ أيضا من تلقاء نفسها، كذلك يمكن اتصال الذرات وانفصالها أيضا تلقائيا، وبذلك لن يبقى في يدكم أي دليل عقلي للإيمان بوجود الإله، لأنه لو قَبِل العقل أن الأرواح بكل صفاتها وقواها قد وُجدت من تلقاء نفسها، لقبل الأمر الثاني أيضا بكل سرور؛ وهو أن اتصال الأرواح والأجسام وانفصالها أيضا يمكن أن يحدث تلقائيا. وما دام السبيل إلى الحدوث تلقائيا مفتوحا، فلا مبرر لأن يُترَك سبيل مفتوحا ويُغلق سبيل آخر. هذا الأسلوب لا يبرره أي منطق على الإطلاق.

إن هذا الخطأ قد ورّط الآريين في خطأ آخر يضرهم كما يضرّ الإلهَ خطأُهم الأول. والخطأ هو أنهم يحسبون النجاة مؤقتة، وجُعل التناسخ في الأعناق كالأغلال التي لا خلاص منها أبدا.

ليس للعقل السليم أن يجيز نسب هذا البخل وضيق الأفق إلى الله الرحيم والكريم. فلما كان الإله قادرا على منحِ النجاة الأبدية، وهو ذو القدرة كلها؛ فلا يُعقل أن يبخل بهذه الطريقة ويحرم العباد من فيض قدرته. وهذا الاعتراض

يتقوّى أكثر حين نرى أن الأرواح التي أوقعها الإله في عذاب طويل الأمد وكتب في نصيبها التعرض لعملية التناسخ المتكررة إلى الأبد؛ ليست من خلقه أصلا. وجوابُ الآريين على هذا الاعتراض هو أن الإله كان قادرا على منحِ النجاة الأبدية لأنه القدير المطلق، ولكن قد وقع خياره على أن تكون النجاة مؤقتة كيلا تنقطع سلسلة التناسخ. ولما كانت الأرواح محدودة العدد ولا يمكن أن تزيد على ذلك، فإذا كانت النجاة أبدية لما استمرت عملية التناسخ لأن الروح التي نالت نجاة أبدية ودخلت الجنة تكون وكأنها انفلتت من يد الإله، لتكون النتيجة النهائية والحتمية لهذا الانفلات اليومي أن لا تبقى في يوم من الأيام أي روح في يد الله ليُدخلها في عملية التناسخ، بل لانتهت هذه العملية يوما ما فيجلسَ الإله عاطلا. فبسبب هذه الصعاب جعل الإله النجاة مؤقتة.

هنا يقع اعتراض آخر أيضا وهو: لماذا يخرج الإله من مكان النجاة مرارا أولئك الأبرياء الذين نالوا النجاة مرة وتطهروا من الذنوب؟ لقد دحض الإله هذا الاعتراض بأن أبقى ذنبا واحدا في حساب كل من يدخل مكان النجاة، وبناء على ذلك الذنب وعقابا عليه تُخرج كل روح من مكان النجاة.

هذه هي مبادئ الآريين. فاعدلوا وأنصفوا؛ أنّى لمن يواجه هذه المشاكل أن يسمَّى إلـــهًا؟ الأسف كل الأسف أن الآريين أوقعوا أنفسهم في مصائب جمةٍ بإنكارهم قضية واضحة وهي صفة الله "الخالق"، وأساءوا إلى الله بقياسهم أفعال الإله على أفعالهم، ولم يفكروا أنه يختلف عن المخلوق في كل صفة من صفاته. إن قياس الله بمقياس صفات المخلوق خطأ يسمِّيه المناظرون "القياس مع الفارق". ثم إن القول بأنه لا يمكن الخلق من العدم ناتج عن نقص معرفة العقل بعملية الخلق. إن تصنيف صفات الله ﷻ أيضا تحت هذا المبدأ ليس إلا قصور الفهم بعينه. إن الله ﷻ يكلِّم دون لسان مادي، ويسمع بغير أُذن مادية، ويرى دون عيون مادية، كذلك فإنه يخلق أيضا بغير لوازم مادية. إن اعتباره محتاجا إلى المادة للخلق إنما هو تجريده من الصفات الإلهية.

والفساد الكبير الآخر في هذه العقيدة هو أنها تؤدي إلى إشراك كل ذرة بالله تعالى في صفة أزليّته. إن عبدة الأصنام يُشركون بالله بضعة أصنام فقط، أما وفقًا لهذه العقيدة فكل العالم يصبح شريكا له ﷻ لأن كل ذرة تُعَدّ إلها في ذاتها. يعلم الله أني لا أقول هذا الكلام مدفوعا ببُغضٍ أو عداوة، ولكني واثق أنه لا يمكن أن يكون هذا التعليم من "الفيدا" الأصلي. أعلم أن المتفلسفين اعتنقوا معتقدات أدت إلى إلحاد كثير من الناس في نهاية المطاف. فأخشى إن لم يتخلّ الهندوس عن هذا الاعتقاد أن يلاقوا العاقبة نفسها.

وإن التناسخ الذي هو فرع هذا الاعتقاد، يصم أيضا رُحْمَ الله وفضله بوصمة عيب كبير؛ لأننا نرى أحيانا تجمُّعَ مليار من النمل بل أكثر من ذلك في مكان لا يتعدّى بضعة أشبار، ونرى وجود آلاف الكائنات في قطرة ماء واحدة، كما تمتلئ الأنهار والبحار والبراري والفلوات بأنواع الحيوانات والحشرات والكائنات التي لا مجال لمقارنة عددها بعدد الناس. ففي هذه الحالة لا بد أن يخطر بالبال- إذا كان مبدأ التناسخ صحيحا بافتراضٍ محال- ماذا خلق الإله إلى الآن؟ ومَن الذي وهبه النجاة، وماذا يمكن أن نتوقع في المستقبل؟

إضافة إلى ذلك هناك مبدأ آخر لا يُعقل؛ وهو أن يعاقَب أحدٌ دون أن يُطلَع على جريمته. ثم الطامة الكبرى الأخرى هي أن النجاة تعتمد على العلم، ولكن العلم في هذه الحالة يضيع باستمرار، إذ أن الذي يأتي إلى الدنيا بولادة أخرى- مهما كان بانديتا كبيرا- لا يعود يذكر شيئا من الفيدا. فتبين من ذلك أن نيل النجاة من خلال الولادات المتكررة مستحيل أصلا. ثم إن النساء والرجال الذين يأتون إلى الدنيا وفق مبدأ الولادات المتكررة، لا تأتي معهم قائمة تبين علاقات القرابة بينهم كي لا يتزوج أحدهم امرأة وُلدت حديثا ولكنها أخته أو أمه في الحقيقة.

أما فيما يتعلق بقضية "نيوك" الرائجة في الآريين في هذا العصر، فأنصحهم مرارا أن يتخلوا عنها بكل ما في وسعهم. إذ لا يمكن أن تقبل غيرة الرجل أن يسمح لزوجته- المحصنة والمنوط بها جُلُّ عرِضه وكرامته- أن تضاجع الآخرين

لمجرد الحصول على الأولاد، مع كونه زوجها الشرعي، ومع قيام علاقة الزوجية بينهما. لا أريد أن أطيل في هذا الموضوع، بل أتركه لضمير الأشراف من الناس. ومع كل ذلك يحاول الآريون دعوة المسلمين إلى ديانتهم!

أقول إن كل عاقل يكون جاهزا لقبول الحق، ولكن ليس من الحق في شيء أن تُنفى تماما صفة الخلق عن الإله الذي أثبت وجوده بقدراته العظيمة، وألا يُعتبر مصدرا للفيوض كلها. إن إلهًا كهذا لا يمكن أن يكون إلـــها أصلا. لقد عرف الإنسانُ اللهَ تعالى من خلال قدراته سُبحانه، ولما لم تعد فيه أية قدرة وصار محتاجا إلى الأسباب مثلنا؛ فسينغلق باب معرفته عَزَّ وَجَلَّ.

إضافة إلى ذلك إن الله تعالى يستحق العبادة بناء على إحساناته، ولكن لــمَّا لم يخلق الأرواح أصلا، ولا توجد فيه صفة المنّ والإحسان دون عمل عامل، فكيف يستحق هذا الإلـــه عبادةً؟ بقدر ما نتدبر هذا، نجد أن الآريين لم يقدموا نموذجا حسنا لدينهم؛ إذ قدموا إلــهًا ضعيفا وحقودا بحيث لا يهب أحدا نجاة دائمة، وغضبُه أبديٌّ لا يزول مع إنزال العقاب إلى ملايين السنين. إنهم وصموا ثقافتهم القومية بوصمة سوداء بسبب "نيوك" وبذلك صالوا على عِرض السيدات العفيفات أيضا، وأحدثوا فسادا مخجلا في حقوق الله وحقوق العباد كِلَيهما. فهذه الديانة أقرب ما تكون إلى الإلحاد من حيث تعطيل الإله عن العمل، أما من ناحية "نيوك" فهي أقرب إلى قوم لا يسوغ لي ذكرهم.

هنا أجدني مندفعا للقول بألم يعتصر قلبي: إن معظم الآريين والمسيحيين معتادون بشدة على الهجوم غير المبرر على مبادئ الإسلام الحقة والكاملة، ولكنهم غافلون بشدة عن خَلق الروحانية في دينهم. ليس المراد من الدين أن يسيء الإنسان إلى جميع الأكابر والأنبياء والرسل في العالم، بل هذا يُعارض الهدف الحقيقي من الدين. الهدف الحقيقي من الدين هو أن يطهِّر الإنسان نفسه من كل سيئة ويجعل روحه تخرّ على أعتاب الله تعالى دائما، ويمتلئ باليقين والحب والمعرفة والصدق والإخلاص ويحدث فيه تغيُّر صادق لينال حياة الجنة في هذه الدنيا. ولكن متى وكيف تُكتسب الحسنة الحقيقية بهذه المعتقدات التي

تُعلِّم الناس أن يؤمنوا بدم المسيح، ثم يظنوا في أنفسهم أنهم تطهّروا من الذنوب؟! أية طهارة هذه التي لا تحتاج إلى تزكية النفس؟! الطهارة الحقيقية تتأتّى حين يتوب الإنسان من الحياة القذرة ويتطلع إلى حياة طاهرة.

ولبلوغ هذا الهدف هناك حاجة ماسة إلى ثلاثة أمور:

أولا: السعي والمجاهدة، أي يجب على الإنسان أن يسعى جهد المستطيع للتخلي عن الحياة القذرة.

ثانيا: الدعاء، أي أن يتضرع في حضرة الله دائما ليُخرجه بيده ﷻ من العيش القذر، ويخلق فيه نارا تحرق السيئة حرقَها العشبَ والكلأ، وأن يهبه الله قوة تتغلب على الأهواء النفسانية. فعلى الإنسان أن يستمر في هذا الدعاء إلى أن يأتي وقت نزول نورٍ من الله على قلبه، وهبوط شعاعٍ منيرٍ على نفسه يزيل الظلمات كلها، ويُبعد عنه الضعف كله ويحدث فيه تغييرا طيبًا؛ لأن في الدعاء تأثيرا بلا أدنى شك. فإذا أمكن أن تحيا الأموات فبالأدعية، وإذا أمكن أن يُطلَق سراح الأسرى فبالأدعية، وإذا أمكن تطهير القذرين فبالأدعية وحدها. ولكن الدعاء والموت أمران متقاربان جدا.

والطريق الثالث هو صحبة الكمَّل والصالحين، لأن سراجا يمكن أن يُشعِل سراجًا. فهذه الطرق الثلاثة للتخلص من الذنوب لو اجتمعت في أحد، لحالفه فضل الله تعالى في نهاية المطاف، وليس أن يعتنق عقيدةَ دم المسيح ويحسب في نفسه أنه نجا من الذنوب؛ إنْ هذا إلا خديعة يخدع بها الإنسان نفسه. لقد خُلق الإنسان لهدف عظيم، ولا يكمن كماله في هجر الذنوب فقط، إذ هناك عجماوات كثيرة أيضا لا تقترف ذنبًا، فهل يمكن أن تُعَدَّ من الكمَّل؟ أو هل يمكن أن ننال من أحد جائزة بقولنا له: إننا لم نخطئ في حقك؟ بل لا تُنال الجوائز إلا نتيجة الخدمات المخلصة. والخدمة في سبيل الله هي أن يكون الإنسان له ﷻ وحده، ويقطع بحبه أواصر الحب الأخرى كلها، ويتخلى عن رضاه ابتغاءَ مرضاةِ الله ﷻ.

لقد ضرب القرآن الكريم بهذا الصدد مثلا جميلا للغاية وهو أنه لا يمكن لأحد أن يكون مؤمنا كاملا ما لم يشرب شرابَين اثنين؛ الشراب الأول لإخماد حب الذنوب، وقد سمى القرآن الكريم هذا الشراب بالكافور. والشراب الثاني هو لملء القلب بحب الله تعالى وسمّاه القرآن الكريم زنجبيلاً. ولكن الأسف كل الأسف أن المسيحيين والآريين لم ينهجوا هذا النهج. لقد مال الآريون إلى أن الذنب يعاقَب عليه في كل الأحوال سواء أتاب مرتكبه أم لم يتب، لذلك لا بد من المرور في عملية التناسخ بالتكرار. أما المسيحيون فيبيِّنون للتخلص من الذنوب سبيلا ذكرته قبل قليل. فكِلا الفريقين ابتعد عن الهدف الحقيقي، ويهيم بعيدًا في الفلوات على غير هدًى.

لقد وجَّهت هذا الكلام إلى الآريين، أما حالة المسيحيين، الذين يبذلون قصارى جهدهم لنشر دينهم، فهي مؤسفة أكثر من الآريين. يسعى الآريون في هذا العصر إلى أن يتخلَوا بشكل من الأشكال عن مذهبهم القديم، أي عبادة المخلوق. أما المسيحيون فليسوا متورطين في عبادة المخلوق بأنفسهم فقط، بل يريدون أن يُقحموا فيها العالم كله. فقد اتخذوا المسيح عليه السلام إلـــهًا تعنُّتًا من عند أنفسهم، مع أنه لا توجد فيه أية قدرة لا توجد في الأنبياء الآخرين. بل الحق أن بعض الأنبياء فاقوه في إظهار المعجزات. وإن نقاط ضعفه تشهد بكل جلاءٍ أنه كان إنسانا محضا، ولم يقل عن نفسه ما يدل على أنه ادعى الألوهية. الاستدلال من كلامه على ألوهيته استدلال خاطئٌ تماما، إذ تتخلل كلام الأنبياء آلاف من كلمات الله من هذا القبيل على سبيل الاستعارة والمجاز، وليس لعاقل أن يستنتج منها الألوهية، بل هو شيمة المولعين بتأليه الإنسان دون مبرر.

أقول حلفا بالله: إن في وحيي وإلهاماتي كلمات أكبر منها، فلو ثبتت بها ألوهية المسيح عليه السلام لكان لي أيضا الحق، والعياذ بالله، أن أدّعي الأمر نفسه. فاعلموا أن ادعاء الألوهية تهمة سافرة أُلصقت بالمسيح عليه السلام، لأنه لم يدّع الألوهية قط، كل ما قاله عليه السلام عن نفسه لا يتعدّى حدود الشفاعة. ومن ينكر شفاعة الأنبياء؟ لقد نجا بنو إسرائيل مرات عديدة من عذاب مضطرم بشفاعة

موسى عليه السلام. إنني صاحب تجربة في هذا المجال، وإن كثيرا من الأشراف من جماعتي يعرفون جيدا أن بعضا من المرضى والمبتلين بالمصائب قد نجوا من مصابهم نتيجة شفاعتي، وكانوا قد أُخبروا بذلك قبل الأوان. الاعتقاد بصلب المسيح ليخلّص أمته وإلقاء ذنوبهم عليه عقيدة عابثة تماما وبعيدة عن العقل كل البعد. بَعُدَ عن عدل الله وإنصافه أن يذنب شخص ويعاقَب شخص آخر.

باختصار، فإن هذا الاعتقاد مجموعة الأخطاء. إن التخلي عن الله الواحد الأحد وعبادة المخلوق ليس من شيمة العاقلين. واعتبار الأقانيم الثلاثة كاملةً ومستقلة بحيث أنها متساوية في الجلال والقوة، ثم تركيبُ إلهٍ كامل من خليط تلك الثلاثة منطقٌ خاص بالمسيحيين فقط في العالم كله.

مما يؤسف في الأمر هو أن الهدف الذي من أجله نُسجت هذه الخطة، أي النجاة من الذنب والتخلص من الحياة السُفلى الدنيوية؛ لم يتحقق أيضا. والحق أن حالة الحواريين كانت نزيهة قبل الكفارة، ولم تكن لهم علاقة بالدنيا ودراهمها ودنانيرها، وما كانوا متورطين في قذارات الدنيا، وما كان اهتمامهم منصبًّا على كسب الدنيا، ولكن لم تعُد حالة قلوب الناس على هذا المنوال بعد الكفارة. وبقدر ما يؤكَّد في الزمن الراهن على الكفارة ودم المسيح؛ ازداد المسيحيون تورُّطا في أمور الدنيا أكثر فأكثر. معظمهم منصرفون كليا إلى مشاغل الدنيا كالسكران. ولا أرى حاجة إلى ذكر بقية الذنوب التي تنتشر في أوروبا؛ مثل الإدمان على الخمور والإباحية.

والآن سأنهي خطابي بتقديم بيان مختصر أمام عامة المستمعين إثباتا لادّعائي. فيا أيها المستمعون الكرام، فتح الله قلوبكم وألهمكم قبول الحق وفهمه؛ تعلمون أن كل نبي ورسول ومبعوثٍ من الله يأتي لإصلاح الناس، وإن كان يكفي لطاعته، من حيث العقل، أن يكون كل ما يقوله حق وصدق دون أن تشوبه شائبة الخديعة والزيف، لأن العقل السليم لا يرى حاجة إلى معجزةٍ لقبول الحق. ولكن لما كانت في طبيعة الإنسان نزعةٌ إلى الأوهام أيضا، ومع أن الأمر يكون في الواقع صحيحا وصادقا وحقا؛ إلّا أنه يتوهم لعل للقائل هدفا معيَّنا وراءه، أو

يكون خادعا أو مخدوعا. فتارة لا يُنتبه إلى كلامه لكونه إنسانا عاديا ويُحسَب ذليلا حقيرا، وتارة أخرى تتغلب أهواء النفس الأمارة حتى إنْ فهِمَ أن ما يقال هو صدق وحق، إلّا أنه يكون مغلوبا بأهوائه لدرجة أنه لا يستطيع أن يسلك الطريق الذي يريد منه الواعظُ والناصحُ أن يسلكه، أو يمنعه ضعف طبيعته من أن يخطو إلى الأمام؛ لذلك فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تُحالف الذين يأتون من عنده ﷻ بعض آيات نُصرته أيضا؛ التي تظهر أحيانا بصورة الرحمة وأحيانا أخرى بصورة العذاب. وهؤلاء المبعوثون يُعَدُّون "بشيرًا" و"نذيرًا" من الله بناء على تلك الآيات. ويستفيد من آيات الرحمة أولئك المؤمنون الذين لا يتكبرون إزاء أوامر الله، ولا ينظرون إلى المرسَلين من الله بالتحقير والإهانة، بل يعرفونهم بفراستهم التي وهبها الله إياهم. ويتمسكون بسبيل التقوى ولا يتعنّتون ولا يُعرضون عنها نتيجة الاعتزاز بالدنيا والشرف الزائف، بل حين يرون أن أحدا قام في وقته بحسب سنة الأنبياء ويدعو إلى الله تعالى، وكلامه يتّسم بما يكفي لقبول صحته، ترافقه آيات نصرة الله، والتقوى والأمانة، ولا يقع اعتراض على قوله أو فعله بحسب سنن الأنبياء عليهم السلام؛ فإنهم يؤمنون بمثل هذا الإنسان. بل هناك بعض من سليمي الفطرة الذين يعرفون بمجرد رؤية وجهه أن هذا الوجه ليس بوجه كذاب أو مكّار. فلمثل هؤلاء الناس تظهر آيات الرحمة، وينالون قوة الإيمان باستمرار نتيجة صحبة صادق، ويجدون في أنفسهم تغييرات طيبة فيرون آيات متجددة دائما. وتكون جميع الحقائق والمعارف وأنواع النصرة والتأييدات وإعلام الغيب بمنـــزلة الآيات في حقهم. وبسبب لطافة أذهانهم؛ يشعرون بأدق أنواع نصرة الله في حق ذلك المرسل، فيطّلعون على أدق الآيات أيضا.

مقابل هؤلاء؛ هناك أناس آخرون ليس من نصيبهم آيات رحمة، كما لم يحظَ قوم نوح بأيّةِ معجزة إلا معجزة الغرق، ولم يستفد قوم لوط من أيّة معجزة سوى معجزة واحدة قُلبت بها الأرض عليهم رأسا على عقب، وأُمطروا بالحجارة. كذلك بعثني الله تعالى في هذا العصر، وأرى أن طبائع معظم الناس

المعاصرين تشبه طبائع قوم نوح. قبل عدة سنوات ظهرت في السماء من أجلي آيتان أُنبئ عنهما برواية فردٍ من أسرة النبي ﷺ. وهي أنه عندما يظهر في العالم إمام آخر الزمان ستظهر له آيتان ما ظهرتا لأحد قط: سَيَنكَسِفُ الْقَمَرُ لأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ أي من ليالي كسوفه وَتَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِى النِّصْفِ مِنْهُ أي من أيام كسوفها. وهذه النبوءة متفق عليها في كتب الشيعة وأهل السنة. وقد ورد أنه لم يحدث منذ خلْق الدنيا تزامُنُ وجود مدّعي الإمامة وظهور هاتين الآيتين في اليومين المحدَّدَين في زمنه. ولكن هذا سيحدث في زمن إمام آخر الزمان، وتكون هذه الآية خاصة به وحده. ولقد وردت هذه النبوءة في كتبٍ سبق أن نُشرت في العالم قبل ألف عام. ولكنها حين ظهرت في زمن ادّعائي الإمامة لم يقبلها أحد، ولم يبايعني أحد منهم نتيجة رؤية تحقق هذه النبوءة العظيمة بل ازدادوا سِبابا واستهزاء، وسمّوني دجالا وكافرا وكذّابا وهلمّ جرّا. وذلك لأن النبوءة ما كانت نبوءة عذاب، بل الرحمة الإلهية قد أظهرت آيةً قبل الأوان، ولكن الناس لم يستفيدوا منها شيئا، ولم تتوجّه إليّ قلوبهم، وكأنها لم تكن آيةً، بل نبوءةً عبثيّةً فقط.

ثم حين تجاوز تجاسر المكذبين حدودهم؛ أظهر الله تعالى آية العذاب على الأرض- كما ورد في كتب الأنبياء منذ البداية- وهي آية الطاعون الذي يحصد هذا البلد منذ بضعة أعوام، ولا تنفع أمامه خطة من خطط البشر. لقد ورد النبأ عن الطاعون بصراحة في القرآن الكريم كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾[1]. أي سينتشر الطاعون الجارف قبل القيامة بفترة، وستُمحى به بعض القرى نهائيا، وسينجو بعضها بعد مكابدة العذاب إلى حد ما. كذلك يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

[1] الإسراء: ٥٩

كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[1] فهاتان الآيتان موجودتان في القرآن الكريم وتحتويان على نبوءة صريحة عن الطاعون؛ فالطاعون أيضا دابة، وإن لم يطّلع عليها الأطباء السابقون. ولكن الله عالم الغيب كان يعلم أن أصل الطاعون هو الدابة التي تخرج من الأرض، لذا فقد سمّاه دابة الأرض.

قصارى القول، حين ظهرت آية العذاب وزهقت آلاف النفوس في البنجاب ووقع زلزال مهيب في هذا البلد؛ عاد الناس إلى صوابهم وبايع قرابة مائتَي ألف شخص في مدة وجيزة، وما زالت سلسلة البيعات بكثرة مستمرة إلى الآن، لأن الطاعون لم يتوقف عن صوله بعد. ولما كان الطاعون آيةً؛ فلا يُتوقع زواله من هذا البلد ما لم يُحدث معظم الناس تغيُّرا نوعا ما في نفوسهم.

باختصار، هذه الأرض تشبه كثيرا أرضَ زمن نوح عليه السلام إذ لم يؤمن أحد برؤية الآيات السماوية؛ أما برؤية آية العذاب فقد بايعه الآلاف. ولقد ذكر الأنبياء السابقون أيضا آية الطاعون. فقد ورد في الإنجيل ذكر انتشار الموت في زمن المسيح الموعود، كذلك ذكر الحروب التي نراها مندلعة في هذه الأيام.

فيا أيها المسلمون توبوا؛ ترون أن الطاعون يُبعد أقاربكم منكم كل عام، فاخضعوا أمام الله كي يتوب عليكم. لا يُدرى كم ستطول صولة الطاعون، وما الذي سيحدث في مستقبل الأيام. فإن كنتم في شك من دعواي وتبحثون عن الحق؛ فإن إزالة هذه الشبهة جدّ سهل، لأن صدق كل نبي يُعرف بثلاثة طرق:

الأول: بالعقل. أي يجب التدبر فيما إذا كان العقل السليم يشهد أم لا، بضرورة مجيئه في الزمن الذي جاء فيه الرسول أو النبي؟ أو هل كانت حالة الناس الراهنة تقتضي بعثة مصلح في ذلك الوقت أم لا؟

الثاني: نبوءة الأنبياء السابقين. أي يجب أن يُرى إذا كان نبيٌّ من الأنبياء قد أنبأ في حقه أم لا، أو أنبأ بظهور أحد في زمنه أم لا؟

---

[1] النمل: ٨٣

الثالث: النصرة الإلهية والتأييد السماوي. أي يجب أن يُرى هل يحالفه تأييد سماوي أم لا؟

فهذه العلامات الثلاث محدَّدة منذ القِدم لمعرفة المبعوث الصادق من الله تعالى. فيا أيها الأحبة، قد جمع الله تعالى في هذا الزمن- رحمةً بكم- هذه العلامات الثلاث تصديقا لي، فالأمر الآن متروك لكم، اقبلوه أو لا تقلبوه. فلو تدبرتم بمقتضى العقل؛ فإن العقل السليم ينادي ويبكي أن المسلمين بحاجة إلى مصلح سماوي في هذا الوقت. إن حالتهم الداخلية والخارجية مخيفة، وكأن المسلمين على شفا حفرة، أو هم عرضة لسيل عارم. ولو بحثتم في الأنبياء السابقة لوجدتم أن النبي دانيال قد أنبأ عني وعن زمني. وقد قال النبي ﷺ أيضا إن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة. وإن لم يعلم ذلك أحد فليرجع إلى الصحيحين، وليقرأ نبوءة مجيء مجدد على رأس كل قرن. وإذا أراد البحث عن نصرة الله لي؛ فليعلم أنه قد ظهرت إلى الآن آلاف الآيات.

من جملة تلك الآيات آية سجِّلت في "البراهين الأحمدية" قبل ٢٤ عاما حين لم يكن في بيعتي ولو شخص واحد، وما كان أحد يأتيني مسافرا. فقد قال تعالى في تلك الآية: "**يأتيك من كل فجٍّ عميق، يأتون من كل فجٍّ عميق**". أي الوقت قريب حيث تصلك فيه التأييدات المالية من كل حدب وصوب، وسيأتيك الناس بالآلاف. ثم قال تعالى: "**ولا تصعِّر لخلق الله ولا تسأم من الناس.**" أي سيأتيك الناس بكثرة حتى تحتار لكثرتهم، فعليك ألا تعاملهم بسوء الخُلق وألا تسأم من لقائهم.

فيا أيها الأعزة، لعلكم لا تعرفون كم من أناس جاءوني إلى قاديان، وكيف تحققت تلك النبوءة بوضوح، ولكنكم لاحظتم في هذه المدينة بالذات أن آلافا من أهلها قد اجتمعوا لرؤيتي على محطة القطار عند مجيئي. وقد بايعني مئاتٌ منهم رجالا ونساء، مع أنني الشخص نفسه الذي مكث في المدينة نفسها نحو سبعة أعوام تقريبا قبل زمن تأليف كتاب "البراهين الأحمدية" بسبعة أو ثمانية

أعوام على وجه التقريب، ولم يكن أحد من الناس على علاقة معي ولم يعرف أحد بحالي. ففكروا وتدبروا أنه قد أُنبئ عني في كتاب "البراهين الأحمدية" قبل ذيوع صيتي وإقبال الخليقة عليّ بأربعة وعشرين عاما، حين لم أكن شيئا يُذكر في أعين الناس. مع أنني مكثت في هذه المدينة نحو سبع سنوات قبل زمن تأليف كتاب "البراهين الأحمدية"، كما قلتُ، ولكن القلة القليلة منكم يعرفونني لأني كنت عندها خامل الذكر وكنت كأحدٍ من الناس، وما كنت أحظى بعظمة أو إكرام في أعين الناس. ولكن تلك الفترة كانت ممتعة جدا بالنسبة إليَّ؛ كأنني في خلوة مع كوني في مجلس وكأنني وحيد مع كوني بين الناس. كنت أعيش في المدينة كمن يعيش في الفلاة. أحب هذه الأرض كما أحب قاديان لأني قضيت فيها شطرًا من أوائل عمري، وقد تجوّلت في أزقة المدينة كثيرا. وفي هذه المدينة يسكن صديقي الحميم والمخلص؛ السيد حكيم حسام الدين، وهو ما زال يحبني ويستطيع أن يشهد على كيفية تلك الفترة وكيف كنت في هوة الخمول.

والآن أسألكم، هل من قدرة الإنسان أن ينبئ شخص خامل كهذا في مثل ذلك الزمن بنبوءة عظيمة أنه سينال رفعةً حتى يصبح مئات آلاف الناس من مريديه وتابعيه، وأن الناس سيبايعونه أفواجا، ولن يقلّ إقبال الناس عليه مع معارضة المعارضين المريرة، بل سيكثر عدد الناس حتى يكاد يسأم منهم؟ فهل كل ذلك في قدرة الإنسان؟ وهل لمكّار أن ينبئ بنبوءة في زمن الخمول وعدم الحيلة قبل ٢٤ عاما ويخبر بهذا العلوِّ وإقبال الناس؟ إن كتاب "البراهين الأحمدية"- الذي وردت فيه هذه النبوءة- ليس كتابا غير معروف، بل هو موجود في هذه البلاد عند المسلمين والنصارى والآريين، كما هو موجود عند الحكومة. ولو ارتاب أحد في هذه الآية العظيمة فليأت بنظيرها في هذا العالم.

إضافة إلى ذلك هناك آيات كثيرة أخرى يعلمها أهل هذا البلد. إن بعضا من عديمي الفهم الذين لا يريدون أن يقبلوا الحق بحال من الأحوال؛ لا يستفيدون من الآيات المتحققة شيئا، ويبحثون عن طريق الفرار بانتقادات سخيفة. وباعتراضهم على نبوءة أو نبوءتين؛ يذرّون الرماد على آلاف النبوءات والآيات

البينات. الأسف كل الأسف أنهم لا يخافون الله أدنى خوف وهم يكذبون، ولا يذكرون المؤاخذة في الآخرة وهم يفترون. لا أرى حاجة إلى أن أسرد للمستمعين جُلّ أحوالهم بذكر تفاصيل افتراءاتهم. لو كان فيهم تقوى الله أو شيء من خشيته ﷻ لما سارعوا إلى تكذيب آيات الله، وإن لم يفهموا آية على سبيل الافتراض كان عليهم أن يسألوني حقيقتها بالرِفق والخُلق الحسن.

من أكبر اعتراضاتهم أن "آتهم" لم يمت في الميعاد، وأنه إن مات "أحمد بيك" بحسب النبوءة، ولكن لم يمت صهره الذي شملته النبوءة أيضا. إن مستوى تقواهم هو أنهم لا يذكرون آلاف الآيات المتحققة، ويعيدون ذكر نبوءة أو نبوءتين لم يفهموهما، ويضجّون بها في كل مجلس. لو كانت فيهم خشية الله لاستفادوا من الآيات والنبوءات المتحققة. ليس من شيمة الصلحاء أن يعرضوا عن المعجزات البينة، وإذا واجهوا أمرا دقيقا اعترضوا عليه. فلو ظل الحال على هذا المنوال لفُتح باب الاعتراضات على كل الأنبياء، ولاضطر أصحاب هذه الطبائع إلى التخلي عن الجميع في نهاية المطاف. فمثلا: أي شك في كون عيسى عليه السلام صاحب المعجزات!؟ ولكن يمكن لمعارض شرير أن يقول إن بعض نبوءاته كانت كاذبة، كما يقول اليهود إلى اليوم بأنه لم تتحقق أية نبوءة من نبوءات يسوع المسيح. لقد قال إن الحواريين الاثني عشر سيجلسون على اثني عشر عرشا في الجنة، ولكنهم نقصوا من اثني عشر إلى أحد عشر إذ ارتد أحدهم. وقال أيضا إن معاصريَّ لن يموتوا ما لم أَعُد، ولكن مضى ١٨ قرنا ودخل أناسها القبور، دع عنك أناس زمنه، ولكنه لم يعد إلى الآن. وقد ثبت كذب نبوءةٍ له في زمنه أيضا إذ قال بأني ملك اليهودِ ولكنه ما نال حُكما. وهناك اعتراضات أخرى كثيرة من هذا القبيل.

كذلك يعترض بعض ذوي الطبائع الخبيثة في هذا الزمن أيضا على بعض نبوءات رسول الله ﷺ ويرفضون نبوءاته كلها، ويقدم بعضهم قضية صلح الحديبية. فإذا كانت اعتراضات من هذا القبيل جديرة بالقبول فلا أتأسف على هؤلاء القوم، بل أخشى أن يهجروا الإسلام أصلا بسلوكهم هذا المسلك.

يوجد نوع من الاجتهاد في نبوءات الأنبياء كلهم، وكذلك في نبوءاتي، كما كان سفر النبي ﷺ إلى الحديبية بناء على الاجتهاد، ولكن ثبت فيما بعد أنه لم يكن صحيحا. ولكن صدور الخطأ أحيانا في الاجتهاد لا يحط من عظمة النبي وجلالته وعزته. وإن قلتم بأن ذلك يؤدي إلى رفع الأمان، قلتُ: إن كثرتها تضمنُ الأمان. ففي بعض الأحيان يكون وحي النبي كخبر آحاد ويكون مجملا أيضا. وأحيانا أخرى يكون الوحي في أمر ما بكثرة ووضوح. فلو حدث الخطأ الاجتهادي في الوحي المجمل لما أضرَّ البيناتِ المحكماتِ شيئا. فلا أُنكر أن يكون وحيي كخبر آحاد ومجملا أحيانا، وأن يحدث في فهمه خطأ اجتهادي، لأن ذلك يشكِّل قاسما مشتركا بين جميع الأنبياء. لعنة الله على الكاذبين.

إضافة إلى ذلك ليس واجبا على الله أن يحقق أنباء الوعيد في كل الأحوال. إن نبوءة يونس عليه السلام شاهدة على ذلك. وجميع الأنبياء متّفقون على أن مشيئة الله عن الوعيد يمكن أن تزول نتيجة الصدقة والدعاء. فإذا كان زوال نبوءة الوعيد مستحيلا، فلا طائل من وراء الصدقة والدعاء أصلا.

والآن أنهي هذا البيان وأشكر الله الذي وفّقني لكتابته مع اعتلال الصحة وضعف الجسد. وأدعو الله تعالى أن يجعله مدعاة لهداية كثير من عباده، وأن يجمع-كما اجتمع ظاهريا هذا الحشد- القلوبَ على الحب والوئام لنيل الهداية، ويجعل ريح الهداية تجري في كل حدب وصوب. لا يمكن للأعين أن ترى بغير النور السماوي، فندعو الله تعالى أن ينـــزِّل نورًا روحانيًا من السماء حتى تتمكن الأعين من الرؤية، وأن يخلق هواءً من الغيب حتى تسمع الآذان. من ذا الذي يستطيع أن يأتيني إلا الذي يجذبه الله إليّ. وهو سبحانه وتعالى لا يزال يجذب الكثيرين وسيجذب في المستقبل أيضا، وسيُكَسِّرُ أقفال قلوب كثيرة.

إن أصل ادّعائي هو وفاة عيسى عليه السلام، والله تعالى يسقي هذا الأصل بيده ويحميه الرسولُ ﷺ. لقد شهد الله تعالى بقوله، ورسولُه ﷺ بفعله أي برؤية العين بأن عيسى عليه السلام قد مات. فقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج مع الأرواح الميتة، ولكن من المؤسف حقا أن الناس مع ذلك يحسبونه حيا، ويعطونه

خصوصية لم يُعطَها أحد من الأنبياء. هذه الأمور هي التي تقوّي ألوهية المسيح عليه السلام بحسب زعم المسيحيين، ويتعثّر كثير من الأغرار بسبب هذه المعتقدات.

أَشهد أن الله تعالى أخبرني أن عيسى عليه السلام قد مات. وفي إحيائه الآن هلاك الدين. والتمسك بهذه الفكرة عبث بحت. كان الإجماع الأول في الإسلام على أنه ليس هناك نبي من الأنبياء السابقين حيًّا، وهذا ما تبينه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُل﴾[1]. أدعو الله تعالى أن يعطي أبا بكر رضي الله عنه أجرا عظيما لأنه كان سبب هذا الإجماع، إذ صعد المنبر وتلا هذه الآية.

وأخيرا نشكر من الأعماق؛ الحكومة الإنجليزية التي أعطتنا الحرية الدينية لرحابة صدرها. وبسبب هذه الحرية نوصل العلوم الدينية الضرورية إلى الناس. إنها ليست بالنعمة التي توجب علينا أن نشكر الحكومة بصورة عادية فقط، بل يجب أن نشكرها من الأعماق. أقول صدقا وحقا إنه لو أعطتنا هذه الحكومة المحسنة عقارات تُقَدَّر بالملايين، ولم تعطنا هذه الحرية؛ لما عادلتْ العقارات شيئًا، لأن أموال الدنيا فانيةٌ، أما الحرية الدينية فهي مال لا يفنى.

فأنصح جماعتي أن يظلوا شاكرين لهذه الحكومة بإخلاص القلب، لأنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله أيضا. والصالح هو الذي يشكر الله ويشكر أيضا الإنسان الذي بواسطته وصَلَتْه نعمة ذلك المنعم الحقيقي سبحانه وتعالى. والسلام على من اتبع الهدى.

الــــراقم: ميرزا غلام أحمد القادياني

الثلاثاء ١ تشرين الثاني ١٩٠٤م

سيالكوت

[1] آل عمران: ١٤٥

[1]إنه لأمرٌ من السماء وأبلِّغه إلى الأرض، وإن لم أبلّغه بعدما سمعتُه فماذا أفعل به؟!

إنني مأمور بهذا الأمر ولا دخل لي في ذلك، فاذهبْ وقل هذا كلام الله الذي أمرني.

الأسف كل الأسف أن حزب الأحبة لم يعرفوني، ولسوف يعرفونني بعد أن أرحل من هذه البسيطة.

تنتابني كل ليلة آلاف الآلام حزنا على قومي، فنجِّني يا رب من أيام الآلام هذه.

كل سبيل يختارونه غير سبيلي يستحق العزة في نظرهم، ما أشقى الذي يُكرم شيئا حقيرا!

إني لنشوان في حب محمد ﷺ من بعد حب الله تعالى، وإذا كان هذا كفرًا فوالله إني كافر أشد الكفر.

يا حبي؛ إن روحي تذوب حزنا على حالتك الإيمانية، والأغرب أني في نظرك كافر.

يا ربّ اغسل غفلتهم بماء دموعي، فقد تبلل اليوم فراشي أيضا بدموع الألم.

إن نفسي فداء لدين المصطفى ﷺ، هذه هي مُنيتي القلبية، ليتها تتحقق.

---

[1] ترجمة أبيات فارسية. (المترجم)

صورة الغلاف لهذا الكتاب

لیکچر لدھیانہ

حضرت مرزا غلام احمد قادیانی مسیح موعود و مہدی معہود علیہ السلام

نے

۴؍نومبر ۱۹۰۵ء

کو ہزاروں آدمیوں کی موجودگی میں دیا

ترجمة صفحة الغلاف لهذا الكتاب

محاضرة لدهيانه

التي ألقاها حضرة الميرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام

في ٤/١١/١٩٠٥م

بحضور آلاف الناس

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم

محاضرة لدهيانه

التي ألقاها المسيح الموعود عليه السلام في ١٩٠٥/١١/٤م بحضور آلاف الناس[١]

================

أولا وقبل كل شيء أشكر الله تعالى الذي وفّقني لأن أحضر هذه المدينة مرةً أخرى لتبليغ الدعوة، فقد جئتُ إليها بعد ١٤ عاما. كنت قد رحلتُ من هذه المدينة ولم يكن معي إلا بضعة أشخاص فقط، وكان تكفيري وتكذيبي وتسميتي من قبل الناس بـــ "الدجال" حامي الوطيس، وكنت في أعين الناس كشخص مطرود ومخذول، وكانوا يظنون أن هذه الجماعة ستتشتَّت مطرودةً في أيام قليلة وستُمحى آثارها من وجه الأرض تماما.

ولقد بُذلت جهود مضنية لهذا الغرض ونُسجت المكايد، وكان من المؤامرات الخطيرة التي حيكت ضدي؛ إصدار الفتاوى لتكفيري وتكفير جماعتي، وأشيعت في الهند كلها. أقول متأسفا إن بعض المشايخ من هذه المدينة كانوا السبَّاقين في الإفتاء بتكفيري. ولكنني أرى وترون أنتم أيضا أنه لا أثر لهؤلاء المكفِّرين، أما أنا فقد أبقاني الله حيًّا إلى الآن ونمّى جماعتي. وأظن أن فتوى تكفيري التي أُصدرت مرة ثانية قد أشيعت في كافة المدن الكبيرة في الهند، وجُمِع عليها

---

[١] لقد نُشرت هذه المحاضرة للمسيح الموعود عليه السلام لأول مرة في أعداد جريدة "الحكم" من ١٩٠٦/٩/١٠م إلى ١٩٠٦/١١/٣٠م. (الناشر)

تواقيع وأختام ٢٠٠ من المولويين والمشايخ تقريبا. وقيل فيها إن هذا الشخص ملحد ودجال ومفترٍ وكافر، بل أكفَرُ.

باختصار، فقد قال عني كل من هب ودب ما شاء واستطاع، وزعموا أن هذا السلاح سيقضي على هذه الجماعة الآن. والحق أنه لو كانت الجماعة من صنع الإنسان وكيده وافترائه لكانت الفتوى سلاحا ماضيا بالفعل للقضاء عليها. ولكن لما كان الله تعالى قد أسسها بيده؛ فأنّى لها أن تفنى بمعارضة المعارضين وعداوة الأعداء؟! كلما زادت المعارضة؛ ترسخت عظمة الجماعة وعزتها في القلوب أكثر فأكثر. واليوم أشكر الله تعالى على أن كان هناك زمن أتيتُ فيه إلى هذه المدينة، ورجعت منها وما كان معي إلا بضعة أشخاص فقط، وكانت جماعتي قليلة العدد جدا، أما الآن فترون أن معي جماعة كبيرة وقد بلغ عددها ثلاث مائة ألف مبايع، ولا تزال تتقدم يوما تلو يوم، ولسوف يصل عددها إلى عشرات الملايين.

فانظروا إلى هذا الانقلاب العظيم، هل يمكن أن يكون ذلك فعل إنسان؟ لقد أراد الناس أن يمحوا كل أثر لهذه الجماعة، ولو كان ذلك بوسعهم لمحوها منذ فترة طويلة، ولكنها من صنع الله تعالى الذي إذا أراد شيئا فلا يسع الدنيا أن تحول دون إرادته، كذلك لو أرادت الدنيا شيئا و لم يُرده الله ﷻ لما تمّ مطلقا.

فكِّروا في أمري، فقد عاداني المشايخ والمرشدون وأصحاب الزوايا جميعا، واستقطبوا أصحاب الأديان الأخرى أيضا لمعارضتي، وكادوا لي كل كيد، وأفتَوا بتكفيري ليسيء المسلمون بي الظنَّ. ولما لم ينجحوا في ذلك شرعوا في رفع القضايا، والتي منها محاولتهم ليورِّطوني بقضية زائفة لمحاولة القتل، وسعوا كل سعي لأُعاقَب. فقد وجّهت إليّ تهمة محاولة قتل أحد القساوسة، وسعى الشيخ محمد حسين كل السعي فيها ضدي، وحضر المحكمة بنفسه للإدلاء بالشهادة، وكان يبغي أن أُدان فيها وأعاقَب. وكان واضحا من مسعاه أنه عاجز عن تقديم الأدلة والبراهين. القاعدة هي أنه كلما عجز العدو عن تقديم الأدلة و لم يتمكن من الإدانة بالبراهين؛ لجأ إلى الإيذاء والقتل والنفي من البلاد،

ونسج أنواع المكايد والمؤامرات. كما هي الحال عندما عجز كفار مكة أمام النبي ﷺ وأُفحِموا تماما لجأوا في نهاية المطاف إلى هذا النوع من الحيل والمؤامرات، وأرادوا أن يقتلوه أو يسجنوه أو ينفوه من الأرض. لقد آذوا أصحابه ﷺ ولكنهم خابوا وخسروا في جميع مكايدهم ومؤامراتهم في نهاية المطاف. وما يجري معي الآن هو السنّة والمعاملة نفسها. ولكن لا أهمية للدنيا وأعمالها إلا أن يشاء خالقها رب العالمين، فهو الذي يميز بين الصادق والكاذب، وينصر الصادق ويجعله غالبا في النهاية.

ففي هذا العصر قد أرى الله تعالى نموذجا لقدرته مرة أخرى، وأنا آية حية على تأييداته. فترون الآن جميعا أني ذلك الشخص الذي ردّه القوم كلهم، ولكني مع ذلك قائم كالمقبولين. فكِّروا، حين جئت إلى هنا قبل ١٤ عاما، أكان من أحد يريد أن يكون معي ولو شخص واحد؟ بل كل واحد من العلماء والنسّاك وكبار الناس وعظمائهم كانوا يودّون أن أُهلَك ويُقضى على جماعتي نهائيا. وما كانوا ليحتملوا بحال من الأحوال أن أُحرز تقدمًا. ولكن نصرني الله الذي ينصر عباده دائما ويجعل الصادقين غالبين دائما، ورزقني القبول مقابل معارضيَّ على عكس مبتغاهم ومكايدهم تماما، وأرشد إليّ خلقا كثيرا فأتوني ولا يزالون يأتونني بشقِّ حُجُب المعارضات والمشاكل والعراقيل كلها.

ويجدر بالتدبر هنا؛ هل يمكن إحراز هذا النجاح بمكايد الإنسان ومؤامراته؛ بأن يصمم أصحاب النفوذ في الدنيا على قتل شخص ويكيدوا له كل كيد ويشعلوا له سعيرا، ثم يخرج من كل تلك الآفات بأمن وسلام تام؟ كلا، بل هي أفعال الله التي يجلّيها دائما.

ثم هناك دليل قوي آخر على الأمر نفسه، وهو أنه تعالى قد خاطبني قبل ٢٥ عاما- حين لم يكن أحد يعرف حتى اسمي، وما كان أحد يأتيني في قاديان أو يراسلني- وقال ﷻ في أيام خمولي وعدم حيلتي: "**يأتون من كل فجٍّ عميق.**

يأتيك من كل فجٍّ عميقٍ. لا تصعّر لخلق الله، ولا تسأم من الناس. ربّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين."

هذه نبوءة عظيمة أنبأتُ بها في تلك الأيام ونُشرت، وقرأها الناس من كل دين وملة. وفي تلك الفترة والحالة- حين كنت منــزويا في زاوية الخمول ولم يعرفني أحد- قال الله تعالى لي بأن الناس سيأتونك بكثرة من بلاد نائية، وستأتيك كافة الأسباب والمستلزمات لضيافتهم أيضا. ولأن شخصا واحدا لا يستطيع أن يسد جميع حاجات الآلاف الناس بل مئات آلاف الضيوف، ولا يسعه أن يتحمل نفقاتٍ هائلة إلى هذه الدرجة؛ فقال تعالى بنفسه: "**يأتيك من كل فجٍّ عميق**"، أي ستأتي معهم الأسباب أيضا لسد حاجاتهم. ومن طبيعة الإنسان أنه يسأم نتيجة كثرة الناس، وقد يصدر منه سوء الخُلق تجاههم؛ فمنعني الله من ذلك، وقال بأنه يجب ألا يصدر منك سوء الخُلق، وقال أيضا: لا تسأم من كثرة الناس.

فكِّروا الآن في نفوسكم، هل في قدرة الإنسان أن يخبر عن حادث يتعلق بنفسه قبل ٢٥ أو ٣٠ سنة من وقوعه ثم يحدث كما أخبر تماما؟ لا يمكن التعويل على حياة الإنسان للحظة واحدة، ولا يمكن القول إذا ما كان سيتنفّس المرء نفَسًا آخر أم لا، فكيف يمكن أن يخطر بباله أو يكون في قدرته الإخبار بما ورد ذكره قبل قليل؟

أقول صدقا وحقا إن هذا كان في زمن كنت فيه وحيدا وأنفر من لقاء الناس. ولكن لما كان من المقدر أن يأتي زمان حين يُقبِل إليّ مئات الآلاف من الناس، لذا كانت هناك حاجة إلى النصيحة: "**لا تصعِّر لخلق الله، ولا تسأم من الناس.**" وقال أيضا في الأيام نفسها: "**أنت مني بمنــزلة توحيدي، فحان أن تعان وتُعرف بين الناس**". وبالإضافة إلى ذلك هناك إلهامات كثيرة أخرى بالفارسية والعربية والإنجليزية تؤكّد على الموضوع نفسه.

يجب على الذين يخشون الله أن يتدبروا أنني قد أدليت بنبوءة قبل فترة طويلة جدا، ونُشرت في كتاب أيضا. "البراهين الأحمدية" كتاب قرأه الأصدقاء والأعداء كلهم، وقد أُرسلت نسخة منه إلى الحكومة أيضا، وقرأه النصارى والهندوس. ولعله موجود عند كثير من الناس في هذه المدينة أيضا، فلينظروا ما إذا كان ذلك مذكورا فيه أم لا؟ وعلى المشايخ- الذين يسمونني لمحض عداوتي دجالا وكذابا ويقولون بعدم تحقق أية نبوءة- أن يستحيوا، ويخبروني: إذا لم تكن هذه نبوءةً فما هي النبوءة إذًا!؟ إنه كتابٌ قرَّظه الشيخ أبو سعيد محمد حسين البطالوي. ولما كان زميلي في الدراسة فكان يزور قاديان كثيرا وكان يعرف الأمر جيدا. كذلك أناسٌ من قاديان وبطالة وأمرتسر والمناطق المجاورة يعرفون جيدا أني كنت في ذلك الزمن وحيدا لا يعرفني أحد، وكان يبدو مستحيلا عقلا- نظرا إلى تلك الحالة والظروف- أنه سيأتي على شخص خامل مثلي؛ زمانٌ سيرافقه فيه مئات الآلاف من الناس.

أقول صدقا وحقا إنني لم أكن عندها شيئا مذكورا، كنت وحيدا عديم الحيلة، فعلّمني الله تعالى في ذلك الزمن دعاءً: "**ربّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين**". لقد علّمني هذا الدعاء إشارة إلى أنه يحب الذين يدعون؛ لأن الدعاء عبادة. وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]. وقال النبي ﷺ: الدعاء مخ العبادة.

والإشارة الثانية في ذلك هي أن الله تعالى يريد أن يُعلِمَ من خلال هذا الدعاء: أنك وحيد الآن، ولكن سيأتي زمان لن تكون فيه وحيدا. فأُعلنُ بكل تحدّ أن هذه النبوءة واضحة وضوح النهار. وواقع الأمر أني كنت عندها وحيدا. هل من أحد يستطيع أن يهبّ ويقول إنه كانت معك جماعة؟ ولكن انظروا الآن كيف جعل الله تعالى معي جماعة كبيرة بحسب وعوده ونبوءته[٢] التي أنبأني بها قبل مدة من الزمن. من يستطيع أن يكذِّب هذه النبوءة العظيمة في

[١] غافر: ٦١

[٢] الحكم، عدد: ١٩٠٦/٩/١٠م، صفحة ٨ و ٩.

هذه الحالة؟! خاصةً وأنه قد وردت هذه النبوءة في الكتاب نفسه بأن الناس سيعادون إلى حد خطير جدا وسيسعون كل سعي لعرقلة هذه الجماعة، ولكن الله سيُفشل الجميع ويخيِّب آمالهم.

كذلك وردت في البراهين الأحمدية نبوءة أخرى مفادها: وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيث من الطيب. لا أخاطب، بتقديم هذه الأحداث أناسا ليست في قلوبهم خشية الله، والذين يزعمون أنهم ليسوا بميِّتين، فيحرِّفون كلام الله؛ وإنما أخاطب الذين يتقون الله ويوقنون أنهم ميِّتون، ويقتربون من باب الموت رويدا رويدا؛ لأن الذي يخاف الله لا يمكن أن يكون سيئ الأدب مثلهم. عليهم أن يفكروا فيما إذا كان الإنباء قبل ٢٥ عاما نتيجة قدرة الإنسان وتخمينه، وخاصة في حالة شخص لا يعرفه أحد. ثم ترافقه النبوءة أن الناس سيعارضونه ولكنهم سيفشلون وتخيب آمالهم. إن إنباء المرء بخيبة معارضيه ونجاحه أمر خارق للعادة. وإذا انتابكم ريبٌ في قبول هذا الأمر فأتوا بنظيره.

إنني أطالبكم بكل قوة وتحدٍّ أنِ تأتوا بنظير- من زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا- لمفترٍ أنبأ بمثل هذه النبوءات قبل ٢٥ عاما في زمن خموله وتحققت بوضوح وضح النهار؟ ولو قدّم أحد نظيرا فاعلموا يقينا أن هذه الجماعة وهذا الأمر كله سيبطل تلقائيا. ولكن هل لأحد أن يبطل أمر الله؟! التكذيبُ بغير وجه حق، والإنكار والاستهزاء دون سبب معقول إنما هو فعل الزنيم، ولا يمكن لولد الحلال أن يتجاسر على ذلك. أستطيع أن أجعل صدقي مقتصرا على هذا المبدأ وحده إن كان فيكم ذو قلب سليم.

اعلموا يقينا أنه لا يمكن ردّ هذه النبوءة ما لم يُقدّم نظيرها. أكرر وأقول إن هذه النبوءة مذكورة في البراهين الأحمدية الذي قرَّظه الشيخ أبو سعيد، ولعله موجود عند الشيخ محمد حسن ومنشي محمد عمر وغيرهما في هذه المدينة. وقد وصلت نُسخٌ منه إلى مكة والمدينة وبخارى، كما أُرسلت نسخةٌ إلى الحكومة، وقرأه الهندوس والمسلمون والنصارى والبراهمو. وهو ليس بكتاب مستور، بل ذائع الصيت، ولا يجهله شخص مثقف لديه مذاق ديني.

ثم في الكتاب نفسه نبوءة مفادها أنه سيكون معك عالَـــمٌ، وسأذيع اسمك في الدنيا وأخيِّب آمال معارضيك. قولوا الآن بالله عليكم، هل يمكن أن يكون ذلك عمل مفترٍ؟ وإذا حكمتم بإمكانية أن يكون هذا عمل مفترٍ فأتوا بنظيره. ولو أتيتم بنظيرٍ لأقررتُ بأني كاذب. ولكن لن يقدر أحد على الإتيان بنظيره. وإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا؛ فأكرر وأقول: اتقوا الله، وكفُّوا عن التكذيب.

تذكّروا أن رفض آيات الله بغير برهان ليس من العقل والفطنة في شيء، وما كانت عاقبته حسنة قط. أنا لا أبالي بتكذيب أحد أو تكفيره، ولا أخاف صولاتٍ تُشَنّ عليّ؛ لأن الله تعالى بنفسه قد أخبرني من قبل أنه سيكون هناك تكذيب وتكفير وسيعاديني الناس عداوة مريرة، ولكن لن يقدروا على أن يمسوني بسوء. أَلَـــمْ يُرفض الصادقون والمبعوثون من الله قبلي؟! هل ادخّر فرعون ومن معه جهدا في التهجّم على موسى عليه السلام؟! وهل قصّر الفريسيون في الصَول على عيسى عليه السلام؟! وهل من هجوم لم يشنّه مشركو مكة على النبي صلى الله عليه وسلم؟! ولكن ماذا كانت عاقبة تلك الهجمات؟ هل أتى المعارضون مرة بنظير تلك الآيات؟ كلا، بل عجزوا دائما عن الإتيان بنظير، ولكن ظلوا يطيلون الألسن ويقولون: كذّاب.

كذلك عندما عجزوا أمامي و لم تقم لهم قائمة قالوا: دجال وكذَّاب. ولكن هل سيطفئون نور الله بأفواههم؟! كلا، لن يطفئوه! ﴿وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

إن الذين من عادتهم ظن السوء يقولون عن الآيات والخوارق إنها قد تكون شعوذة. أما النبوءة فلا مجال لهم للطعن فيها، لذا فإن النبوءات عُدّت آية عظيمة ومعجزة كبيرة من بين علامات النبوة. هذا ما يثبت من التوراة والقرآن الكريم أيضا. ما من معجزة تساوي النبوءات، لذلك يجب أن يُستدل على صدق

[1] الصف: ٩

المبعوثين من الله من خلال نبوءاتهم لأن الله تعالى قد جعلها علامة فقال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1].

وليكن معلوما أيضا أن بعض النبوءات تضم في طياتها أسرارا دقيقة؛ فلا يدركها – لدقة أسرارها– الذين لا يملكون نظرة دقيقة فلا يفهمون إلا أمورا سطحية. فمثل هذه النبوءات تكون عرضة للتكذيب عادة؛ حيث يقول المستعجلون والمتسرعون إنها لم تتحقق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾[2]. والناس يثيرون شبهات على مثل هذه النبوءات، ولكن الحق أنها تتحقق بحسب سنن الله تعالى. ومن واجب المؤمن التقي، سواء أفهمها أم لم يفهمها؛ أن ينظر إلى النبوءات التي لا تحتوي على دقائق الأمور، أي النبوءات الواضحة، ليرى أنها قد تحققت بعدد هائل. الإنكار ببساطة ودون مبرر ينافي التقوى. يجب أن يُنظر بأمانةٍ وتقوى الله إلى النبوءات التي تحققت. ولكن مَن يستطيع أن يُلجِم المستهترين؟!

لست أنا الوحيد الذي واجه مثل هذه الأمور، بل واجهها موسى وعيسى عليهما السلام والنبي ﷺ أيضا. وإذا واجهتُها أنا فلا غرابة في ذلك، بل كان ضروريا أن يكون كذلك؛ لأن هذه هي سنة الله. الحق والحقَ أقول إن شهادة واحدة تكفي المؤمن، ويرتجف لها قلبه. أما في حالتي فليست هناك آية واحدة بل مئات منها، بل أقول بكل تحدٍّ ويقين إنها من الكثرة بحيث لا أستطيع إحصاءها. ليست أقلّ وزنًا شهادةٌ تقول إنه سيفتح القلوبَ ويجعل المكذبين مؤيدين. فلو فكّر أحد بتقوى الله وأمانة وبُعد نظر؛ لما وسعه إلا القبول عفويًّا أنها من الله سبحانه وتعالى.

واضح أيضا أن حجة الله هي الغالبة ما لم يدحضها المعارض أو لم يأت بنظيرها.

---

[1] الجن: ٢٧ – ٢٨

[2] يوسف: ١١١

ملخص الكلام أني أشكر الله الذي أرسلني، وأخرجني من كل طوفان المعارضة والابتلاءات سالما غانمًا رغم الشر والطوفان -الذي ثار ضدي- قد بدأ من هذه المدينة ووصل إلى مدينة دلهي، وأعادني إلى هذه المدينة بعدَ أن بايعني أكثر من ثلاث مائة ألفٍ رجالا ونساء. ولا يكاد يمضي شهر إلا وينضم إليها من ألفَينِ إلى أربعة آلاف شخص، وأحيانا يصل هذا العدد إلى خمسة آلاف.

وأخذ الله ﷻ بيدي حين أصبح قومي أعداء لي. والمعلوم أن من يعاديه قومه يصبح بلا حيلة وبلا نصير ومعين؛ لأن القوم يكونون للمرء بمنـــزلة اليدين والقدمينِ والجوارح، ويكونون له أنصارا. أما الآخرون فيعادونه على أية حال بحجة أنه يهاجم دينهم. وإذا صار القوم كلهم معارضين؛ لا تكون نجاته ونجاحه أمرا عاديا، بل يمثّل آية عظيمة.

أقول بكل أسف وقلب يعتصره الألم: إن قومي لم يتسرعوا فقط في معارضتي، بل فعلوا ذلك بدون هوادة ولا رحمة أيضا. كانت المسألة الخلافية الوحيدة هي وفاة المسيح الناصري عليه السلام التي أثبتُّها ولا أزال أثبتُها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع الصحابة والأدلة العقلية والنقلية والكتب السابقة. والنصوص والأحاديث والقياس وأدلة الشريعة كلها معي بحسب المذهب الحنفي، ولكنهم قبل أن يسألوني ويفهموا مني جيدا ويسمعوا أدلتي، بالغوا في معارضتي في هذه المسألة، حتى كفّروني وقالوا إلى جانب ذلك ما شاءوا، ونسبوا إليّ ما كان يحلو لهم. كان من مقتضى الأمانة والورع والتقوى أن يستفسروا مني أولا، فلو تجاوزت ما قاله الله ورسوله؛ لكان من حقهم أن ينعتوني بما شاءوا؛ مثل الدجال والكذاب وما إلى ذلك. ولكني ظللت أوضح منذ البداية بأني أعُدُّ الانحراف قيد أنملةٍ عن اتّباع القرآن الكريم واتّباع النبي ﷺ إلحادا. هذا هو اعتقادي، والذي ينحرف عنه قيد شعرة فهو من أهل جهنم. لم أكتفِ ببيان اعتقادي هذا في خطاباتي فقط بل شرحتها جيدا في ٦٠ كتابا تقريبا، وهذا ما أفكر به ليل نهار.

إذا كان المعارضون يتّقون الله، ألم يكن من واجبهم أن يسألوني أن قولك كذا وكذا يخالف الإسلام؛ فما السبب في ذلك؟ أو ما جوابك عليه؟ ولكنهم لم يعيروا لهذا الأمر أدنى اهتمام، بل سمعوا أشياء من هنا وهناك وشرعوا في التكفير. إنني أستغرب من تصرفهم هذا لأن مسألة حياة المسيح ووفاته ليست شرطا للدخول في الإسلام أصلا. يدخل الهندوس والمسيحيون في الإسلام هنا أيضا، فهل تأخذون منهم هذا الإقرار أيضا، علاوة على: "آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره من الله تعالى، والبعث بعد الموت"؟!

ما دامت هذه المسألة ليست جزءا من الإسلام، فلماذا هذه الشدة الكبيرة عليّ لإعلاني بوفاة المسيح، وقولكم عن جماعتي أنهم كفار ودجالون وينبغي ألا يُدفنوا في مقابر المسلمين، ويجب أن تُنهب أموالهم، وإن اقتناء نسائهم في البيوت بغير النكاح جائز، وأن قتلهم عمل ثوابٍ، وما إلى ذلك؟! كان هناك زمنٌ كان المشايخ أنفسهم يصرخون فيه بأعلى صوتهم بأنه لو وُجد في أحدٍ ٩٩ وجهًا لكفره ووجهًا واحدًا لإسلامه؛ فلا يجوز تكفيره، بل يجب اعتباره مسلما. ولكن ما الذي حدث الآن؟! هل أنا أسوأ من ذلك أيضا؟ ألا أنطق أنا وجماعتي: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"؟! ألا أصلّي أنا، أو لا تصلّي جماعتي؟ ألا نصوم رمضان؟! ألسنا ملتزمين بالمعتقدات التي لقّننا إياها النبي ﷺ بصورة الإسلام؟!

أقول صدقا وحقا، وحلفا بالله: إنني وجماعتي مسلمون، ونؤمن بالنبي ﷺ والقرآن الكريم كما يجب على مسلم صادق. أرى الخروج عن الإسلام قيد أنملة مدعاة للهلاك. إن مذهبي هو أن كافة الفيوض والبركات التي يمكن لأحد أن ينالها، أو بقدر ما يمكن للإنسان أن ينال قرب الله؛ إنما يناله نتيجة الطاعة الصادقة والحب الكامل للنبي الأكرم ﷺ فقط وليس إلا. لا سبيل إلى الحسنة الآن سواه ﷺ. والصحيح أني لا أؤمن قط بصعود المسيح الناصري عليه السلام إلى السماء حيا بجسمه المادي وبأنه حي إلى الآن، لأن في قبول هذا الأمر إساءة كبيرة وإهانة شديدة للنبي ﷺ، ولا أستطيع أن أقبل هذه الإساءة ولا للحظة واحدة.

يعرف الجميع أن النبي ﷺ توفِّي عن عمر يناهز ٦٣ عاما وروضته المقدسة موجودة في المدينة الطيبة ويزورها مئات آلاف الحجاج كل عام. فإذا كان اليقين بموت المسيح عليه السلام أو نسبة الموت إليه إساءة، فأتساءل: لماذا تُقبل هذه الإساءة وقلة الأدب بحق النبي الأكرم ﷺ؟ تقولون بكل سرور إنه ﷺ توفِّي، ويسرد المنشدون أيضا قصص وفاته بألحان جميلة في مجالس عيد المولد النبوي الشريف، وتقبلون وفاة النبي ﷺ برحابة الصدر مقابل الكفار أيضا. فلا أدري أي مشكلة تواجهكم عند قبول وفاة عيسى عليه السلام حتى تستشيطون غضبا؟! لو سالت دموعكم على سماعكم وفاة النبي ﷺ أيضا لما تأسفنا، ولكن من المؤسف أنكم تقبلون وفاة خاتم النبيين وسيد الكونين ﷺ بكل سرور، وتعدُّون حيًّا مَن لا يَعُدّ نفسه جديرا حتى بفك شراك نعل النبي ﷺ، وتستشيطون غضبا من أجله لو تفوّه أحد بحقه بكلمة الوفاة. لو كان النبي ﷺ حيا إلى الآن لما كان في ذلك غضاضة؛ لأنه جاء بهداية عظيمة لا يوجد نظيرها في العالم، وأبدى أسوة طيبة عمليا لا يسع أحدا الإتيان بنظيرها من زمن آدم إلى الآن. أقول لكم صدقا وحقا إن المسلمين والدنيا ليسوا بحاجة إلى المسيح الناصري قط بقدر حاجتهم إلى النبي ﷺ. إنه الشخص المبارك الذي حين توفِّي أصبح الصحابة رضي الله عنهم كالمجانين حزنا عليه، حتى سلّ عمر رضي الله عنه سيفه من غمده وقال ما مفاده: من قال بوفاته ﷺ لقطعتُ عنقه. ففي هذه الحالة السائدة من الحماس الشديد وهب الله تعالى أبا بكر رضي الله عنه نورا وفراسة خاصة فجمع الصحابة كلهم وخطب فيهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1].

الآن، عليكم أن تفكروا وتقولوا بعد تفكير رصين لماذا قرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية عند وفاة النبي ﷺ؟ وما الذي كان يهدف إليه من وراء ذلك، حين كان الصحابة رضي الله عنهم جُلُّهم موجودين؟ أستطيع أن أقول بكل ثقة ويقين لا تملكون إنكاره، إن الصحابة قد أصيبوا بصدمة كبيرة بوفاة النبي ﷺ وكانوا

[1] آل عمران: ١٤٥

يحسبونها في غير وقتها وسابقةً لأوانها، وما كانوا ليحتملوا سماع خبر وفاته ﷺ. ففي هذه الحالة حين كان الصحابي الجليل، سيدنا عمر رضي الله عنه، في انفعالٍ شديد، ما كان ممكنا أن يزول عنه الغضب إلا بهذه الآية؛ إذ كان من شأنها أن تقنعه وتطمئنه. ولو كان الصحابة على علمٍ أو يقينٍ بأن عيسى عليه السلام لا يزال حيا يُرزَق؛ لماتوا وهم أحياء. لقد كانوا عشّاقًا للنبي ﷺ وما كانوا ليقبلوا حياة أي نبي سوى رسول الله ﷺ، فأنّى كان لهم أن يروه ﷺ ميتا بأم عينهم ويوقنوا بأن عيسى عليه السلام ما زال حيا يُرزق؟! أي حين خطب أبو بكر رضي الله عنه زالت عنهم فورة الحماس، فكانوا يقرأون هذه الآية في أزقة المدينة ويشعرون كأنها نزلت في ذلك اليوم. عندها نظم حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة في رثاء النبي ﷺ قال فيها:

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

فلما كانت الآية قد بيّنت بوضوح تام أن جميع الأنبياء السابقين قد ماتوا، قال حسان رضي الله عنه أيضا بأنه لا يبالي الآن بموت أي شخص. فاعلموا يقينا أن بقاء أي شخص حيا مع كون النبي ﷺ ميتا كان شاقا جدا على الصحابة رضي الله عنهم وما كانوا ليحتملوه. فكان ذلك أول إجماعٍ عقِد في العالم بعد وفاة النبي ﷺ وحُكم فيه بوفاة عيسى عليه السلام بكل وضوح.

إنني أؤكد على ذلك مرارا لأنها حجة قوية تثبت بها وفاة المسيح الناصري عليه السلام. إن وفاة النبي ﷺ لم تكن أمرا هينا وبسيطا حتى لا يُصدم به الصحابة. فالمعلوم أنه لو مات عمدة القرية مثلا أو أحد الجيران في الحارة أو شخص كريم السجايا في أحد البيوت؛ لأصيب أهل البيت أو الحارة أو أهل القرية بصدمة، فما بالك بالنبي الذي جاء للعالم كله، وكان رحمةً للعالمين كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]. وقال في آية

[1] الأنبياء: ١٠٨

أخرى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[١]. ثم هل يُعقل أن يموت النبي الذي أبدى نموذج الصدق والإخلاص، وأرى كمالات لا نظير لها، ولا يؤثِّر ذلك في أصحابه المخلصين الذين لم يقصِّروا في التضحية بأرواحهم من أجله، وهجروا أوطانهم وتركوا أهلهم وأقاربهم، وعدُّوا جميع أنواع المشاكل والمصائب في سبيله مدعاة لسعادتهم؟! يمكننا أن نفهم بأدنى تدبر أنه يستحيل علينا استيعاب مدى الحزن والصدمة التي أصيبوا بها لمجرد ورود هذه الفكرة أو تصورها، غير أن الآية التي تلاها أبو بكر ﷺ كانت وحدها مدعاة لاطمئنانهم وسكونهم، فجزاه الله خيرا على أنه تدارك الصحابة في ذلك الوقت الحرج.

أقول متأسفا إن بعض الجهلاء يقولون متسرعين: لا شك أن أبا بكر ﷺ ذكر هذه الآية، ولكنّ عيسى خارجٌ عن نطاقها. لا أدري بمَ أرُدّ على هؤلاء الجاهلين، إذ يتفوّهون بمثل هذا الكلام السخيف مع تسميةِ أنفسهم مشايخَ، ولا يقدمون أية كلمة تستثني عيسى عليه السلام من الآية. إن الله تعالى لم يترك أمرا يحتاج إلى النقاش بل فسّر بنفسه كلمةَ: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ بقوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾[٢]. لو كان هناك شق آخر لبيَّنه سبحانه وتعالى حتما وقال مثلا: أو رُفع بجسده العنصري إلى السماء. هل نسي الله تعالى ذلك ليُذَكِّرَهُ المشايخ الآن؟ نعوذ بالله من ذلك.

لا شك أنه لو وُجدت الآية المذكورة آنفا وحدها لكانت كافية، ولكنني أقول إنهم كانوا يحبون حياة النبي ﷺ حتى أنهم يبكون أيضا بذكر وفاته ﷺ إلى اليوم، أما الصحابة ﷺ فكانت تلك المناسبة مدعاة للرقة والألم لهم أكثر.

إنني أعتقد أنه لا يؤمن أحد إلا الذي يتّبع النبي ﷺ، وهو الذي يمكن أن ينال مقامًا، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٣]. إن مقتضى الحب هو أن يكون للإنسان أُنسٌ خاصٌّ بعمل حبيبه. والموت سُنَّة

---

[١] الأعراف: ١٥٩

[٢] آل عمران: ١٤٥

[٣] آل عمران: ٣٢

النبي ﷺ. فما دام قد مات هو ﷺ، فمن له أن يبقى حيًّا أو يتمنى ذلك لنفسه أو يُجيز الحياة لغيره؟! فمن مقتضى الحب أن يفنى المرء في اتّباعه ﷺ ويتحكم في عواطفه وأهواء نفسه ويفكر: إلى أمة مَن ينتمي؟ والذي يعتقد بأن عيسى عليه السلام ما زال حيا إلى الآن؛ أنّى له أن يدّعي حبّ النبي ﷺ واتّباعه؟ لأنه يستسيغ أن يُفضَّل عليه عيسى، ويحب أن يُعتبَر النبيُّ ﷺ ميتا، وعيسى عليه السلام حيا.[١]

الحق والحق أقول إنه لو بقي النبي ﷺ حيا لما بقي شخص كافرا، ولكن ما الذي أنجزتْه حياة عيسى غير وجود أربع مائة مليون مسيحي؟ فكّروا جيدا؛ ألم تختبروا عقيدة حياة عيسى؟ ألم تظهر النتيجة خطيرة جدا؟ سمُّوا لي فئة من فئات المسلمين لم يتنصّر منها أناس. أستطيع أن أقول بكل يقين، وهو صحيح تماما بأنه قد تنصّر المسلمون من كل فئة. وقد يربو عددهم على مائة ألف شخص. هناك سلاح وحيد في يد المسيحيين لتنصير المسلمين وهو مسألة حياة المسيح عليه السلام نفسها. إنهم يقولون: أَثبِتوا هذه المزية في غيره، ولماذا أُعطِي هو هذه الخصوصية إن لم يكن إلها؟ فهو حيٌّ وقيوم، والعياذ بالله. إن مسألة حياته شجّعتهم كثيرا، فشنوا على المسلمين هجوما أخبرتكم بعواقبه آنفا.

وماذا عسى أن تكون النتيجة يا تُرى إن أثبتّم للقساوسة مقابل ذلك أن المسيح مات؟ لقد سألتُ كبار القساوسة، فقالوا: لو ثبتت وفاة المسيح لما بقي ديننا حيًّا.

والأمر الآخر الجدير بالتدبر هو أنكم قد جرّبتم الاعتقاد بحياة المسيح، فجرّبوا الآن لهنيهةٍ الاعتقاد بوفاته ثم انظروا كيف تقع ضربة قاضية على الديانة المسيحية. حيثما هبَّ أحد من أتباعي للنقاش مع المسيحيين حول هذا الموضوع، رفضوا ذلك فورا؛ لعلمهم أن في هذا السبيل هلاكهم. فبموت المسيح لا تثبت كفّارته ولا ألوهيته ولا بنوته. فجرِّبوا هذه العقيدة لبعض الوقت وستنكشف الحقيقة تلقائيا.

---

[١] الحكم، عدد:١٧/٩/١٩٠٦م، صفحة ٢، ٣.

اسمعوا أنه قد جاء الوعد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن الإسلام سينتشر وينتصر على الأديان الأخرى، وسيُكسر الصليبُ. فالأمر الجدير بالتدبر هنا هو أن الدنيا مكان لا بد فيه من الأخذ بالأسباب. فمثلا، عندما يمرض أحد فلا شك أن الله هو الذي يشفيه، ولكن مما لا شك فيه أيضا أنه هو الذي وضع تأثيرا في الأدوية فيفيد المريض كلما أعطي دواء. كذلك يشعر الإنسان بالعطش، ولا شك أن الله هو الذي يُخمده ولكنه هو من خلق الماء لهذا الغرض. كذلك يشعر الإنسان بالجوع، والله تعالى يزيله بلا أدنى شك، ولكنه هو الذي خلق الأغذية. وعلى هذا المنوال ستُكتب الغلبة والانتصار للإسلام وسيُكسَر الصليب حتما كما قدّر ﷻ ولكنه خلق أسبابا ووضع قانونا لهذا الغرض. لذا من المسلَّم به والمتفق عليه- بحسب القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة- أن الإسلام سينتصر على يد المسيح الموعود بعد أن تنال المسيحية الغلبةَ في الزمن الأخير، فيجعله غالبا على الأديان والملل كافةً، ويَقتل الدجال ويَكسر الصليب، وكل هذا سيحدث في الزمن الأخير.

إن "نواب صديق حسن خان" وغيره من الصلحاء الذين ألّفوا كتبا عن الزمن الأخير قد سلَّموا بهذا الأمر. فلا بد أن يكون هناك سبب أو طريقة لتحقق هذه النبوءة، إذ من سنة الله تعالى أنه يستخدم الأسباب أيضا؛ فيشفي بالأدوية، ويزيل العطش والجوع بالماء والطعام، كذلك أراد ﷻ أن يجعل الإسلام غالبا بحسب وعده بعد أن أحرزت المسيحية الغلبة وانضم إليها المسلمون من كل فئة. ولا بد أن يكون لهذا الغرض أسلوب ووسيلة، وهذه الوسيلة هي **سلاح موت المسيح**، وبهذا السلاح سوف يُهلك الدين الصليبي، وتُقصم ظهور أتباعه.

أقول صدقا وحقا إنه ما من سبيل إلى إزالة أخطاء المسيحيين أفضل من إثبات وفاة المسيح عليه السلام. ففكِّروا في هذا الأمر وأنتم قاعدون في بيوتكم، وتأملوا فيه في عزلة وأنتم على جنوبكم؛ لأن المعارضة تُحدث انفعالاً، ولكن صاحب الفطرة السليمة يفكر بعد ذلك. حين ألقيتُ كلمتي في مدينة دلهي؛

اعترف أصحاب الفطرة السليمة وأعلنوا في الحال بأعلى صوتهم بأنّ عبادة عيسى هي عماد حياتهم دون أدنى شك، وما لم يُكسَر هذا العماد لن يُفتح الباب للإسلام بل بسببه تنال المسيحية قوة على قوة.

فليعرف المتمسكون بحياة عيسى عليه السلام أنه يمكن إنزال عقوبة الموت على المجرم بشهادة شخصين، بينما في هذه المسألة هناك شواهد عديدة، ولكنهم مع ذلك مصرون على الإنكار. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[1]، ثم ورد في القرآن الكريم إقرار المسيح نفسه وهو: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[2]. يتبين من القرآن نفسه أن معنى "التوفي" هو الموت؛ لأن الكلمة نفسها استُخدمت بحق النبي ﷺ أيضا حيث ورد فيه: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾[3]. وقال النبي ﷺ: "فلما توفيتني" تعني الموت. وكذلك وردت الكلمة نفسها بحق يوسف عليه السلام والناس الآخرين أيضا. فكيف يمكن أن يُستنتَج منها معنى آخر في هذه الحالة؟! وهذه شهادة قوية على موت عيسى عليه السلام.

إضافة إلى ذلك رأى النبي ﷺ عيسى عليه السلام ليلة المعراج مع الميتين، ولا يسع أحدا أن ينكر حديثَ المعراج. فاقرأوا الحديث وانظروا؛ هل ورد فيه ذكر عيسى مع الميتين أم بصورة أخرى؟ فكما رأى ﷺ إبراهيمَ وموسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، كذلك رأى عيسى أيضا دون أن تكون له خصوصية أو ميزة غير عادية. ولا يسع أحدا الإنكار أن موسى وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام قد ماتوا جميعا، وقد أوصلهم قابض الأرواح إلى عالَـــم الآخرة، فكيف إذن انضم إلى صفهم شخص حيٌّ بجسده العنصري؟! هذه الشهادات ليست قليلة، بل تكفي مسلما صادقا.

---

[1] آل عمران: ٥٦

[2] المائدة: ١١٨

[3] يونس: ٤٧

وفي أحاديث أخرى حدَّد النبي ﷺ عمر عيسى بـــ١٢٠ أو ١٢٥ عاما. فالإفتاء المتسرع بصعود المسيح إلى السماء حيا- بعد إلقاء نظرة إجمالية على كل هذه الأمور- يخالف التقوى، وخاصة في حال غياب نظيره. وهذا ما يقتضيه العقل أيضا. ولكن مع الأسف الشديد ما بالَوا بشيء، وسمّوني دجالا مستهترين غير خائفين من الله. هل كان ذلك أمرا هيِّنا ليِّنا، أفلا يتدبرون؟! وا أسفاه!!

وحين لا يجدون في يدهم حيلة أو عذرا يقولون: قد أُجمع على ذلك في العصور الوسطى. ولكني أسألهم: متى كان ذلك؟ فالإجماع الحقيقي كان إجماع الصحابة. وإن كان هناك إجماع بعد ذلك فأجمِعوا هذه الفِرق المختلفة الآن أيضا. أقول صدقا وحقا إن هذا الكلام باطل تماما؛ إذ ما أُجمِعَ على حياة عيسى عليه السلام قط. إنهم ما قرأوا كتب الآثار؛ وإلا لعرفوا أن الصوفية يقولون بموته عليه السلام، ويعتقدون بمجيئه الثاني بصورة بروزية.

فكما حمدتُ الله تعالى، كذلك أصلِّي على النبي ﷺ، فقد أقام الله هذه الجماعة من أجله هو ﷺ، وبفضله وبركته أنال هذه النصرة. أقول بكل وضوح وصراحة، وهذه هي عقيدتي ومذهبي؛ أنه لا يمكن لأحد أن ينال فيضا روحانيا أو فضيلة إلا باتّباعه ﷺ والتأسي بأسوته.

وهناك أمر آخر جدير بالذكر، ولو لم أذكره لكان ذلك نكرانَ الجميل؛ وهو أن الله تعالى خلقنا في عهد سلطنةٍ وحكومةٍ تهيئ الأمن من كل نوع، وقد أعطتنا الحرية الكاملة لتبليغ ديننا ونشره، وقد تيسرت لنا كل الوسائل في عهدها المبارك. أيّةُ حرية أكبر من أننا ندحض الديانة المسيحية بكل شدة وقوة دون أن يعرقل سبيلنا أحد.. وقد سبقه زمنٌ- والذين شهدوه ما زالوا على قيد الحياة- ما كان لأحد فيه من المسلمين أن يرفع حتى الأذان في مسجده، وكان أكل الحلال أيضا ممنوعا ناهيك عن الأمور الأخرى، ولم يكن هناك أيُّ تمحيصٍ أو تحقيقٍ للأمور بشكل نظامي. ولكنه من فضل الله تعالى ومنته أننا نعيش الآن في ظل حكومة بريئة من تلك المثالب كلها؛ أي السلطنة الإنجليزية التي تحب الأمن والوئام ولا اعتراض لها على الاختلاف في الأديان، ودستورها يسمح

لأهل الأديان كلها أن يؤدوا شعائرهم بحرية. ولما كان الله تعالى قد أراد أن تبلغ دعوتُنا إلى كل مكان؛ فخلقني في عهد هذه الحكومة. فكما كان النبي ﷺ يفتخر بسلطنة مِلِك أنوشروان، كذلك أفتخر أنا بهذه السلطنة. المبدأ العام هو أن المبعوث من الله تعالى يأتي بالصدق والعدل وهما يأخذان مسارهما قبل بعثته.

إني متأكد من أن هذه الحكومة أفضل وأَولى من حيث المرتبة من الإمبراطورية الرومانية في عهد المسيح الناصري عليه السلام. وإنْ كان هناك تشابه بين قانونيهما، ولكن الحق أن قوانين هذه الحكومة ليست خاضعة لأحد. وبالمقارنة بين قوانين الحكومتين نجدُ حتمًا شيئًا من الوحشية عند الإمبراطورية الرومانية، حيث من جبنها سجنت عبدا صالحا تقيًّا أي المسيح الناصري خشية اليهود. وقد رُفعت عليّ أيضا قضية مماثلة. القضية التي رُفعت ضد المسيح كانت من قبل اليهود، أما القضية التي رُفعت عليّ في هذه السلطنة فكان رافعها قسيسا معتبَرًا ودكتورًا أيضا؛ أي الدكتور مارتن كلارك الذي رفع عليّ قضية زائفة بمحاولة القتل، وهيأ الشهادات أيضا. حتى إن الشيخ أبا سعيد "محمد حسين البطالوي"- وهو عدو لدود لجماعتي- حضر المحكمة للإدلاء بالشهادة، وشهِدَ ضدي بكل ما في وسعه، وبذل قصارى جهده لإثبات القضية ضدي. كانت القضية مطروحة أمام الكابتن دوغلاس-نائب المفوَّض في محافظة غورداسبور- الذي ربما يشتغل حاليا في مدينة "شملة"[١]. لقد عُرضت عليه القضية بشكل قوي ومرتَّب، وأُدلي ضدي بالشهادات بكل قوة وشدة. ولم يكن لأيٍّ من الملمِّين بالأمور القانونية والرأي السديد؛ أن يتخيل تبرئتي في هذه الحالة. كان واقع الحال والظروف مواتية لأُحوَّل إلى قاضي المحافظة ويُحكَم عليّ بالموت أو النفي من البلاد، ولكن الله تعالى كما أخبرني برفع القضية ضدي، كذلك أخبرني قبل الأوان ببراءتي. وكان عدد كبير من أفراد جماعتي مطلعين على هذه النبوءة.

---

[١] الحكم، عدد: ١٩٠٦/٩/٢٤م، صفحة ٤، ٥

على أية حال، حين وصلت القضية مرحلةً استيقن فيها الأعداء والمعارضون أن قاضي التحقيق سيحولّني إلى قاضي المحافظة حتما، عندها قال لضابط الشرطة: إن حدسي يخبرني أن القضية زائفة، وتأبى فراستي أن يكون المتَّهم قد حاول ذلك فعلا وأرسلَ شخصا لقتل الدكتور كلارك؛ فعليكم أن تحققوا فيها من جديد. في ذلك الوقت لم يكن جميع معارضيَّ عاكفين على نسج أنواع المكايد والمؤامرات ضدي فحسب، بل انصرف الذين كانوا يدّعون باستجابة أدعيتهم إلى الأدعية، ودعَوا متضرعين أشد التضرع لأُعاقَب، ولكن مَن يستطيع مقاومة الله؟! أعرف جيدا أن بعض التوصيات أيضا قد وصلت إلى الكابتن دوغلاس، ولكنه كان قاضيا عادلاً فقال: لا يمكن أن تصدر مني هذه الدناءة والخسة.

فمجمل القول، لما حُوّلت القضية مرة أخرى ليُحقّق فيها إلى الكابتن "ليمار شند"؛ استدعى "عبدَ الحميد" وطلب منه أن يقول الحق والصدق تماما. أعاد عبد الحميد القصة نفسها التي سردها أمام نائب المفوَّض. وقد قيل له سلفا بأنك لو قلتَ شيئا ينافي إفادتك السابقة لعوقبتَ، فظل يعيد الكلام نفسه. فقال له الكابتن "ليمار شند" بأنك قد قلتَ هذا الكلام من قبل، ولكن القاضي ليس مطمئنا به؛ لأنك لا تصدق القول. فلما قال له كابتن "ليمار شند" ذلك؛ سقط على قدميه باكيا وقال: أرجو أن تُنقذني. فطمأنه الكابتن وقال: هاتِ ما عندك. عندها أماط "عبد الحميد" اللثام عن وجه الحقيقة. وأقرّ بكلمات واضحة أنه أُكرِه- تحت طائلة التهديد- على الإدلاء بما أفاد به من قبل، وقال: الحق هو أن الميرزا المحترم لم يرسلني قط للقتل. فسُرّ الكابتن بسماع هذه الإفادة كثيرا وأرسل برقيةً إلى نائب المفوَّض قال فيها بأني توصلت إلى حقيقة القضية. فعُرضت القضية على محكمة غورداسبور مجددا؛ حيث استُحلِف الكابتن "ليمار شند" وأدلى بإفادته المقرونة بالحلف. كنت أرى أن نائب المفوض كان سعيدا جدا لإماطة اللثام عن وجه الحقيقة، ومن ناحية أخرى كان غاضبا جدا على المسيحيين الذين أدلَوا ضدي بشهادات كاذبة، وقال لي: تستطيع أن ترفع قضيةً

ضدهم. ولكن لما كنتُ أنفر من القضايا أصلا قلت: لا أريد ذلك، فإن قضيتي مرفوعة في السماء. عندها كتب السيد "دوغلاس" الحكمَ على الفور. كان الناس في ذلك اليوم مجتمعين بكثرة، فقال لي عند إعلانه الحكم: "مبارك لك، أنت بريء".

قولوا الآن بالله عليكم، ما أعظم مزيةَ هذه الحكومة! إذ لم تبالِ بزعيمٍ ديني لها و لم تهتم بأيّ شيء آخر التزامًا بالعدل والإنصاف.

كنت أرى آنذاك أن عالَمًا كان يعاديني، وهذا ما يحدث حين تعزم الدنيا على الإيذاء فيسعى كل من هب ودبّ للإيذاء والتعذيب، ولكن الله تعالى ينقذ عباده الصادقين.

وقد رُفعت ضدي قضية أخرى في محكمة مستر دوئي، كذلك رُفعت قضية تتعلق بضريبة الدخل؛ ولكن الله تعالى برّأ ساحتي في كل قضية. وأخيرا رفع "كرم دين" قضية أخرى، وبُذلت فيها أيضا جهود مضنية في معارضتي، وظُنَّ أن الجماعة ستُمحى الآن. والحق أنه لو لم تكن الجماعة من الله تعالى، ولو لم يكن ﷻ مؤيِّدها؛ لما كان هناك أدنى مجال للشك أو الريب في زوالها بالفعل. لقد تلقى "كرم دين" دعما من أدنى البلاد إلى أقصاها، ونُصر بكل طريقة ممكنة إلى درجة إدلاء البعض بشهادات زور ضدي مع تسميةِ أنفسهم بالمشايخ، وكانت تنافي الحقيقة تماما، حتى قيل إن الإنسان يظل متقيا وإن كان زانيا أو فاسقا أو فاجرا. لقد طالت مدة هذه القضية كثيرا، وظهرت في هذه الأثناء آيات عديدة. وفي نهاية المطاف غرَّمني المفوَّض العام- الذي كان هندوسيا- في هذه القضية بخمس مائة روبية. ولكن الله تعالى كان قد أخبرني سلفًا بما تعريبه: **"لقد برَّأته المحكمة العليا"**.

وحين قُدِّم الاستئناف في محكمة القاضي الإقليمي؛ أدرك الحقيقة بسرعةٍ نتيجة فراسةٍ وهبها الله له، فحَكم أنّ ما كنتُ قد كتبتُه بحق "كرم دين" كان صحيحا تماما وكان من حقي أن أكتب ذلك. ولقد سبق أن نُشر حكمُه. ففي

نهاية المطاف برًّأ ساحتي وألغى الغرامة أيضا، وانتقد المحكمةَ الابتدائية على إطالتها القضية.

باختصار، كلما وجد معارضيّ فرصةً ليسحقوني ويهلكوني لم يدّخروا جهدا في استغلالها، ولكن الله تعالى أنقذني من كل نار أُضرمت كما أنقذ أنبياءه الصادقين دائما. فبالنظر إلى هذه الأحداث أقول مؤكِّدا: إن هذه الحكومة أفضل من عدة وجوه من الحكومة الرومانية التي أُوذي المسيح الناصري عليه السلام في عهدها. فالحاكم "بيلاطوس" الذي عُرضت عليه القضية ضد المسيح؛ كان هو وزوجته مريدينِ له في الحقيقة، ولذلك غسل يديه من دم المسيح، ولكنه مع كونه حاكما ومريدا للمسيح لم يُظهر الشجاعة التي أظهرها الكابتن دوغلاس. كان المسيح عليه السلام بريئًا حينها، وكنت أنا بريئا في محكمة دوغلاس.

أقول صدقا وحقا وبناء على تجربتي الشخصية؛ إن الله تعالى وهب هذا القوم شجاعة لحماية الحق. فأنصَحُ المسلمين جميعا أن من واجبهم أن يطيعوها بصدق القلب.

تذكَّروا جيدا أن من لا يشكر المحسن إليه من الناس لا يشكر الله. لا يوجد في الأزمنة الخالية نظيرًا لليسر والوسائل المهيأة لنا في هذا العصر. خذوا مثلا القطار ونظام البرقيات والبريد والشرطة وغيرها من الأمور، ثم انظروا كم هي مفيدة! هل كانت هذه الوسائل والسهولة متوفرة قبل ستين أو سبعين عاما مثلا؟ ثم كونوا عادلين؛ لِـــمَ لا نشكر ونحن ننعم بآلاف المنن؟

إن كثيرا من المسلمين يهاجمونني قائلين بأن في جماعتك عيبا وهو أنك تلغي الجهاد. ولكن الأسف كل الأسف أن قليلي الفهم هؤلاء يجهلون حقيقته. إنهم يسيئون إلى الإسلام وإلى النبي ﷺ الذي لم يرفع السيف قط لنشر الدين. ولما بلغت مظالم المعارضين له ولجماعته ذروتها، وقتلوا من أصحابه ﷺ المخلصين رجالا ونساءً، ولاحقوه إلى المدينة أيضا، عندها أُمر ﷺ بالدفاع. لم يرفع النبي ﷺ السيف، بل رفعه أعداؤه. وقد أدماهُ الكفار الظالمون في بعض الأحيان من رأسه ﷺ إلى أخمص قدميه، ولكنه مع ذلك لم يتصدَّ لهم.

اعلموا جيدا أنه لو كان رفع السيف فريضة واجبة في الإسلام؛ لرفعه النبي ﷺ في مكة. ولكن الأمر ليس كذلك، بل الحق أن السيف رُفع حين لاحقه العدو المعتدي إلى المدينة. في ذلك الوقت كان العدو حاملا سيفا، أما اليوم فلا. إن معارضيَّ يقومون بوشايات كاذبة ونشر الفتاوى ضدي. ولا يُستخدَم ضد الإسلام اليوم إلا القلمُ، فماذا عساه يكون مَن يرد على القلم بالسيف؛ غبيًّا أم ظالـــمًا أم ماذا؟

ولا تنسوا أيضا أن النبي ﷺ رفع السيف على ظلم الكفار واضطهادهم الذي تجاوز الحدود كلها، وذلك للدفاع فقط؛ وهو أمر يجيزه قانون كل دولة متحضرة. وقد أُجيز في قانون تعزيرات الهند أيضا أن يدافع المرء عن نفسه. فلو داهم لصٌ بيتًا وهاجم أهله وأراد قتلهم؛ فإن قتله دفاعًا عن النفس ليس جريمة.[1]

فلما بلغت الأمور حدَّ قتلِ أصحاب النبي ﷺ المخلصين، وقُتلت المستضعفات من النساء دون هوادة وحياء؛ أفلم يكن من الحق أن يعاقَب السفاكون؟ فإذا كان في مشيئة الله تعالى في ذلك الوقت ألا يبقى للإسلام أي أثر، فكان من الممكن ألا يُرفع السيفُ قط، ولكنه ﷻ أراد أن ينتشر الإسلام ويكون وسيلة لنجاة الدنيا؛ لذلك رُفع السيف عندئذ دفاعًا فقط.

أقول بكل تحدٍّ وقوةٍ بأن رفع الإسلام السيفَ في ذلك الوقت ليس محل اعتراض حسب تعليم أيّ دين أو من حيث مقتضى الأخلاق. إن الذين يعلّمون إدارة الخدِّ الآخر بعد تلقي اللطمة على الخدِّ الأول؛ لا يمكنهم أيضا أن يصبروا، كذلك الذين يرون قتل الحشرات ذنبا؛ هم أيضا لا يقدرون على الصبر، فلماذا الاعتراض على الإسلام إذن؟!

أقول أيضا بكل وضوح إن الجهلاء من المسلمين الذين يقولون بأن الإسلام انتشر بقوة السيف؛ إنما يفترون على نبي معصوم ﷺ، ويسيئون إلى الإسلام.

---

[1] الحكم، عدد: ١٩٠٦/٩/٣٠م، صفحة٣.

اعلموا جيدا أن الإسلام قد انتشر دائما بتعليمه المقدس وهديه وثمرات أنواره وبركاته ومعجزاته. وقد نشرتْه آياتُ النبي ﷺ العظيمة والتأثيرات الطيبة لأخلاقه الكريمة. وإن تلك الآيات والتأثيرات لم تنقطع بل هي موجودة في كل زمن بصورة متجددة. لذلك أقول بأن **نبينا ﷺ حيٌّ**؛ لأن تعاليمه وإرشاداته تؤتي أُكُلَها كل حين. فسيتقدم الإسلام في المستقبل أيضا بالأسلوب نفسه وليس بغيره. فلمّا لم يُرفع السيف لنشر الإسلام قط فيما مضى، فإن مجرد التفكير بذلك الآن يُعَدُّ ذنبا؛ لأن الجميع يعيشون في الوقت الحالي بالأمن والسلام، وتوجد أسباب ووسائل كافية لنشر دينهم.

أقول بأسف شديد إن المسيحيين وغيرهم من المعترضين لم يتدبروا الحقيقة قط عند شنِّهم الهجمات على الإسلام. كان عليهم أن يدركوا أن أعداء الإسلام كلهم كانوا في ذلك الزمن عاكفين على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين، وكانوا ينسجون المكايد ضده مجتمعين ويؤذون المسلمين. فماذا كان على المسلمين أن يفعلوا مقابل تلك المعاناة والمصائب إن لم يحموا أنفسهم؟!

لقد وردت في القرآن الكريم آية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[1]. وهذا يدلُّ على أن المسلمين أُمروا بذلك، وأُذن لهم بالمواجهة دفاعا عن أنفسهم حين تجاوز الظلم بهم الحدود كلها. وكان ذلك إذنًا في ذلك الزمن، ولم يكن أمرا دائما. فقد جُعلت للمسيح الموعود علامةٌ أنه: "يضع الحرب". فمن علامات صدقه أنه لن يشُنّ الحروب. والسبب في ذلك أن المعارضين أيضا تركوا الحروب الدينية في زمنه، بل قد اتخَذت هذه المواجهة صبغة أخرى؛ وهي أنهم يعترضون على الإسلام بالقلم. خذوا المسيحيين مثلا، فكل جريدة من جرائدهم تصدر بأعداد تقارب الخمسين ألف نسخة، ويسعون بكل الوسائل ليتبرّأ الناس من الإسلام. أفنلجأ في هذه المواجهة إلى القلم أم نطلق السهام؟! مَن أكثر حمقا وغباوة وعداوة للإسلام مِن الذي يفكِّر بهذه الطريقة في الزمن

---

[1] الحج: ٤٠

الحالي؟! فما يكون ذلك غير الإساءة للإسلام؟! فما دام معارضونا لا يرفعون السيف مع عدم كونهم على حق؛ فما أغربه من تصرف لو لجأنا إلى السيف ونحن على الحق! ارفعوا السيف في هذا العصر على أحد وقولوا له: أسلِم وإلا قتلناك؛ ثم انظروا ماذا ستكون النتيجة! لا بد أن يُلقي بكم في السجن على يد الشرطة، لتذوقوا طعم استخدام السيف!

إنها أفكار سخيفة كلها، ويجب إزالتها من الأذهان. لقد آنَ الأوان أن يُظهَر وجه الإسلام المنيرُ الأغرُّ. جاء زمنٌ لتُدحض فيه الاعتراضات كلها، وتُزال من وجه الإسلام الوضّاءِ وصمةٌ أُلصِقت به. ولكني أقول بأسف شديد؛ إن المسلمين نظروا بنظرة الازدراء إلى فرصة هيأها الله لهم، وإلى طريق فتحه ﷻ لإدخال أهل الدين المسيحي في الإسلام، وكفروا به.

قدمتُ في كتاباتي بكل وضوح طريقا من شأنه أن يجعل الإسلام منتصرا وغالبا على الأديان الأخرى. فقد وصلتْ رسائلي إلى أميركا وأوروبا وفهمها أهلها بفراسة وهبها الله تعالى لهؤلاء الأقوام، وعندما أقدِّمها أمام مسلم فيُزبِدُ ويُرغي كأنه مجنون أو يريد أن يقتلني، مع أن القرآن الكريم يُعَلِّم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [1]. لقد كان الهدف من هذا التعليم أن يتحول العدو إلى صديق حميم نتيجة اللطف وحسن المعاملة، وأن يسمع الكلام بهدوء وسكينة.

أقول حالفاً بالله -جلّ شأنه- بأنني من عنده، وهو يعلم جيدا أني لست مفتريا ولا كذابا. وإن كنتم تكذِّبونني وتسمونني مفتريًا مع حلفي بالله وبعد رؤيتكم لآيات الله التي أظهرها لصدقي؛ فأناشدكم بالله تعالى أن تأتوا بنظير لمفترٍ ينصره الله ويؤيده دائما مع كذبه وافترائه عليه كل يوم. المفروض أن يهلكَ اللهُ المفتريَ، ولكن الأمر في حالتي مختلفٌ تماما. وها إني أقول قسمًا بالله تعالى إني صادق وجئت من عنده ﷻ، ومع ذلك يقال أني كذاب ومفتر، ثم إن الله تعالى ينصرني في كل قضية وعند كل بلاء يثيره قومي ضدي، وينقذني منه؛

[1] فصِّلت: ٣٥

وقد نصرني نصرًا بحيث ألقى محبتي في قلوب مئات الآلاف من الناس. وها إني أجعل صدقي مقصورا على هذا الأمر وحده، فإن عثرتم على مفترٍ كذاب افترى على الله تعالى، ثم نصره الله تعالى كما نصرني، وأطال حياته إلى فترة طويلة مثلي، وحقق جُلَّ مراداته؛ فأتوا به.

واعلموا يقينا أن المرسَلين من الله تعالى يُعرَفون بالآيات والتأييدات التي يُظهرها الله لهم وينصرهم بها. إنني صادق فيما أقول، وإن الله تعالى الذي ينظر إلى القلوب عليم وخبير بما في قلبي. ألا يمكنكم أن تقولوا على الأقل كما قال رجل من آل فرعون: ﴿إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[1]؟! ألا توقنون بأن الله تعالى أشدّ عداوةً للكاذبين؟! لو هاجمتموني مجتمعين فإن غضب الله أكبر وأشدّ من ذلك، فمن ذا الذي يستطيع أن ينقذ أحدًا من غضب الله تعالى؟!

هناك نقطة جديرة بالذّكر في الآية التي أوردها؛ وهي أن الله تعالى سيحقق بعضا من أنباء الوعيد وليس كلها، فما الحكمة في ذلك؟ الحكمة أن أنباء الوعيد تكون مشروطة، وتزول أيضا بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الحق.

النبوءات نوعان، أولاهما: نبوءات الوعد؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [2]. ويؤمن أهل السنة بأن الله تعالى لا يُخلف وعده في تحقيق هذا النوع من النبوءات لأنه كريم، ولكن فيما يتعلق بأنباء الوعيد فيمكن أن يعفو عن الناس بعد الإنذار لأنه رحيم. إنه لجاهل وبعيد جدًا عن الإسلام من يقول بأن أنباء الوعيد كلها تتحقق حتما، لأنه يهجر القرآن الكريم لأن القرآن يقول: ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

من المؤسف حقا أن كثيرا من الناس يسمون أنفسهم مشايخ، ولكنهم لا يدركون ما يقوله القرآن والحديث، وليسوا مطلعين على سنة الأنبياء، بل

---

١ غافر: ٢٩

٢ النور: ٥٦

يُزبدون ويُرغون فقط بُغضا ويخدعون. اعلموا أن الكريمَ إذا وعد وفى. فمن مقتضى كونه ﷻ رحيما؛ أن يعفو مع كون العبد جديرا بالعقوبة. والعفو من فطرة الإنسان أيضا. ذات مرة أدلى أحد الناس في قضية رُفِعت أمام قاضٍ إنجليزي بشهادة زور، وكنت حاضرا حينها، وكانت الجريمة ثابتة عليه، ثم جاءت رسالةٌ مفادها أن القاضي قد نُقل إلى مكان بعيد فحزن. كان المجرم طاعنا في السن، فقال القاضي للكاتب: لو ألقي هذا في السجن لمات فيه. ثم قال الكاتب أيضا: الرجل مُعِيلٌ يا سيدي. فقال القاضي الإنجليزي: لقد أُعِدّ ملف القضية الآن، ولم يبق في اليد حيلة. ثم قال للكاتب: حسنا، مزِّق الملف. فكِّروا الآن، إذا كان هذا الإنجليزي يستطيع أن يرحم؛ أفلا يمكن لله أن يرحم؟!

ثم فكّروا أيضا، ما الهدف من الصدقات والتبرعات أصلا؟ لماذا هي رائجة في كل قوم؟ الإنسان بطبعه يميل إلى الصدقة عند المصيبة والبلاء، فيتصدق الناس بدفع النقود أو بذبح الخراف أو إعطاء الفقراء ألبسة أو ما شابهها. فإذا كان البلاء لا يُرَدّ بالصدقات؛ فلماذا يتصدق الناس في حالة الاضطرار أصلا؟! الأمر ليس كذلك، بل البلاء يُرَدّ حتما، وهذا ما يثبت بإجماع مائة وأربعة وعشرين ألف نبي. وأعرف يقينا أن هذا ليس ما يدين به المسلمون فقط، بل هذا هو اعتقاد المسيحيين والهندوس أيضا، وأرى أنه ما من أحد في الدنيا ينكر ذلك. فما دام الأمر كذلك فمن الواضح تماما أن مشيئة الله يمكن أن تزول.

الفرق الوحيد بين النبوءة وإرادة الله هو أن النبوءة يُطلَع عليها النبي، أما إرادة الله فلا يُخبَر بها أحدٌ بل تبقى خافيةً. ولو كُشفت إرادة الله نفسها بواسطة نبي؛ لسُمِّيت نبوءة. فإذا كان زوال النبوءة مستحيلا؛ لكان زوال إرادة الله بالصدقات أيضا مستحيلا. ولكن هذه الفكرة باطلة تماما. ولأن زوال نبوءات الوعيد ممكنٌ؛ لذا قال تعالى: ﴿إِنْ يَّكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[1].

---

[1] غافر: ٢٩

هنا يشهد الله تعالى بنفسه أن بعضا من نبوءات النبي ﷺ أيضا زالت، فأجيبوني على ذلك إن كنتم تعترضون على هذا النحو على نبوءاتي. وإن كذّبتموني في هذا الأمر فلا تكذِّبونني وإنما تكذِّبون الله.

أقول بكل ثقة ويقين بأن أهل السُنَّة كلهم، بل الدنيا كلها؛ متفقة على أن وعيد العذاب يزول نتيجة التضرع والابتهال. هل نسيتم مثال يونس عليه السلام؟ لماذا زال العذاب عن قومه؟ اقرأوا في "الدر المنثور" وغيره من الكتب وسِفر يونان في الكتاب المقدس؛ كان الوعد بالعذاب قاطعا، ولكن لما رأى قومُه أمارات العذاب تابوا ورجعوا إلى الله، فعفا الله عنهم وزال العذاب. أما يونس عليه السلام فكان ينتظر العذاب في يوم محدد، وكان يسأل الناس عن أخبار القوم. وسأل أحد الفلاحين؟ ما أخبار نينوى؟ فقال: كل شيء على ما يرام، فحزن يونس كثيرا وقال: لن أرجع إلى قومي كذّابا. فالاعتراض على نبوءة من نبوءاتي المشروطة بشرط مسبق، مع وجود هذا النظير وشهادة القرآن القوية؛ ينافي التقوى. لا يليق بالمتقي أن يتفوّه بكلام دون تفكير، ويُقدم على التكفير.

إن قصة يونس عليه السلام مؤلمة جدًا وعبرة لمن يعتبر، وهي مسجلّة في الكتب فاقرأوها بتدبّر؛ ترون فيها أنه أُلقي في اليم ودخل بطن الحوت، ثم قُبلت توبته. لماذا أنزل الله به هذا العقاب والعتاب؟ لأنه لم يحسب الله قادرا على رفع الوعيد. فلماذا تستعجلون أنتم بشأني وتكذِّبون الأنبياء جميعا بُغية تكذيبي؟! اعلموا أن من أسماء الله "الغفور" فكيف لا يغفر للتائبين؟!

إذًا، فقد تطرقت إلى القوم أخطاء من هذا القبيل؛ منها خطؤهم في الجهاد. أنا أستغرب حين أقول بتحريم الجهاد؛ يستشيطون غضبا، مع أنهم يعتقدون بأنفسهم أن الأحاديث عن المهدي السفاك مجروحة. لقد ألّف الشيخ محمد حسين البطالوي كتبا في هذا الموضوع، وهذا ما اعتقد به ميان نذير حسين الدهلوي أيضا، ولا يعتقد بصحة تلك الأحاديث قط؛ فلماذا تكذّبونني؟

الحق أن من مهام المسيح الموعود والمهدي؛ أن يضع الحروب ويُعلي كلمة الإسلام بالقلم والدعاء والتركيز. ولكن المؤسف أن الناس لا يفهمون ذلك،

لأنهم ليسوا راغبين في الدين كرغبتهم في الدنيا. فأنّى لهم أن يتوقعوا بأن تُكشف عليهم معارف القرآن مع انغماسهم ووقوعهم في شوائب الدنيا؟! إذ ورد في القرآن الكريم بكل وضوح ﴿لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١].

ألا فاصْغوا إلى الغاية المرجوّة من بعثتي. الهدف والغاية من بعثتي هي تجديد الإسلام وتأييده فقط. لا تظنوا أني جئت لأعلّم شريعة جديدة أو أعطي أحكاما جديدة أو أتيتُ بكتاب جديد. كلا! ومن قال ذلك كان ضالا وملحدا إلى أبعد الحدود. لقد خُتمت الشريعة والنبوة على النبي ﷺ، فلن تأتي الآن شريعة. القرآن الكريم خاتَم الكتب، ولا مجال للنقص أو الزيادة فيه قيد أنملة. غير أنه صحيح أن بركات النبي ﷺ وفيوضه، وتعليم القرآن الكريم وثمرات هديه لم تنقطع، بل ما زالت موجودة وتتجدد في كل زمان، وقد بعثني الله تعالى لإثبات الفيوض والبركات نفسها. إن حالة الإسلام الحالية ليست خافية على أحد، وقد أُجمِع أن المسلمين مصابون بجميع أنواع الضعف والزوال والانحطاط من كل ناحية. لهم ألسنة ولكن لا تحالفها قلوبهم، والإسلام صار يتيما؛ ففي هذه الحالة أرسلني الله تعالى لأسعف الإسلام وأتكفَّله، وقد أرسلني بحسب وعده كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢]. فإن لم تتم حمايته ونصرته وحفظه في هذا الوقت؛ فمتى؟! لقد آلت الحالة في هذا القرن الرابع عشر إلى ما كانت عليه في "بدر" التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[٣]. ففي هذه الآية أيضا تكمن نبوءة أنه حين يعود الإسلام ضعيفا وغريبا في القرن الرابع عشر؛ عندها ينصره الله تعالى بحسب وعده بحفظ دينه، فلماذا تعجبون من نصرته ﷻ الإسلامَ؟! لا أتاسف على تسميتهم إيّايَ دجالا وكذابا وتوجيههم إليّ تهما، إذ كان من الضروري أن

---

[١] الواقعة: ٨٠

[٢] الحجر: ١٠

[٣] آل عمران: ١٢٤

أتلقّى معاملة تلقّاها المرسَلون من قبلي لكي أنال نصيبا من تلك السنة القديمة. والحق أني ما نلتُ نصيبا يُذكر من تلك المصائب والشدائد، أما المصائب والمعاناة التي اعترضت سبيل سيدنا ومولانا النبي ﷺ فلا نظير لها في جماعة أيّ من الأنبياء السابقين. لقد تحمل ﷺ من أجل الإسلام إيذاء ومصائب يعجز القلم عن كتابتها واللسان عن بيانها. ويتبيّن لنا منها كم كان الرسول ﷺ نبيا جليل الشأن وعظيما. لو لم يحالفه تأييد الله ﷻ ونصرته؛ لاستحال عليه تحمّل جبال المصائب والمعاناة. ولو كان مكانه نبيٌّ آخر؛ لما استطاع احتمالها. ولكن الإسلام الذي نشره النبي ﷺ- بعد تحمل كل تلك المصائب والمعاناة- قد آلت حالته اليوم إلى ما لا أستطيع بيانه.

الإسلام يعني أن يفنى المرء في حب الله تعالى وطاعته، وأن يضع المسلم رقبته في طاعة الله كشاةٍ أمام الجزار. وكان المراد من ذلك أن يؤمن المرء بالله تعالى أحدًا لا شريك له. ولكن حين بُعث النبي ﷺ كان هذا التوحيد مفقودا، وكانت الهند أيضا مليئة بالأوثان كما أقرَّ الBانديت "ديانند سرسوتي". ففي هذه الحال كان لا بد من بعثته ﷺ. والحال نفسها سائدة في زمننا الحالي الذي انتشرت فيه عبادة الإنسان والإلحاد أيضا إلى جانب عبادة الأوثان، ولم تبق الروح الحقيقية والهدف الحقيقي من الإسلام. إن مغزى الإسلام هو أن يفنى الإنسان في حب الله وألا يؤمن بمعبود سواه. والهدف من ذلك أن يتوجّه الإنسان إلى الله تعالى دون التوجّه إلى الدنيا، ولهذا الغرض قسم الإسلام تعليمه إلى قِسمين. الأول: حقوق الله، والثاني: حقوق العباد. المراد من حقوق الله أن يؤمن الإنسان أن طاعته ﷻ واجبة عليه. والمراد من حقوق العباد أن يواسي خلق الله. وليس صحيحا أن يؤذي الإنسان أحدا لمجرد الاختلاف في الدين. المواساة والمعاملة الحسنة شيء، والاختلاف في الدين شيء آخر. إن فئة من المسلمين الذين يخطئون في فهم معنى الجهاد قد أجازوا أن تؤخَذ أموال الكفار بطرق غير شرعية، وقد أفتوا بجواز نهب أموالي وأموال جماعتي، حتى بجواز اختطاف زوجاتهم، مع أن مثل هذه التعليمات السيئة لا تمت بصلة إلى الإسلام

الذي هو دين نزيه وطاهر. يمكن أن نضرب مثَل الإسلام بمثَل أبٍ يطالب بحقوق أبوته، ويودّ أيضا أن يواسي أولادُه بعضهم بعضا، ولا يحب أن يتحاربوا. كذلك يريد الإسلام ألا يُشرك بالله شيء، ويريد أيضا أن تكون هناك مودة ووحدة بين البشر.[١]

الهدف من كثرة الأجر والثواب في الصلاة بالجماعة هو أنها تؤدي إلى الوحدة. وقد تم التركيز على تحقيق هذه الوحدة بصورة عملية لدرجة أنْ أُمر المصلّون أن تكون أقدامهم محاذية والصف مستقيما، وأن يقفوا متلاصقين وكأنهم شخص واحد لكي تسري أنوار بعضهم إلى بعض وتتلاشى من بينهم أوجه التمييز التي تودي إلى الأنانية والعُجب والطمع.

تذكّروا جيدا أن في الإنسان قوة يجذب بها أنوار الآخرين. فلتحقيق هذه الوحدة أُمر المسلمون أن يجتمعوا للصلوات في مسجد الحي كل يوم، ثم في مسجد المدينة مرة كل أسبوع، ويجتمعوا في مصلّى العيد مرة كل سنة، ويجتمعوا من جميع أنحاء المعمورة مرة واحدة في السنة في بيت الله. والهدف من وراء كل هذه الأوامر هو تحقيق الوحدة.

لقد قسم الله تعالى الحقوق على نوعين اثنين: حقوق الله وحقوق العباد. وتكرر هذا الذكر كثيرا في القرآن الكريم، فقال في آية: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٢]. لقد ذُكر هنا سِرَّان اثنان. أولا: لقد شبّه الله ﷻ ذِكره بذكر الآباء. والسرّ في ذلك أن حب الوالدين هو الحب الذاتي والفطري. ألا ترون أن الطفل ينادي أمه بصورة تلقائية وعفوية حتى عندما تضربه وتقسو عليه. إذًا، فالله تعالى يعلّم الإنسان في هذه الآية أن ينشئ معه ﷻ علاقة حبٍّ فطري. ثم تتولد الطاعة لأمر الله تلقائيا نتيجة هذا الحب. وهذا هو مقام المعرفة الحقيقية الذي يجب على الإنسان أن يبلغه، بمعنى أنه يجب أن

[١] الحكم، عدد: ١٧/١٠/١٩٠٦م، ص٤-٥.

[٢] البقرة: ٢٠١

يتولّد فيه حب فطري وخالص لله ﷻ. أما السر الثاني فقد بيّنه ﷻ في آية أخرى بقوله: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[١]. ففي هذه الآية ذكر الله تعالى ثلاث مراتب يجب على الإنسان الحصول عليها. المرتبة الأولى هي العدلُ. والمراد من العدل أن يُحسن الإنسان إلى غيره مقابل الأجر. والمعلوم أن هذا النوع من الحسنات ليس أعلى درجة، بل الحق أن الدرجة الدنيا هي أن تعدلوا. ولو تقدمتم أكثر لوصلتم إلى درجة الإحسان، أي أحسِنوا إلى الناس دون مقابل. ولكن الإحسان إلى المسيء، أو إدارة الخدّ الآخر إلى مَن لطم الخدّ الأول ليس صحيحا، أو قولوا بتعبير آخر إن العمل بهذا التعليم بوجه عام ليس ممكنا. يقول "شيخ سعدي" *ما تعريبه:* إن مَثل الإحسان إلى الأشرار كمَثَل الإساءة إلى الأبرار.

فلا يسع دينا أن يجاري تعليم الإسلام الأسمى فيما يتعلق بحدود الانتقام؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٢]. أي أن عقوبة السيئة يجب أن تكون مثلها. ويمكن العفو أيضا ولكن بشرط أن يكون ذلك للإصلاح. فقد علّم الإسلام العفوَ عن الخطأ ولكن دون أن يؤدي إلى انتشار الشر.

فالمرتبة الثانية بعد العدل هي الإحسان، أي المعاملة الحسنة دون مقابل. ولكن هذا السلوك أيضا يتضمن نوعا من الأنانية، وهي أن الإنسان يمنّ أحيانا بإحسانه أو معاملته الحسنة على مَن أحسن إليه. لذا فقد أعطى ﷻ تعليما أعلى منه وهو درجة "إيتاء ذي القربى". فالمعاملة التي تقوم بها الأمّ تجاه ولدها، لا ترجو مقابلها أجرا أو إنعاما أو إكراما، بل تكون معاملتها الحسنة معه ناتجة عن حبها الفطري له، حتى لو أمرها الملِك ألا ترضعه، وطمأنها بأنه لو مات الولد نتيجة غفلتها فلن تُعاقَب بل ستنال إنعاما وإكراما؛ لما خضعت لأمره، بل لسبَّته

[١] النحل: ٩١

[٢] الشورى: ٤١

على أنه عدو لأولادها. والسبب في ذلك أنها تتعامل مع ولدها بحب فطري لا يشوبه طمع أو جشع.

هذا هو التعليم السامي الذي يقدمه الإسلام. الآية المذكورة آنفًا تشمل حقوق الله وحقوق العباد معا. فمن منطلق حقوق الله تعني الآية أن أطيعوا الله مراعين مقتضى العدل، واعبدوه ﷻ فهو الذي خلقكم ويربِّيكم. والذي يتقدم على هذا المقام في طاعة الله، عليه أن يطيعه ملتزما بالإحسان؛ لأنه ﷻ "المحسن" وإحساناته لا تُعَدُّ ولا تُحصى. ولما كان الإنسان يتذكر إحسانات المحسن بالنظر إلى شمائله وخصائله، فقد قال النبي ﷺ "الْإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[١]. ففي هذا المقام أيضا يبقى الإنسان محجوبا نوعا ما. والمرتبة الثالثة هي درجة "إيتاء ذي القربى" حيث يتولد فيه الحب الذاتي الخالص لله تعالى. وقد سبق أن وضّحت معنى ذلك من منطلق حقوق العباد، وقلت إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي أعطى هذا التعليم دون غيره، وهو تعليم كامل لا يسع أحدا الإتيان بنظيره، أي: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ ففي هذه الآية اشترط الله للعفو أن يؤدي إلى الإصلاح. أما اليهودية فقد اشترطت الأُذنَ بالأذن والسِّن بالسِّن... إلخ[٢]، فتفاقمت فيهم قوة الانتقام حتى ترسخت فيهم هذه العادة لدرجة أنه إنْ لم يتمكن الأب من الانتقام، كان من واجب ابنه بل حفيده أيضا أن ينتقم. فتعاظمت فيهم عادة البُغض وقست قلوبهم وفقدوا عواطف الرحمة تماما. وعلّمت المسيحية مقابل ذلك أنه إذا لطم أحد خدك فأدرْ له خدّك الآخر، وإذا سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ، وهلمّ جرا. والعيب في هذا التعليم ظاهر بداهة؛ إذ إن العمل به مستحيل. وقد أثبتت الدول المسيحية عمليا أن هذا التعليم ناقص. هل يجترئ مسيحي أن يُدير خدَّه الآخر لشرير لطمه، واقتلع سنَّه فيقول له أن يقلع سِنَّه

[١] صحيح البخاري، كتاب الإيمان. (المترجم)

[٢] المائدة: ٤٦. وانظر أيضا: التثنية : ١٩: ٢١.

الأخرى أيضا؟! ولو فعل؛ لتشجّع هذا الخبيث أكثر، ولأدّى ذلك إلى اختلال أمن المجتمع. فكيف يمكننا إذًا أن نقبل أن هذا التعليم جميلٌ ويطابق مشيئة الله تعالى. فلو عُمل به لما استتب الأمن في أي بلد، ولو غصب عدوٌّ بلدا للزم أن يُسلَّم له بلد آخر أيضا. ولو اعتُقل على يد العدو ضابطٌ واحد لوجب أن يحوَّل إليه عشرة آخرون. فهذه هي عيوب تلك التعاليم، وهي ليست صالحة. غير أنه يمكن القول إن تلك الأحكام كانت خاصة كقانون بزمن معين. فلما مضت تلك الفترة لم يعد ذلك التعليم صالحا لأناس آخرين نظرا إلى مقتضى الحال. لقد عاش اليهود في الأَسر إلى أربع مائة عام، فبسبب حياة العبودية تعاظمت قسوة قلوبهم وصاروا ذوي ضغائن. والقاعدة العامة هي أن الذي يعيش في ظل حاكم، تصير أخلاقه مثله؛ ففي عهد السيخ تحوّل كثير من الناس إلى نُهَّاب، أما في عهد الإنجليز الذي انتشر فيه التحضّر والثقافة، فقد بدأ كل شخص يتّجه إلى هذه الجهة.

فمجمل الكلام أن بني إسرائيل عاشوا تحت فرعون؛ فتفاقمت فيهم عادة الظلم. لذا كان لتعليم العدلِ أولويةٌ في زمن التوراة؛ لأنهم كانوا يجهلونه، وكانوا معتادين على الجبر والقهر، وكانوا متمسكين وموقنين بمبدأ أنه لا بد من كسر السن بالسن في كل الأحوال، وهو واجب عليهم، لذا فقد علّمهم الله تعالى أنه يجب ألا يقتصر الأمر على العدل فقط، بل لا بد من الإحسان أيضا، لذا أعطاهم تعليما بواسطة المسيح عليه السلام أنه إذا لطمكم أحد على خدّ فأديروا له الخدَّ الآخر. فلما صُبّ الاهتمام والتركيز كله على هذه النقطة فقط؛ أوصل الله تعالى التعليمَ إلى ذروته بواسطة النبي ﷺ فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾. إذًا، فقد علّم العفو هنا ولكن بشرط أن يكون مدعاة للإصلاح؛ لأن العفو في غير محله يضرّ. لا بد من التدبر هنا أنه يجب العفو إذا كان هناك أمل في الإصلاح فقط. فمثلا إذا كان هناك خادمان أحدهما شريف الأصل ومطيع، وناصح أمين، وصدر منه خطأ صدفة؛ فيكون العفو عنه هو الأنسب والأَولى، ولا خير في معاقبته. أما الخادم الثاني الذي هو

سيئ الخلق وشريرٌ ويتسبب في أنواع الخسارة كل يوم، ولا يكاد يمتنع عن شره لو تُرك أمره على عواهنه؛ لتجاسر أكثر من ذي قبل، فلا بد من معاقبته.

مجمل القول؛ يجب أن تتصرفوا بحسب مقتضى الحال. هذا هو التعليم الذي جاء به الإسلام، وهو التعليم الكامل، ولن يأتي بعده تعليم جديد أو شريعة جديدة. النبي ﷺ خاتَم النبيين، والقرآن الكريم خاتَم الكتب. فلا شهادةَ جديدة بعد الآن، ولا صلاة جديدة. ولا نجاة بترك ما قاله النبي ﷺ وما فعله، أو ما جاء في القرآن الكريم؛ ومن تركه فمأواه جهنم. هذا ديننا، وهذا هو مذهبنا.

وإلى جانب ذلك يجب أن يكون معلوما أيضا أن باب مكالمات الله ومخطاباته مفتوح على هذه الأمة. وهذا الباب يمثّل شهادة متجددة ودائمة على صدق القرآن الكريم وصدق النبي ﷺ، لذا علّم الله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾. ففي تعليم الدعاء للحصول على صراط الذين أنعم الله عليهم، إشارة إلى الحصول على كمالات الأنبياء عليهم السلام. والمعلوم أن الكمال الذي أُعطيه الأنبياء كان كمال معرفة الله، وقد نالوا هذه النعمة بواسطة المكالمات والمخاطبات الإلهية، فاطلبوا أنتم أيضا الكمال نفسه. فلا تظنوا أن القرآن الكريم يأمر بالدعاء فقط لتحصيل هذه النعمة ولكن لا ثمار له، أو أنه ليس لأحد من الأمة أن ينال هذا الشرف، وهذا الباب مغلَق إلى يوم القيامة. قولوا بالله عليكم، هل تثبت هذه الفكرة أية مزية للإسلام والنبي ﷺ، أم تُسببُ إهانة لهما؟! أقول صدقا وحقا إن الذي يعتنق هذا الاعتقاد يسيء إلى الإسلام، ولم يفهم مغزى الشريعة قط. الإسلام لا يهدف إلى أن يقرّ الإنسان بوحدانية الله باللسان فقط، بل عليه أن يدرك حقيقتها، وألا يكون إيمانه بالجنة والنار نظريا فقط، بل يجب أن يطّلع فعلا على كيفية الجنة في هذه الحياة، ويتخلص من الذنوب التي يرتكبها الهمجيون. لقد كان هذا ولا يزال؛ الهدف الأعظم للإسلام، وهو الهدف المقدَّس والمطهَّر الذي لا يسع قوما أن يأتوا بنظيره من دينهم، ولا يستطيعون أن يقدموا نموذجا له. يمكن أن يدّعي

المرء بلسانه ما يحلو له، ولكن هل من أحد يقدر على إراءة هذا النموذج عمليا؟!

لقد طلبت من الآريين والمسيحيين أن يقدموا دليلا على وجود إله يؤمنون به، ولكنهم لا يستطيعون أن يقدموا شيئا أكثر من التباهي والادعاءات الفارغة. الإله الحقّ الذي يقدِّمه القرآن الكريم يجهله هؤلاء الناس. السبيل الوحيد لمعرفته هو سبيل مكالماته التي يتميَّز بها الإسلام عن الأديان الأخرى، ولكن من المؤسف أن هؤلاء المسلمين رفضوها لمعاداتي فقط.

تذكّروا أن الإنسان لا يوفَّق للتخلص من الذنوب إلا إذا كان يؤمن بالله تعالى إيمانا كاملا. فالهدف الأعظم لحياة الإنسان هو أن يتخلص من براثن الذنوب.

ترون كيف أن الثعبان يبدو جميل المنظر، حتى يمكن أن يرغب الطفل في لمسه بيده بل أن يمسك به أيضا، ولكن العاقل الذي يعرف أنه سيلدغه ويهلكه؛ لن يتجاسر على الدنوِّ منه أبدا، بل لن يدخل مكانا يعلم أن فيه ثعبانا. كذلك لن يجرؤَ على تناول السم مَن يعرف أنه يُهلكه. كذلك تماما لا يمكن للإنسان أن يتخلص من الذنوب ما لم يوقن أنها سم زعاف. وهذا اليقين لا يتولد دون المعرفة. فلماذا إذاً يتجرَّأ الإنسان على الذنوب إلى هذه الدرجة، مع أنه يؤمن بالله تعالى ويعدَّ الذنب إثما. بالطبع لا سبب لذلك؛ إلا أنه محروم من المعرفة والبصيرة التي تخلق فطرة تحرق الذنوب. وإن لم تتولد هذه الحالة؛ فلا بد من الاعتراف أن الإسلام خالٍ وعاجزٌ عن تحقيق هدفه الحقيقي، والعياذ بالله. ولكنني أقول إن الأمر ليس كذلك مطلقا، بل الحق أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحقق هذا الهدف بصورة كاملة. وهناك سبيل وحيد لتحقيقه؛ وهو المكالمات والمخاطبات الإلهية، لأنها وحدها تخلق اليقين الكامل بوجوده ﷻ. ومنها يتبين أن الله ﷻ يتبرَّأ من الذنوب في الحقيقة، ويعاقب مرتكبَها.

الذنب سمٌّ يتولد من الصغائر بداية ثم يتحول إلى الكبائر، حتى يوصل إلى الكفر في نهاية المطاف.

أقول كجملةٍ اعتراضية؛ إن كل الأقوام قلقون بحد ذاتهم، ويفكرون في أن يتطهروا من الذنوب. فالآريون مثلا متمسكون بألا سبيل إلى التزكية إلا بعد العقوبة، ويعتقدون أن الإنسان يمر بمئات آلاف الولادات نتيجة ذنب واحد، وما لم يمر بهذه السلسلة فلا يمكنه أن يتزكّى. ولكن هناك مشاكل كثيرة تعترض هذا السبيل؛ أكبرها أنه مادام الخلق كله مذنبا، فمتى سيكون الخلاص من هذه الدوامة؟ والأغرب من ذلك أنهم يسلِّمون بأن الحائزين على النجاة أيضا سيُخرَجون من منجاهم بعد فترة من الزمن. فما الفائدة من هذه النجاة أصلا؟ وإذا سُئلوا: لماذا يُخرَجون منه بعد النجاة؟ قال بعضهم بأنه يبقى لهم ذنبٌ واحد ذريعةً لإخراجهم من مكان النجاة. تدبروا الآن في الموضوع وأخبرونا؛ هل يمكن أن يكون ذلك فعل الله القادر؟! ثم لما كانت كل نفسٍ خالقة لنفسها، دون أن يخلقها الله تعالى، والعياذ بالله، فما حاجتها إلى أن تبقى تحت تصرفه عَزَّ وَجَلَّ؟!

أما المسيحيون؛ فقد اخترعوا وسيلةً للتزكية من الذنوب بأن اتخذوا عيسى إلها وابن إله، ثم تمسكوا بفكرة أنه حمل جميع خطاياهم وأصبح ملعونا بموته على الصليب، نعوذ بالله من ذلك. فكِّروا الآن: ما علاقة النجاة بهذه الوسيلة؟ بل قد ارتكبوا ذنبا أكبر للخلاص من الذنوب إذ إنهم ألّهوا إنسانا. هل من ذنب أكبر من ذلك؟! لقد ألّهوه ثم جعلوه ملعونا أيضا في الوقت نفسه. أيُّ إساءة أكبر من ذلك بحق الله تعالى؟! إذ ألّهوا إنسانا يأكل ويشرب وله حوائج، مع أنه قد ورد في التوراة أنه ما من إله ثانٍ في السماء ولا في الأرض. وكان هذا التعليم مكتوبا على الأبواب، ولكنهم تخلوا عنه واختلقوا إلها جديدا لا يُعثَر عليه في التوراة.

لقد سألت علماء اليهود: هل عندكم تصوُّر إلهٍ يولد من بطن مريم ثم يعاني على يد اليهود؟ فأجابوني كلهم أن هذا افتراء محض ولا يوجد في التوراة تصوُّر إلهٍ كهذا، وأن إلهنا هو الإله نفسه الذي يقدمه القرآن الكريم. أي كما بيّن القرآن الكريم وحدانية الله تعالى؛ كذلك نؤمن بالله تعالى واحدا لا شريك له

حسب تعليم التوراة، وليس لنا أن نحسب أي إنسان إلها. من الواضح أنه لو أُخبر اليهود بإله كان سيولَد من بطن امرأة؛ لما عادَوا المسيح عليه السلام بهذه الشدة حتى علقوه على الصليب، واتهموه بقول الكفر. فمن هنا يتبين بوضوح تام أنهم ما كانوا جاهزين لقبول هذا الأمر مطلقا.

قصارى القول، العلاج الذي اخترعه المسيحيون للتخلّص من الذنوب يؤدي في حد ذاته إلى الذنوب، ولا علاقة له بالخلاص من الذنب أصلا. فقد اخترعوا ذنبا آخر لعلاج الذنب، وهذا لا يجوز بحال من الأحوال.[1] إنهم أصدقاء حمقى لأنفسهم، ومَثَلهم كمثل قردٍ سفك دم سيِّدِه، إذ قد اختلقوا لنجاتهم والتخلص من الذنوب ذنبا لا يُغتَفر؛ أي ارتكبوا الشرك وألّهوا إنسانا ضعيفا.

كم هو مقام شكر للمسلمين أن إلههم ليس بالذي يمكن أن يُعتَرَض أو يُشنّ عليه هجوم! فهم يؤمنون بقدراته ويوقنون بصفاته. أما الذين ألّهوا إنسانا أو الذين أنكروا قدرات الله؛ يستوي لديهم وجود الله وعدمه. فمثلا إن الآريين يعتنقون مذهبا أن كل ذرة هي إله نفسها، ولم يخلق الله شيئا. فما دام الله ليس بخالق الذرات؛ فما الحاجة إلى الله لبقائها؟! ومادامت القوى كلها موجودة من تلقاء نفسها، وفيها القدرة على الاتصال والانفصال أيضا؛ فقولوا بالعدل والإنصاف: هل هي بحاجة إلى الله أصلا؟! ولا أرى إلا فارقا بسيطا جدا بين الملحدين والآريين الذين يعتنقون هذه العقيدة. فالإسلام هو الدين الوحيد الكامل والحي. لقد آن الأوان لأن تظهر عظمة الإسلام وشوكته من جديد، وقد جئت لهذا الهدف بالذات.

يجب على المسلمين أن يقدِّروا الأنوار والبركات النازلة من السماء حاليا، ويشكروا الله على أنه أخذ بيدهم في الوقت المناسب، ونصرهم حسب وعده في هذا الوقت العصيب. وإن لم يقدّروا نعمة الله هذه فلن يعبأ بهم، وسيُتم أمرَه في كل الأحوال، ولكن سيكون الأسف عليهم.

[1] الحكم، عدد: ١٩٠٦/١٠/٢٤م، ص٤-٥.

أقول بكل قوة ويقين وبصيرة بأن الله تعالى قد أراد أن يقضي على الأديان الأخرى كلها ويهب الإسلام الغلبةَ والقوة، ولا يد ولا قوة تقدر على مقاومة إرادة الله هذه، فهو: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[١].

تذكّروا أيها المسلمون، أن الله تعالى قد أبلغكم ذلك بواسطتي، وبدوري قد أبلغتكم دعوتي، والأمرُ الآن في يدكم سواء أقبلتموه أم أبيتم.

الحق أن عيسى عليه السلام قد مات. وأقول حالفًا بالله بأني أنا الموعود الذي كان مجيئه مقدرا. ومن المؤكد تماما أيضا؛ وصحيح تماما أيضا أن حياة الإسلام تكمن في وفاة عيسى. لو تدبرتم في هذه الموضوع؛ لعرفتم أنها المسألة الوحيدة التي من شأنها أن تقضي على الديانة المسيحية. إنها عماد قوي للديانة المسيحية وعليه أقيم بناؤها، فدعوه ينهار. لو خشي معارضيَّ اللهَ تعالى واتّقَوه، لكان الحكم في هذه القضية سهلا للغاية. ولكن سَمُّوا لي شخصا واحدا فقط ترك الهمجية وجاءني طالبا الاقتناع. لقد آلت حالتهم إلى أنهم يُرغون ويُزبدون بمجرد سماعهم اسمي، ويشرعون في السباب والشتائم. فهل لأحد أن يهتدي بهذه الطريقة؟!

إنني أقدم نصوص القرآن الكريم الصريحة، والأحاديثَ، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم ولكنهم لا يسمعون، بل يضجّون ويصرخون قائلين: الكافر الكافر، الدجال الدجال! أقول لهم بكل صراحة أن يثبتوا من القرآن الكريم أن عيسى صعد إلى السماء حيا، أو يقدّموا شيئا يخالف رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن يأتوا بما يعارض الإجماع الأول الذي عقِد عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ولكن لا أجدُ جوابا.

ثم هناك بعض آخرون يثيرون ضجة ويقولون: إن لم يكن الموعود الآتي هو المسيح عيسى بن مريم الإسرائيلي نفسه؛ فلماذا سُمِّي المسيح المقبل بهذا الاسم؟

أقول: ما أجهله من اعتراض! العجيب في الموضوع أن يكون للمعترضين حق في أن يسمُّوا أولادهم باسم موسى وعيسى وأحمد وداود وإبراهيم وإسماعيل،

---

[١] البروج: ١٧

أما إذا سمَّى الله أحدا باسم عيسى فعليه يعترضون! كان يجدر بهم النظر في الموضوع؛ هل ترافق المبعوث آياتٌ أم لا؟ وإذا وجدوا الآيات فما كان يليق بهم أن يتجاسروا على الإنكار، ولكنهم لم يبالوا بالآيات ولا بالتأييدات بل قالوا فور سماعهم ادعائي: أنت كافر!

القاعدة العامة هي أن الوسيلة المثلى لمعرفة الأنبياء عليهم السلام والمبعوثين من الله هي معجزاتهم وآياتهم. فكما أن شخصا ما عندما يُعيَّن حاكما من قبل الحكومة يُعطَى علامةً، كذلك لمعرفة المبعوثين من الله أيضا علامات وآيات. أقول بكل تحدٍّ إنّ الله لم يُظهر في تأييدي آية أو آيتين أو مئتَي آية، بل أظهر مئات الآلاف من الآيات. وهي ليست مما لا يعرفه أحد، بل يشهد عليها مئات الآلاف من الناس. وأستطيع القول بأنه سيكون في هذا الاجتماع أيضا مئات من الشاهدين عليها. لقد ظهرت لي الآيات من السماء ومن الأرض أيضا.

ولقد تحققت أيضا الآيات كانت خاصة بادعائي، وقد أخبر بها النبي ﷺ والأنبياء الآخرون أيضا من قبل. منها مثلا آية الكسوف والخسوف التي شاهدتموها جميعا. لقد أُنبئ في حديثٍ صحيح أن الكسوف والخسوف سيحدثان في شهر رمضان في زمن المهدي والمسيح. أخبِروني الآن: هل تحققت هذه الآية أم لا؟ هل من أحد يستطيع القول بأنه لم يشهدْ هذه الآية؟

كذلك أُنبئ بتفشي الطاعون في ذلك الزمن، وبأنه سيكون من الشدة بحيث يموت به سبعة نفرٍ من عشرة. فهل ظهرت آية الطاعون أم لا؟ وقد ورد أيضا أنه ستُخترَع مركبة جديدة وستتعطّل بسببها القِلاص. ألم تتحقق هذه الآية باختراع القطار؟ حتّامَ أحصي الآيات؟! إن قائمتها طويلة جدا. تدبروا الآن، فقد اعتُبِرتُ، أنا المدعي، دجالا وكاذبا؛ ولكن يا لها من مفارقةٍ! إذ تحققت جميع الآيات من أجلي أنا الكاذب!! وإذا كان مبعوثٌ آخر قادما؛ فماذا بقي في نصيبه؟! اعدلوا واتقوا الله، هل يؤيد الله تعالى كاذبا أيضا بهذه الطريقة؟!

اللافت في الموضوع أن كل من بارزني قد خاب وخسر، وخرجتُ سالما غانما منتصرا من كل مصيبة أوقعني فيها المعارضون. فليقل لي أحد حالفا بالله: هل هذه هي المعاملة التي يتلقاها الكاذبون؟!

أقول بأسف شديد: ما الذي جرى لهؤلاء المشايخ الذين يخالفونني في الرأي؟ لماذا لا يتدبرون القرآن والأحاديث؟! ألا يعلمون أن السلف الصالح قد أخبروا جميعا ببعثة المسيح الموعود في القرن الرابع عشر؟! وقد توقّف أهل الكشوف كافة أيضا عند هذا الحد. فقد ورد في كتاب "حجج الكرامة" بكل وضوح؛ أن بعثته لن تتأخر عن القرن الرابع عشر. إن هؤلاء القوم كانوا يقولون على المنابر بأن الوحوش أيضا استعاذت بالله من القرن الثالث عشر، أما القرن الرابع عشر فسيكون مباركا. ولكن ما الذي حدث حتى أتى الكاذب بدلا من الصادق في القرن الذي كان مقدرا فيه مجيء إمام موعود؟ ثم ظهرت ألوفٌ بل مئات ألوف الآيات أيضا في تأييده، ونصره الله في كل موطن وعند كل مواجهة، فكِّروا جيدا في هذه الأمور وأجيبوني. التفوُّه بشيء جزافا أمرٌ سهل، ولكن القول بمراعاة تقوى الله صعب.

الجدير بالانتباه أيضا أن الله تعالى لا يُمهل المفتري والكذاب إلى مدة طويلة تزيد على مدة أُعطيها النبي ﷺ. لقد بلغتُ من العمر ٦٧ عاما وقد زادت مدة بعثتي على ٢٣ عاما. فلو كنت مفتريا كذّابا؛ لما سمح الله بأن تطول هذه القضية إلى هذا الحد.

يقول البعض: ما الفائدة من مجيئك؟ فاعلموا يقينا أن هناك هدفينِ من بعثتي. الأول: لقد غلبت الأديان الأخرى في هذا العصر على الإسلام وكأنها تلتهمه، وضعُف الإسلام وصار كطفل يتيم؛ فأرسلني الله تعالى في هذا العصر لأنقذه من صولات الأديان الباطلة، ولأقدّم الأدلة القوية والحجج الدامغة على صدقه. وهذه الأدلة- إضافة إلى الحجج العلمية- إنما هي الأنوار والبركات السماوية التي ظلت تظهر في تأييد الإسلام باستمرار. فلو قرأتم تقارير القساوسة في هذه الأيام لعرفتم مدى استعدادهم لمعارضة الإسلام، ولعلمتم أيضا الأعداد التي

تُنشر بها كل جريدة من جرائدهم. ففي هذه الحالة كان من الضروري أن تُرفع كلمة الإسلام عاليًا. وقد أرسلني الله تعالى لهذا الغرض. وأقول يقينا بأن غلبة الإسلام سوف تتحقق في كل الأحوال؛ وقد بدت أماراتها.

صحيح تماما أن هذه الغلبة ليست بحاجة إلى سيف أو بندقية، ولم يرسلني الله بالأسلحة. والذي يفكر بهذه الطريقة في هذا العصر فإنه صديقٌ أحمق للإسلام. إن هدف الأديان هو فتح القلوب دائما، وهذا الهدف لا يُنال بالسيف. لقد قلت مرارا بأن السيف الذي رفعه النبي ﷺ كان للدفاع فقط، وذلك حين تجاوز الأعداءِ والمنكِرون كل الحدود في الظلم، واحمرَّت الأرض من دماء المسلمين عديمي الحيلة.

إذًا، فإن الهدف الأول من بعثتي هو أن يغلب الإسلام الأديانَ الأخرى.

والأمر الثاني هو أن هناك أناسا يقولون بأننا نصلي ونفعل كذا وكذا. ولكن الحق أن هذا كله على الألسن فقط، لذا من الضروري جدا أن يتولّد في الناس هذه الكيفية التي هي مغزى الإسلام وحقيقته. ما أعرفه هو أنه لا يمكن لأحد أن يكون مؤمنا ومسلما ما لم ينصبغ بصبغة أبي بكر وعمر، وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين. إنهم ما كانوا يحبون الدنيا، بل نذروا حياتهم في سبيل الله. أما في هذه الأيام فجُلّ الاهتمام منصَبٌّ على الدنيا، وقد انغمس الناس فيها حتى لم يعد لله ﷻ عندهم مكان. فإذ كانت هناك تجارة فمن أجل الدنيا، كذلك العمارة من أجل الدنيا، بل الصلاة والصوم أيضا صارا للدنيا فقط. يفعلون كل ما في وسعهم لنيل قرب أهل الدنيا ولا يعيرون للدين أدنى اهتمام. كل شخص يستطيع أن يفهم؛ هل كان المراد من الإقرار بالإسلام وقبوله كما فُهم وظُنّ، أم هناك هدف أسمى من ذلك؟! ما أعرفه هو أن المؤمن يُطهَّر وينصبغ بصبغة الملائكة، وكلما تقرب إلى الله؛ سمع كلامه واطمأن له. فليفكر كل واحد منكم في نفسه فيما إذا كان حائزا على هذا المقام أم لا؟

أقول صدقا وحقا إنكم قنعتم بالقشور فقط، مع أنها ليست بشيء. إن الله تعالى يريد اللب. إذن، فمهمتي هي أن أتصدى لهجمات تُوجَّه إلى الإسلام من الخارج، وأُنشئ في المسلمين حقيقة الإسلام وروحه. لقد نال وثن الدنيا- بدلا من الله- عظَمةً في قلوب المسلمين وعُلّقت به الأماني والآمال، وصارت عداوتهم وصلحهم بل كل شيء للدنيا، فأنوي أن أكسّر هذا الوثن تكسيرا لتقوم في قلوبهم عظمة الله وجبروته؛ فتؤتي شجرة الإيمان أُكُلَها مجددا. هذه الشجرة موجودة في هذه الأيام بصورتها الظاهرية، ولكنها ليست موجودة في حقيقتها. لقد قال تعالى عن الشجرة الحقيقية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[١]. ترون أن الله تعالى قد ضرب هنا مثلاً للدين الكامل بشجرةٍ طيبة. والمراد من: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ هو أن تكون أصولها الإيمانية ثابتة ومتحققة، وتبلغ درجة اليقين الكامل، وتؤتي ثمارها كل حين، ولا تيبس في حين من الأحيان. ولكن قولوا بالله عليكم: هل هذه الحالة ملحوظة في هذه الأيام؟ هناك أناس كثيرون يقولون ما الحاجة إلى كل ذلك؟ أقول: ما أغبى المريض الذي يقول ما الحاجة إلى الطبيب! فلو استغنى المريض عن الطبيب ولم يشعر بحاجة إليه؛ ماذا عسى أن تكون نتيجة ذلك إلا هلاكه؟! لا شك أن المسلمين في هذا الوقت يدخلون في: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ ولكنهم لا يدخلون في: ﴿آمَنَّا﴾، وهذا يتأتى عندما يرافق النورُ.

باختصار، هذه هي الأمور التي أُرسِلتُ من أجلها، فلا تعجلوا في تكذيبي، بل اتقوا الله وتوبوا إليه؛ لأن عقل التائب يكون حادا ووقّادًا. إن آية الطاعون جد خطيرة، وفي ذلك أنزل الله عليّ الكلام التالي: "**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم.**" هذا كلام الله تعالى. واللعنة على من افترى على الله. يقول الله تعالى إن تغيُّرا سيحدث في مشيئته حين يحدث التغيُّر في القلوب.

---

[١] إبراهيم: ٢٥- ٢٦

فاتقوا الله واخشوا غضبه. لا يمكن لأحد أن يتحمل مسؤولية غيره. نرى أنه لو رُفعت قضية بسيطة على أحد، لا يعود كثير من الناس أوفياء له؛ فكيف تثقون بهم في الآخرة التي يقول الله عنها: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[1].

كان من واجب معارضينا أن يحسنوا الظن ويعملوا بـــ: ﴿لا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[2]، ولكنهم تسرّعوا. اعلموا أن الأمم السابقة قد هلكت للسبب نفسه. العاقل إذا علم أنه كان مخطئا؛ تخلّى عن خطئه وإن كان من المعارضين. ولكن هذا لا يتأتّى إلا بالتقوى فقط. من شِيَمِ الرجال أن يعترفوا بخطئهم، ومن يفعل ذلك فهو بطلٌ؛ وهذا ما يحبه الله تعالى.

إضافة إلى ذلك كله أريد أن أقول شيئا عن القياس؛ فمع أن نصوص القرآن الكريم والأحاديث معي، ويؤيدني إجماع الصحابة أيضا، وتدعمني الآيات والتأييدات الإلهية، وتبرهن حاجةُ الوقت على صدقي؛ إلا أنه يمكن أن تتم الحجة بالقياس أيضا. لذا يجب أن نرى ما يقتضيه القياسُ. لا يقبل الإنسان شيئا لا يوجد له نظير. فمثلا لو قال لك أحد إن الهواء قذف ولدك إلى السماء، أو قال إن الولد تحوَّل إلى كلبٍ وفرَّ؛ فهل ستقبل كلامه دون سبب معقول ودون تحقيق؟! كلا، لذلك قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[3]. الآن تأملوا في مسألة وفاة المسيح وصعوده إلى السماء. من المؤكد تماما، بغضِّ النظر عن وجود الأدلة على وفاته أن الكفار طلبوا من النبي ﷺ معجزة الصعود إلى السماء. فكان ينبغي له ﷺ- الذي كان الأكمل والأفضل من جميع النواحي- أن يصعد إليها، ولكن ماذا أجاب به بوحي من الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾[4]. هذا يعني أن الله

[1] عبس: ٣٥

[2] الإسراء: ٣٧

[3] النحل: ٤٤

[4] الإسراء: ٩٤

بريء من إخلاف وعده. فما دام قد حرّم على البشر الصعود إلى السماء بجسده العنصري، فلو صعدتُ إليها أنا لكنتُ كاذبا. إذا كان اعتقادكم بصعود المسيح إلى السماء صحيحًا؛ فبمَ تردُّون لو اعترض أحد من القساوسة على النبي ﷺ مقدِّما هذه الآية؟ فما الفائدة من الإيمان بما لا أصل له في القرآن الكريم؟! لو فعلتم لشوّهتم سمعة الإسلام والنبي ﷺ. بالإضافة إلى ذلك لا يوجد لهذا الأمر نظير في الكتب السابقة، والاستشهاد بتلك الكتب ليس حراما. يقول الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]. وقال أيضا: ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[2]. وقال أيضا: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[3]. فما دام الله تعالى يقدم هذه الآيات لإثبات نبوة رسول الله ﷺ فكيف صار اجتهادنا منها ممنوعا؟!

ومن الكتب السابقة سِفر النبي ملاخي ضمن أسفار الكتاب المقدس، وقد وُعد فيه بعودة النبي إيليا قبل المسيح عليهما السلام. وحين جاء المسيح ابن مريم؛ سُئل عن مجيء إيليا بحسب نبوءة النبي ملاخي، ولكن المسيح عليه السلام أصدر حكمه أن الموعود بمجيئه قد جاء بصورة النبي يوحنا.

لقد سبق أن صدر الحكم في محكمة عيسى عليه السلام عن المراد من مجيء الموعود؛ إذ لم يُعتبر يوحنا مثيلَ إيليا، بل اعتُبر إيليا نفسُه، وهذا القياس أيضًا يؤيدني. إنني أقدّم نظائر، أما منكريَّ فلا يقدمون أي نظير. إن بعض الناس حين يعجزون عن تقديم الدليل أو النظير في هذا المقام يقولون إن تلك الكتب قد أصابها التحريفُ والتبديل. ولكنهم مع الأسف الشديد لا يدرون أن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم كانوا يستشهدون بها، وأن معظم السلف الصالح عدُّوا هذا التحريف معنويا. هذا ما قاله البخاري أيضا.

---

[1] الأحقاف: ١١

[2] الرعد: ٤٤

[3] البقرة: ١٤٧

إضافة إلى ذلك هناك عداوة شديدة بين اليهود والنصارى، كتبهم أيضا مختلفة، ولا يزالون يؤمنون حتى الآن بأن إيليا سيعود ثانية، وإلا لآمنوا بالمسيح عليه السلام. بحوزتي كتاب عالمٍ يهودي يقول فيه بكل قوة، ويصرّح أنه إذا طُرح عليه هذا السؤال؛ سيقدّم سِفر النبي ملاخي وسيقول بأن فيه وعدا بعودة النبي إيليا.

فكِّروا الآن؛ لما صار مئات الآلاف من اليهود من أهل جهنم على الرغم من هذه الأعذار، وصاروا قردة وخنازير؛ فهل يصح بشأني عذرهم بأن المذكور في هذا المقام هو المسيح ابن مريم؟! كان اليهود معذورين إذ لم يكن فيهم أي نظير، أما الآن فلا يوجد في أيديكم عذر. إنّ موت المسيح ثابت من القرآن الكريم، وهذا ما تصدِّقه رؤية النبي ﷺ. كذلك ورد "منكم" في القرآن الكريم والحديث. ثم لم يُرسلني الله صفر اليدين، بل ظهرت لتصديقي مئات الآلاف من الآيات، فلو أقام أحد عندي الآن أيضا أربعين يوما لرآها. الآية المتعلقة بليكهرام آية عظيمة الشأن. يقول الأغبياء عني بأني كنت وراء قتله. لو كان هذا الاعتراض صحيحا لرفع الأمان نهائيا عن آيات مثلها، وقد يقال غدا إن النبي ﷺ كان وراء قتل "خسرو برويز"، والعياذ بالله. إن إثارة الاعتراضات من هذا القبيل ليست من شيم العارفين بالحق.

وفي النهاية أكرر وأقول: إن آياتي ليست بقليلة، بل شهد عليها أكثر من مائة ألف شخص، وهم على قيد الحياة. فلا تستعجلوا في إنكاري، وإلا ماذا سيكون جوابكم بعد الممات؟! اعلموا يقينا أن الله تعالى موجود ويرى، وهو يصدّق الصادق ويكذِّب الكاذب."[١]

[١] جريدة الحكم، عدد: ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص٤-٦

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

ٹائیٹل بار اول

الحمد للہ و المنت

کہ یہ رسالہ ایک عیسائی کی کتاب ینابیع الاسلام کے

جواب میں تالیف ہو کر اس کا نام حسب ذیل رکھا گیا

یعنے

چشمہ مسیحی

اور یہ مطبع میگزین قادیان میں باہتمام چودھری

اللہ داد صاحب ۹ مارچ ۱۹۰۶ء کو طبع ہو کر شائع ہوا

تعداد جلد ۷۰۰

قیمت فی جلد ۳

ترجمة صفحة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتيب

الحمد لله والمنة

على أن هذا الكتيب قد أُلّفَ ردًّا على كتابٍ مسيحيٍّ

بعنوان: "ينابيع الإسلام"

وسُمّي بالاسم التالي أعني:

"ينبوع المسيحية"

وطُبع في مطبعة ميغزين بقاديان

تحت إشراف شودهري إله داد

بتاريخ ٩ آزار/مارس ١٩٠٦م.

عدد النسخ: ٧٠٠

ثمن نسخة واحدة: ٣ آنات

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم

الإعلان واجب الإظهار من قِبلي أنا العبد المتواضع

عن نبوءة بحدوث الزلزال

[١]"أفيقوا أيها الأصدقاء فإن الزلزال على وشك الحدوث ثانية، وإن الله يكاد يُري قدرته قريبا مرة أخرى.

الزلزال الذي عهدتموه في شباط، استيقنوا أنه كان زجرا فقط من أجل التنبيه

عالجوه أيها الأصدقاء بماء العيون، فإن السماء موشكة على أن تمطر نارا أيها الغافلون

كيف لا تقع الزلازل وقد فُقدت التقوى، وبقي المسلمون مسلمين بالاسم فقط؟

من يؤمن بي خشية لله ومن تخلّى عن البغض والضغينة؟ كأن حياتي كلها ستنقضي في سماع الشتائم منهم

يسمونني جميعا كافرا ودجالا وفاسقا، ولا يكاد أحد يؤمن بي بالصدق والإخلاص؟

كلّ من تراه تجده قد تجاوز الحدود في سوء الظن، لو سأله أحد لعَدَّد مئة عيب

---

[١] ترجمة قصيدة أردية. (المترجم)

إنهم يهجرون الدين ويحبون الدنيا، ولا يكادون يندمون وقد نصحناهم مئة مرة

يكاد قلبي ينخلع نظرا إلى مصائب الدين، ولكن يد الله تهدِّئ الآن روعي

ستريكم الآن غيرته تجليها، لأن هذه المصيبة تكاد تصل كل مكان

سوف ينال الدين شيئا من النصرة بواسطة الموت، وإلا فسيُقضى على الدين يوما من الأيام، أيها الأحبة.

كان عالَمًا من الناس جاهزا للتضحية من أجل هذا الدين في زمن مضى، أما الآن فإن عبد العبد أيضا جاهز لتكذيبه.

المعلـــــن

ميرزا غلام أحمد القادياني، المسيح الموعود في ١٩٠٦/٣/٩م

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم

ينبوع المسيحية[١]

الكتاب الذي سمَّيته في العنوان: "ينبوع المسيحية" هو الكتاب نفسه الذي أنوي تأليفه فيما يلي. ما كان واجبا علي أن أكتب شيئا عن معتقدات القساوسة، لأن العمل الذي كان علي إنجازه قد أخذه أكابر محققيهم في أوروبا وأميركا على عاتقهم في هذه الأيام ويؤدون حق هذه الخدمة على أحسن وجه ويوضحون ماهية الديانة المسيحية وحقيقتها. ولكن وصلتني مؤخرا رسالة من مسلم يسكن في مدينة "بانس بريلي" لا يعرف حقيقة الأمر وقد ذكر في رسالته الضرر المهيب من كتاب "ينابيع الإسلام" لمؤلف مسيحي. من المؤسف أن معظم المسلمين لا يقرأون كتبي لغفلتهم، لذا يجهلون تماما البركات التي أنزلها الله تعالى عليّ. وإن تكفير المشايخ الأغبياء لنا بالاستمرار قد أقام حاجزا بيننا وبين عامة المسلمين، فلا يدرون أن الزمن الذي انطلت فيه مكايد المسيحية وحِيلها قد ولّى. والآن أوشكت الألفية السادسة من ولادة آدم على نهايتها حين يكون الانتصار في نصيب الجماعة الربانية. وهذه الحرب هي الأخيرة[٢] بين

---

[١] هذه التسمية لا تعني أنها ينبوع المسيح عليه السلام، لأن تعليم المسيح الذي فُقد من الدنيا لم يعلِّم المعتقدات السائدة حاليا، بل التعليم السائد حاليا هو ما أوجده المسيحيون بأنفسهم، لذلك سميته "ينبوع المسيحية". منه.

[٢] يجب ألا يُفهم من كلمة الحرب هنا أن هذه الحرب ستكون بالسيف أو البندقية. والسبب في ذلك أن الله تعالى قد ألغى هذا النوع من الجهاد، لأن إلغاء هذا النوع من

النور والظلمة، وسيكون النور فيها مظفَّرا ومنصورا ويُقضَى على الظلمـــة. لم يكن ضروريا أن أكتب شيئا عن أفكار القساوسة البالية هذه، ولكن اضطررت لتأليف هذا الكتيب الوجيز بسبب إصرار الشخص الذي ذكرته آنفا. بارك الله فيه وجعله مدعاة لهداية الناس، آمين.

وليكن معلوما أننا نحترم عيسى عليه السلام ونؤمن به نبيَّ الله[1]، ونعارض اعتراضات اليهود التي تُنشر في هذه الأيام. ولكني أريد أن أُبين أنه كما يهاجم اليهود عيسى عليه السلام وإنجيله بمحض التعصب كذلك تماما يهاجِم المسيحيون القرآنَ الكريم والنبي ﷺ. ما كان يليق بالمسيحيين أن يحذوا في هذا الطريق السيئ حذو اليهود. ولكن من المعروف أنه عندما لا يستطيع الإنسان أن يهاجم دينا من منطلق الصدق والعدل يكون هناك كثيرون يبدأون بالتهجم بتهم باطلة. والهجمات الواردة في "ينابيع الإسلام" هي من هذا القبيل. هذه العادات السيئة تنشأ بسبب حب الدنيا، وإلا فالدين السماوي والمذهب السماوي في هذا الزمن هو الإسلام وحده الذي توجد فيه بركات متجددة. إنه لمن بركات ينبوع الإسلام المقدس أنه يوصل إلى الله الحيّ، وإلا فإن الإله الزائف المدفون في سرينغر، حارة خانيار، في كشمير، لا يستطيع أن يأخذ بيد أحد.

والآن أؤلّف كتيبا وجيزا موجّها إلى الذي كتب إليّ من "بريلي"، والله الموفق.

الراقم

ميرزا غلام أحمد القادياني، المسيح الموعود

في ١٩٠٦/٣/١م

الجهاد في زمن المسيح الموعود كان ضروريا كما أخبر القرآن الكريم بذلك سلفا، وقد ورد في صحيح البخاري أيضا عن المسيح الموعود حديث: "يضع الحرب". منه.

[1] كل ما خرج من قلمي بما لا يليق بشأن عيسى عليه السلام إنما هو من باب الجواب الإلزامي، بل هو ما نقلته في الحقيقة مما قاله اليهود. لو التزم القساوسة بمقتضى التحضر وتقوى الله ولم يشتموا نبينا ﷺ لالتزم المسلمون أيضا بدورهم بالأدب أكثر منهم بعشرين مرة. منه.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم ونبيه العظيم

السلام عليكم، أما بعد، فليتضح أني قرأت بأسف شديد رسالتك التي كتبتها بعد قراءة كتاب مسيحي بعنوان: "ينابيع الإسلام". إنني لأستغرب حقا كيف وقعتَ في حيص بيص بقراءة كتاب قومٍ إلـــهُهم ميت ودينهم ميت، وكتابهم ميت، وهم بأنفسهم ميتون إذ تعوزهم عينٌ روحانية، وارتبتَ في الإسلام بسبب كذبهم وافتراءاتهم؟ إنا لله وإنا وإليه راجعون.

فلتعلم أن هؤلاء قوم لم يحرفوا كتب الله فقط بل سبقوا الأمم كلها في الافتراء وفي كتاباتهم المفتريات بُغية تطوير دينهم. فلما لم يكن لديهم نور ينـــزل من السماء ليؤيد الصدق ويميز الدين الحق بصراحة تامة في العالم بشهاداته المتواترة، لذا اضطروا لاستخدام أنواع الافتراءات والمكايد والأباطيل والخداع والأقوال الزائفة المزوَّرة ليصرفوا الناس عن الدين الحيّ، أي الإسلام.

فيا عزيزي، إن هؤلاء القوم قلوبهم مسودّة ولا يخافون الله، وإن مساعيهم منصبَّة ليل نهار على أن يحب الناس الظلام بأي حال ويهجروا النور. إنني أستغرب بشدة كيف تأثّرتَ بكتابات مثل هذا الشخص. إن هؤلاء القوم سبّاقون على السحرة الذين حوّلوا الحبال إلى ثعابين أمام النبي موسى عليه السلام. ولكن لما كان موسى نبيَّ الله فقد ابتلعت عصاه تلك الثعابين كلها. كذلك إن القرآن الكريم هو عصا الله تعالى التي يبتلع بها ثعابين الحبال يوما إثر يوم. وسيأتي يوم بل هو قريب حين لن يبقى لثعابين الحبال هذه أي أثر أبدا. إذا كان صاحب "ينابيع الإسلام" قد حاول الإثبات بأن القرآن دوِّن من قصص أو كتب كذا وكذا، فإن سعيه هذا لا يساوي حتى جزء من الألف مما سعى إليه

عالم يهودي لاكتشاف حقيقة الإنجيل. وقد أثبت هذا العالم بحسب زعمه أن تعليم الأخلاق في الإنجيل مأخوذ من كتاب اليهود "التلمود" ومن بعض كتب بني إسرائيل الأخرى. وقد تمت هذه السرقة بصراحة تامة بحيث نُقلت عبارات عديدة بعينها. وقد بيّن ذلك العالم أن الإنجيل مجموعة مال مسروق في الحقيقة. والحق أنه أخرج كل ما كان في جعبته وأثبت بوجه خاص أن موعظة الجبل التي يعتز بها المسيحيون كثيرا مأخوذة من "التلمود" حرفا حرفا، وأثبت أنها عبارات وفقرات من التلمود. كذلك نقل عبارات مسروقة من كتب أخرى وترك الناس في حيرة من أمرهم، حتى توجه إلى هذا الأمر الباحثون من أوروبا أيضا برغبة عارمة.

لقد قرأت مؤخرا كتابا لمؤلف هندوسي حاول أن يثبت أن الإنجيل مسروق من تعليم بوذا، وسعى لإثبات ذلك بتقديم تعليم بوذا عن الأخلاق. واللافت في الموضوع أن القصة نفسها التي تقول بأن الشيطان ذهب به هنا وهناك ليبتليه ويجرِّبه، معروفة بين البوذيين أيضا. فلكلٍّ الحقُ بأن يفكر أن هذه القصة أُدخلت في الإنجيل سرقةً بعد تغيير بسيط فيها. وثابت أيضا أن عيسى عليه السلام جاء إلى الهند حتما وقبره موجود في سرينغر بكشمير، وقد أثبتنا ذلك بالأدلة. ففي هذه الحالة يحق أكثر من ذي قبل للمعترضين- مثل الذي سبق ذكره- أن يقولوا بأن الأناجيل الحالية نسخة من الديانة البوذية في الحقيقة. لقد نُشرت هذه الشهادات بكثرة لدرجة لا يمكن إخفاؤها الآن. والأمر اللافت الآخر هو أن كتاب "يوز آسف" القديم- الذي يرى معظم الباحثين الإنجليز أيضا أنه كان قد نُشر قبل ولادة عيسى عليه السلام- وتُرجم في كافة بلاد أوروبا؛ فيه تواردٌ مع الإنجيل في معظم الأماكن بحيث تتطابق الكثير من عباراتهما. وبعض الأمثال التي توجد في الأناجيل توجد نفسها في هذا الكتاب أيضا بالكلمات نفسها، فحتى الجاهل والأعمى يستيقن نظرا إلى ذلك الكتاب بأن الإنجيل مسروق منه. ويرى بعض الناس أنه كتاب بوذا، وقد كان باللغة السنسكريتية بداية ثم تُرجم إلى لغات أخرى.

إن بعض الباحثين الإنجليز أيضا يقولون ذلك، ولكن لا تقوم للإنجيل قائمة بعد قبول هذا الكلام، ويثبت أن عيسى عليه السلام سارقٌ في كافة تعاليمه، والعياذ بالله. الكتاب المذكور موجود فليقرأه من أراد. أما رأيي فهو أنه إنجيل عيسى عليه السلام الذي كُتب في أثناء سفره إلى الهند. ولقد أثبتُّ أيضا بأدلة كثيرة أنه إنجيل عيسى عليه السلام في الحقيقة وهو أطهر وأصفى من الأناجيل الأخرى. ولكن بعض الباحثين الإنجليز الذين يعُدّونه كتاب بوذا، يبحثون عن حتفهم بظلفهم إذ يحسبون عيسى عليه السلام سارقا.

وليكن معلوما أيضا أن مجموعة الكتب الدينية لدى القساوسة هي ذخيرة رديئة ومخجلة جدا. إنهم يعُدّون بعض الكتب سماويةً ويحسبون بعضها الآخر زائفا، تخمينا من عند أنفسهم فقط. فالأناجيل الأربعة هي الأصلية عندهم، والبقية التي يقارب عددها ٥٦ إنجيلا زائفة كلها، ولكن هذه الفكرة مبنية على الظن والشك فقط وليست مبنية على دليل محكم. ولأن هناك تناقضا كبيرا بين الأناجيل الرائجة وغيرها، لذا اتخذوا هذا القرار من عند أنفسهم. ويرى الباحثون أنه لا يمكن الجزم هل هذه الأناجيل زائفة أم تلك. لذا قدّم القساوسة في لندن كل تلك الكتب التي يرونها زائفة في مجلَّد واحد مع الأناجيل الأربعة المذكورة إلى الملك "إدوارد قيصر" تبريكا له بمناسبة احتفال اعتلائه العرش. وعندنا أيضا نسخة من هذا المجلد.

يجب التدبر في هذا المقام أنه إذا كانت تلك الكتب نجسة وزائفة وقذرة في الحقيقة فما أكبره من ذنب ضمُّ المقدس والنجس في مجلد واحد! بل الحق أنهم لا يستطيعون أن يقولوا بالجزم وبقلوب مطمئنة بأن الكتاب الفلاني زائف والكتاب الفلاني أصلي، بل لكل واحد رأيه الشخصي. وبسبب التعنت المفرط يعُدّون الأناجيل التي تطابق القرآن الكريم زائفة. لذلك فقد عُدَّ "إنجيل برنابا" الذي فيه نبوءة عن نبي آخر الزمان ﷺ زائفا، لأن فيه نبوءة واضحة وبينة عن النبي ﷺ. وقد أورد "سيل" أيضا في تفسيره قصةَ أن راهبا مسيحيا أسلم بقراءة هذا الإنجيل.

باختصار، يجب الانتباه جيدا إلى أن سبب اعتبارهم إياه كتابا زائفا أو القصة الواردة فيه كاذبة يعود عادةً إلى أمرين اثنين:

(١) إما أن تكون تلك القصة أو ذلك الكتاب معارضا للأناجيل المتداولة.
(٢) أو أن تكون القصة أو الكتاب موافقا بعض الشيء للقرآن الكريم، فيحاول بعض الأشرار وذوو القلوب المسودّة أن يُثبتوا أولا كمبدأ[1] مسلَّم به أن تلك الكتب زائفة، ثم يقولون إن القصة الواردة فيها مذكورة في القرآن، وبذلك يخدعون السذج من الناس.

والحق أن إثبات زيف الصحف من ذلك الزمن أو صدقها لم يكن بوسع أحد سوى وحي الله تعالى. فإذا توارد وحي الله تعالى مع قصة فهي صادقة وإنْ كذّبها بعض الجهال. والقصة التي كذّبها الوحي الإلهي فهي كاذبة وإن صدّقها بعض الناس. والزعم بأن القرآن الكريم جُمع من القصص المشهورة والحكايات أو المخطوطات أو الأناجيل لجهلٌ مخجل للغاية. أليس ممكنا أن يورد كتاب الله موضوعا سابقا؟ فكثير من حقائق فيدات الهندوس التي كانت خافية في ذلك الزمن موجودة في القرآن الكريم. فهل لنا أن نقول بأن النبي ﷺ قرأ الفيدا أيضا؟ إن ذخيرة الأناجيل وغيرها التي وُجدت الآن بسبب المطابع لم يعرف عنها أحد شيئا في بلاد العرب حينذاك، وزدْ على ذلك أن العرب كانوا أميين. وإذا كان في بلادهم أحد من المسيحيين على سبيل الندرة فلم يكن مطّلعا على دينه اطلاعا شاملا[2]. ثم الاتهام بأن النبي ﷺ سرق هذه المضامين من تلك الكتب فكرة ملعونة تماما. كان النبي ﷺ أميًّا وما كان يقرأ العربية أيضا دع عنك اليونانية أو العبرية، فعلى معارضينا تقع مسؤولية تقديمِ كتابٍ من زمن قديم

---

[1] كل نوع من الافتراء والكذب لتأييد الدين جائز بل مدعاة للثواب في الديانة المسيحية، انظروا إلى ما قاله بولس. منه.

[2] لقد قبل القسيس "فندل" في كتابه "ميزان الحق" بأن المسيحيين العرب كانوا كالوحوش وجهلاء. منه.

أُخِذت منه تلك المفاهيم. فلو كان في القرآن الكريم مضمون مسروق على سبيل الافتراض المحال لأثار المسيحيون العرب الذين كانوا أعداء الإسلام، ضجة فورا وقالوا بأن مضمون كذا وكذا منقول منا.

وليكن معلوما بأن القرآن الكريم[1] هو الكتاب الوحيد في العالم الذي ادّعى أنه معجزة، فقد ادّعى بكل قوة وشدة بأن كل ما ورد فيه من أخبار وقصص مبني على الغيب، ووردت فيه أخبار المستقبل أيضا إلى يوم القيامة، وأنه معجزة في فصاحته وبلاغته أيضا. فكان سهلا على المسيحيين في ذلك الزمن أن يُخرجوا بعض القصص ويقدّموها على أن القرآن الكريم سرقها من كتاب كذا وكذا. وفي هذه الحالة كان أمر الإسلام سيفتُر كله. أما الآن فليس الأمر إلا كالصراخ والعويل بعد الممات. لا يقبل العقل بحال من الأحوال أن يسكت المسيحيون العرب عن فضح الأمر إذا كانت عندهم في الحقيقة كتب يمكن الظن أن القرآن الكريم أخذ منها بعض القصص سواء أكانت تلك الكتب خيالية أو حقيقية!

فلا شك أن مضمون القرآن الكريم كله من وحي الله تعالى. وذلك الوحي معجزة عظيمة لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره. يجدر بالتدبر في هذا المقام أن الذي يسرق من كتب أخرى ويختلق المضمون من عنده ويعلم أنه أخذه من كتاب كذا وكذا ولا يحتوي على أمور غيبية أنّى له أن يتشجع على أن يدعو العالم كله للمبارزة، ولا يبارزه أحد ولا يقدر أحد على فضح أمره؟

---

[1] لقد أثبت القرآن الكريم نزاهته بادعاء أنه معجزة وعديم النظير؛ إذ أعلن بصوت عال أنه إذا كان في العالم أحد يحسبه كلام الإنسان فليُجِب، ولكن جميع المعارضين التزموا الصمت. أما الإنجيل فقد عدَّه اليهود في ذلك الزمن نفسه مسروقا. ولم يدّع الإنجيل أن الإنسان ليس قادرا على اختلاق إنجيل مثله. إذاً، فإن أظلال الشكوك بكونه مسروقا تقع على الإنجيل لا على القرآن الكريم، لأن القرآن يدّعي أن الإنسان لا يقدر على الإتيان بقرآن مثله. وقد أثبت المعارضون جميعا صدق هذا الادعاء بصمتهم. منه.

الحق أن المسيحيين ساخطون على القرآن الكريم كثيرا، وسبب سخطهم عائد إلى أنه كسر شوكة المسيحية وأوهن قوتها كلها، وأبطل ألوهية إنسان، ومزّق عقيدة الصلب إربا وأثبت أن تعليم الإنجيل الذي يعتز به المسيحيون كثيرا ناقص للغاية وبلا جدوى. فكان ضروريا أن يثور هياج المسيحيين نتيجة الأنانية، لذا فما بالغوا مهما افتروا. والذي يريد أن يتنصر بعد ما كان مسلمًا فمَثَله كمثل الذي يولَد من بطن أمِّه ويبلغ أشده ثم يريد أن يدخل بطنها ثانية ويتحول إلى نطفة كما كان من قبل. إنني لأستغرب بماذا يعتز المسيحيّون، إذا كان لهم إلـــه فهو ليس إلا الذي مات قبل مدة وقبره موجود في حارة خانيار بمدينة سرينغر في كشمير، وإذا كانت له معجزات فهي لا تفوق معجزات الأنبياء الآخرين. بل معجزات النبي إلياس أكثر منها بكثير. وبحسب بيان اليهود لم تصدر منه معجزة قط بل كانت كلها زيف وخديعة[1] فقط. أما نبوءاته فكانت معظمها باطلة. هل أُعطي ١٢ حواريا ١٢ كرسيا بحسب الوعد؟ أرجو أن يجيبني أحد من القساوسة؟ هل نال عيسى عليه السلام بحسب نبوءته حكومة دنيوية اشتُريت الأسلحة من أجلها؟ فليقل لي أحد! هل نزل المسيح عليه السلام من السماء بحسب وعده؟ أقول: لم يحظ بالصعود إلى السماء أصلا دع عنك النـــزول- هذا هو رأي الباحثين الأوروبيين أيضا- بل نجا من الموت في حالة شبيهة بالموت، ووصل إلى كشمير خفية هاربا عبر الهند ومات هنالك[2].

---

[1] إن قول المسيح عليه السلام نفسه يصدق بيان اليهود هذا، لأنه يقول في الإنجيل: جيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ. فمن الواضح أنه إذا كان المسيح أرى اليهودَ معجزة من قبل لأشار إليها عند طلبهم هذا. منه.

[2] إن الذين يقولون، مع كونهم مسلمين، بصعود عيسى عليه السلام إلى السماء حيا بجسده المادي يتفوّهون بكلام لغو يخالف القرآن الكريم. القرآن الكريم يبين موت عيسى في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) ويجعل صعود الإنسان إلى السماء بالجسد المادي مستحيلا في الآية: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤) فأيّ جهل أن يعتنقوا اعتقادا يعارض كلام الله. ما من جهل أكبر من أن يُستنبَط من "التوفي"

أما التعليم فإن تعليم الإنجيل- بغض النظر عن التهمة أنه مسروق- يركّز على جانب واحد من كافة جوانب قوى الإنسان؛ أي على جانب الحِلم والعفو، ويقضي على الجوانب الأخرى كلها. مع أن كل إنسان يستطيع أن يفهم جيدا أن كل ما رزقه الله القادرُ ليس فيه لغو أو عبث. بل كل قوة خُلقت في الإنسان بحكمة بالغة وفي مكانها المناسب تماما. فكما يُعدّ الحلم والعفو من الأخلاق المحمودة في وقتها ومحلها المناسب كذلك تُعَدّ الغيرة والانتقام ومعاقبة المجرم أيضا من الأخلاق الفاضلة في وقتها ومحلها المناسب. ليس العفوُ والصفح من الحكمة دائما ولا تُعدُّ المعاقبة والانتقام حكمةً دائما. هذا هو تعليم القرآن الكريم كما يقول تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[1]. إذًا، هذا هو تعليم الإسلام، وأما الإنجيل فيحضّ على العفو في كل الأحوال دون أيّ شرط، ويدوس تحت الأقدام مصالح الإنسان الأخرى التي تجري عليها سلسلة التمدُّن كلها، ويؤكد على نمو فرع واحد فقط من فروع القوى الإنسانية كلها ويهمل رعاية الفروع الأخرى كليا.

واللافت في الموضوع أن عيسى عليه السلام لم يعمل بنفسه بهذا التعليم الأخلاقي؛ إذ وجد شجرة تين دون ثمر فدعا عليها، بينما علّم الآخرين الدعاء بالخير، وأمر الآخرين ألا يُطلقوا كلمة "أحمق" على أحد، بينما أكثرَ من سوء الكلام لدرجة أنه أطلق على كبار اليهود عبارة "أولاد الزنا" أيضا، وكال لعلماء اليهود شتائم

الصعود إلى السماء بالجسد المادي. أولا، لم يرد في أيّ قاموس أن معنى التوفي هو الصعود إلى السماء بالجسد المادي. ثم ما دامت الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ تتعلق بالقيامة أي سيجيب عيسى عليه السلام الله تعالى بهذا الجواب يوم القيامة، فهذا يستلزم أن تحل القيامة دون أن يموت عيسى، بل سيمثل أمام الله تعالى بجسده المادي قبل الممات. وإن تحريف القرآن بهذه الطريقة خطوة تسبق اليهود أيضا. منه.

[1] الشورى: ٤١.

القرآن الكريم لا يجيز الصفح والعفو اللذين لا يجديان نفعا، لأن ذلك يؤدي إلى فساد أخلاق الإنسان والإخلال بالنظام، بل سمح بالعفو الذي يسفر عن الإصلاح. منه.

قاسية في كل وعظ ونابزهم بالألقاب، بينما يجب على معلّم الأخلاق أن يُبدي أخلاقه الفاضلة قبل غيره. فهل يمكن أن يكون من الله تعالى هذا التعليم الناقص الذي لم يعمل به عيسى عليه السلام بنفسه؟ التعليم الطاهر والكامل هو تعليم القرآن الكريم الذي يربّي كل فرع من فروع شجرة البشرية. فالقرآن لا يركز على جانب واحد فقط بل يعلّم العفو والصفح تارة ولكن بشرط أن يكون العفو أقرب إلى الحكمة، ويأمر تارة أخرى بمعاقبة المجرم في المكان والزمان المناسبين. فالحق أن القرآن الكريم صورة لقانون الله تعالى السائد في الطبيعة الذي نراه أمام أعيننا دائما. ومن المعقول تماما أن يكون هناك تطابق بين قول الله تعالى وفعله. بمعنى أنه يجب على كتاب الله الصادق أن يعلّم ما يطابق تماما الأسلوب والنمط الذي يُرَى عليه فعلُ الله تعالى في العالم، لا أن يظهر من الفعل شيء ومن القول شيء آخر. نرى أن فعل الله ليس مبنيا على اللين والعفو دائما وفي كل الأحوال، بل يعاقب أيضا المجرمين بأنواع العذاب، وقد ذُكرت أنواع العذاب من هذا القبيل في الكتب السابقة أيضا. إن إلـــهنا ليس حليما فقط بل هو حكيم أيضا، وإن غضبه أيضا عظيم. الكتاب الصادق هو ذلك الذي يطابق نواميس الله في الطبيعة، وقولُ الله الصادقُ هو الذي لا يعارض فعله عز وجل. لم نشاهد قط أن الله عامل خلقه بالحِلم والصفح دائما ولم ينـــزل عليهم عذاب قط. ففي هذا العصر أيضا أنبأ الله تعالى بواسطتي عن ذوي الطباع النجسة بزلزال عظيم ومهيب سيهلكهم. كما لم يتوقف الطاعون أيضا إلى الآن. ما الذي واجه قوم نوح من قبل؟ وماذا واجه قوم لوط؟ فاعلموا يقينا أن مغزى الشريعة هو التخلّق بأخلاق الله. هذا هو كمال النفس. وإذا أردنا أن يتولد فينا خُلق أفضل من الله فهذا إلحاد ورجس ووقاحة بشعة، واعتراض على الأخلاق الإلهية.

ثم فكّروا في شيء آخر أن من سنة الله القديمة أنه يغفر الذنوب بالتوبة والاستغفار، ويجيب دعاء الصالحين على سبيل الشفاعة أيضا. ولكن ما رأينا قط في قانون الله أن يضرب زَيدٌ رأسه بحجر ويزول صداع بَكرٍ. فلا ندري

بحسب أي قانون يزول مرض الآخرين الباطني نتيجة انتحار المسيح؟ وبأية فلسفة يمكننا أن نعلم أن موت المسيح يمكن أن يزيل رجس غيره الباطني؟ بل التجربة تُثبت نقيض ذلك، لأن خصلة السلوك السوي وعبادة الله كانت موجودة في المسيحيين ما لم ينوِ المسيحُ الانتحارَ. ثم ثارت الأهواء النفسانية لدى المسيحيين بعد حادث الصلب كانهيار سد على نهر وانتشار مائه في كل حدب وصوب. لا شك أنه إذا قام المسيح بهذا الانتحار قصدا فقد قام بعمل غير مناسب تماما، لأنه لو بذل الحياة نفسها في الوعظ والنصيحة للناس لاستفاد منه خلق الله، ولكن ماذا استفاد الآخرون من هذا السلوك غير السوي؟ غير أنه لو عاد المسيح إلى الحياة بعد الانتحار وصعد إلى السماء على مرأى من اليهود لآمنوا به. أما الآن فإن صعوده إلى السماء ليس إلا قصة واهية وكلام فارغ فقط عند اليهود وغيرهم من العقلاء كافة.

ثم إن عقيدة الثالوث عقيدة غريبة حقا، هل سمع أحد مرة أن يكون الثلاثة واحدا والواحدُ ثلاثة دائما وبوجه كامل؟ أي أن يكون الواحد إلها كاملا والثلاثة أيضا إلــــهًا كاملا؟ المسيحية ديانة غريبة فعلا إذ فيها خطأ في كل أمر وزَلة في كل خطوة. وعلى الرغم من كل تلك الظلمات قد خُتم فيها على الوحي والإلهام في المستقبل. لذا لا يمكن الحكم في أخطاء الأناجيل بوحي جديد بحسب اعتقاد المسيحيين، لأن الوحي في المستقبل مستحيل بل انقطع في غابر الأزمان بحسب اعتقادهم. والآن المدارُ كله على رأيهم الذي ليس بريئا من الجهل والظلمة. إن أناجيلهم مجموعة أمور سخيفة لا يمكن إحصاؤها؛ مثل تأليه إنسان ضعيف وجواز صلبه من أجل ذنوب الآخرين وإدخاله جهنم ثلاثةَ أيام. ثم تأليهه من جانب وعزو الضعف وعادة الكذب إليه من جانب ثانٍ. توجد في الأناجيل كلمات كثيرة تثبت كذب المسيح والعياذ بالله. فمثلا وعد لصا بأنك ستفطر اليوم معي في الفردوس ولكن المسيح دخل جهنم في اليوم نفسه على النقيض من وعده وبقي فيها ثلاثة أيام. كذلك ورد في الأناجيل أن الشيطان ذهب بالمسيح إلى هنا وهناك ليبتليه ويجرِّبه. ولكن اللافت في الموضوع أنه لم

ينج من ابتلاء الشيطان مع كونه إلـــها بل تجاسر الشيطان ليبتلي الإله. الفلسفة الإنجيلية هذه غريبة حقا ومختلفة عن العالم كله. إذا كان الشيطان جاء إلى المسيح فعلا فكان لدى المسيح فرصة سانحة لِيُريه اليهودَ عيانا لأنهم كانوا ينكرون نبوته ﷺ بشدة، لأنه قد وردت في سِفر النبي ملاخي علامة النبي الصادق أن النبي إلياس[١] سيعود إلى الدنيا قبله. ولما لم يأت النبي إلياس إلى الدنيا ثانية لذا يعُدّ اليهودُ عيسى ﷺ مفتريا ومكّارا إلى يومنا هذا. وهذه حجة قوية في أيدي اليهود لا يطيق المسيحيون جوابا عليها. إن مجيء الشيطان إلى المسيح ليس إلا زعم المجانين بحسب رأي اليهود لأن المجانين هم الذين يرون الرؤى من هذا القبيل عادة. وهذا المرض ضربٌ من الكابوس.

وفي هذا المقام أوَّلَ باحث إنجليزي أن المراد من مجيء الشيطان هو أن المسيح تلقّى إلهاما من الشيطان ثلاث مرات ولكن المسيح لم يتأثر بها. ومن جملة الإلهامات الشيطانية أن ألقى الشيطان في روع المسيح أن يهجر اللهَ تعالى ويتبع الشيطان فقط. ولكن اللافت في الموضوع أن الشيطان سيطر على ابن الله وأماله إلى الدنيا مع أنه يُدعى ابن الله، ثم مات أيضا على عكس مقتضى الألوهية. هل الإله يموت أيضا؟ إذا مات الإنسانُ فقط فلماذا الادّعاء بأن ابن الله ضحّى بحياته من أجل الناس؟ ومع كونه إلها لم يعرف عن يوم القيامة شيئا، كما جاء إقرار المسيح نفسه في الإنجيل بهذا الشأن أنه لا يعرف متى ستقوم القيامة مع كونه ابن الله. أيّ سخف القول بأنه كان يجهل علم القيامة مع أنه

---

[١] كان اليهود في ذلك الزمن ينتظرون عودة النبي إلياس إلى الدنيا ونزوله من السماء كما ينتظر المشايخ السذج في عصرنا الحالي نزولَ عيسى ﷺ من السماء. ولكن عيسى ﷺ اضطر ليؤوِّل نبوءة النبي ملاخي هذه، لذلك لا يصدّقه اليهود إلى الآن لأن إلياس لم ينـــزل من السماء، ووصل اليهود إلى جهنم نتيجة هذا المعتقد، ويعتنق المسلمون الآن المعتقد الخاطئ نفسه. هذا تقليد لليهود تماما، ولكنه أدى إلى تحقق إحدى نبوءات النبي ﷺ على أية حال. منه.

يسمَّى إلـــها! بل عندما مشى إلى شجرة التين لم يعرف أنها لا تحمل ثمراً، دع عنك علم القيامة.

أعود الآن إلى صلب الموضوع وأقول بالإيجاز بأنه إذا جاء وحي الله مطابقا لقصة قديمة أو كتاب سابق، أو لم يطابقهما تماما، أو إذا افترضنا جدلا أن تلك القصة أو الكتاب قصةٌ أو كتاب خيالي في نظر الناس، فهذا لا يبرر الهجوم على وحي الله. الكتب التي يسمّيها المسيحيون كتب التاريخ أو وحيا سماويا فهي كلها بلا أصل ولا يقوم عليها دليل. ولا كتاب من كتبهم يخلو من رجس الشكوك والشبهات. الكتب التي يعُدّونها زائفة أو خيالية يمكن ألا تكون كذلك، والكتب التي يحسبونها صحيحة قد تكون زائفة. إن كتاب الله ليس بحاجة إلى موافقة كتبهم أو معارضتها. ليس معيار كتاب الله الصادق أن ينظر المرء إلى موافقة كتبٍ مثل كتبهم أو معارضتها. إن عدَّ المسيحيين أيّ كتاب زائفا ليس بالأمر الذي ثبت بالتحقيقات القانونية، كما لا يُبنى عدّهم كتاباً صحيحا على مبدأ ثابت، بل ليس ذلك إلا تخريصا منهم وأفكارا بحتة. لذا فإن أفكارهم الواهية هذه لا يمكن أن تكون معيارا لكتاب الله، بل المعيار هو أن يرى المرء هل يُثبت ذلك الكتابُ كونه من الله تعالى بحسب سننه[١] الجارية في النواميس الطبيعية وبالمعجزات القوية أم لا؟ لقد ظهرت على يد سيدنا ومولانا النبي ﷺ أكثر من ثلاثة آلاف معجزة، أما النبوءات فلا تُعَدّ ولا تحصى، ولكننا لسنا بحاجة إلى أن نقدم المعجزات السابقة بل من معجزاته ﷺ العظيمة أن وحي جميع الأنبياء الآخرين قد انقطع، واندثرت معجزاتهم وصارت أممهم صفر

[١] القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد في العالم الذي أثبت وجودَ الله وصفاته بحسب قانون الطبيعة، وهو الملحوظ في العالم المبني على فعله تعالى، والمنقوش في فطرة الإنسان وضميره. أما إله المسيحيين فمحبوس في أوراق الإنجيل فقط. والذي لم يبلغه الإنجيل فهو يجهل ذلك الإله. ولكن الإله الذي يقدِّمه القرآن الكريم لا يمكن أن يجهله أحد من أهل الفطنة. لذا فالإله الحق هو ذلك الذي قدّمه القرآن الكريم وتشهد له فطرة الإنسان والنواميس الطبيعية. منه.

اليدين وخاوية الوفاض و لم تبق في أيديهم إلا القصص. أما وحي النبي ﷺ فلم ينقطع و لم تنقطع معجزاته، بل تتجلّى دائما بواسطة الكمّل من الأمة الذين ينالون شرف اتباعه ﷺ. لذلك فإن الإسلام هو دين حيٌّ وإلــــهه إله حيٌّ. فهذا العبد الضعيف لله تعالى جاهز لتقديم هذه الشهادة في العصر الراهن أيضا. وقد ظهرت على يدي إلى الآن آلاف الآيات التي تصدِّق رسول الله وكتابه سبحانه وتعالى. وأتشرف بمكالمة الله تعالى المقدسة كل يوم تقريبا. انتبهوا الآن وفكروا جيدا أنه ما دامت آلاف الأديان في العالم تُنسب إلى الله تعالى فما السبيل إلى الإثبات أنها من عند الله في الحقيقة؟ لا بد أن يكون هناك ما يميّز الدين الحق عن غيره. وإلا فإن مجرد ادّعاء المعقولية لا يمكن أن يكون دليلا على كون دين من عند الله، لأن الإنسان أيضا يستطيع أن يأتي بكلام معقول. والإله الذي يتولد بأدلة يخترعها الإنسان فقط ليس بإلــــه في الحقيقة، بل الإله الحق هو ذلك الذي يُثبت وجودَه بآيات قوية. الدين الذي يكون من عند الله يجب أن ترافقه لإثبات ذلك آيات من الله وخاتَمه سبحانه وتعالى حتى يُعلَم أنه صادر عن يد الله فقط. فهذا الدين هو الإسلام. الإله الذي هو خفي ومستور تماما يُعرف وجوده بواسطة هذا الدين وحده. فهو لا يتجلى إلا على أتباع هذا الدين الحقيقيين. إن يد الله تكون فوق الدين الصادق، وبواسطته يُثبت الله تعالى بأنه موجود فعلا. والأديان التي بُني أساسها على القصص البحتة ليست أقل من الوثنية ولا توجد فيها روح الصدق. إذا كان الله حيّا الآن أيضا كما كان من قبل، وإذا كان يتكلم ويسمع كما كان يتكلم ويسمع من قبل، فلا يوجد سبب لأن يلزم الصمت في هذا العصر وكأنه ليس موجودا. وإذا كان لا يتكلم في هذا العصر فلا شك أنه لا يسمع أيضا؛ فكأنه لم يعد شيئا الآن. فالدين الحق هو الذي يُثبت كلام الله وسماعه في العصر الراهن أيضا.

ففي الدين الحق يُثبت الله تعالى وجوده بنفسه من خلال مكالمته ومخاطبته. إن معرفة الله صعبة جدا وليس بوسع حكماء الدنيا وفلاسفتها أن يصلوا إلى معرفة الله تعالى؛ لأن كلّ ما يثبت بالإمعان في الأرض والسماء هو أنه يجب أن يكون

لهذا التركيب المحكم والأبلغ صانعٌ، ولا يثبت أن هذا الصانع موجود في الحقيقة. والفرق بين "يجب أن يكون" و"موجود فعلا" واضح. فالمخبِر بوجوده في الحقيقة هو القرآن الكريم وحده الذي لا يؤكد على معرفة الله فقط بل يُريه أيضا. وليس تحت أديم السماء كتاب بوسعه أن يُطلِع على ذلك الوجود المستور.

ما هو الهدف من وراء الدين؟ هو ليس إلا أن ينال المرء إيمانا بوجود الله وصفاته الكاملة على وجه اليقين ويتخلص من الأهواء النفسانية ويتولد فيه حبٌّ ذاتي لله تعالى، لأن تلك هي الجنة التي ستتجلى في عالم الآخرة بأساليب مختلفة. وعدمُ معرفة الله الحق والبُعدُ عنه وعدم حبِّه حبّا صادقا هو الجحيم الحقيقي الذي سيظهر في عالم الآخرة بأساليب مختلفة. والغاية المتوخاة في هذا السبيل هي أن يتسنى للمرء اليقين الكامل بوجود الله تعالى ثم الحب الكامل.

والآن يجب التأمل: بواسطة أيّ دين أو أي كتاب يمكن أن تتحقق هذه الغاية؟ يقول الإنجيل بكل صراحة بأن باب المكالمة والمخاطبة موصد تماما، وسبل اليقين مسدودة. قد حدث ما حدث ولن يحدث ذلك في المستقبل. ولكن ما يثير الاستغراب هو أن الإله الذي يسمع في هذا العصر أيضا كيف عجز الآن عن الكلام؟ هل يمكننا أن نطمئن باعتقاد أنه ﷻ كان يتكلم ويسمع في أزمنة سحيقة ولكنه الآن يسمع فقط ولا يتكلم؟ ما الفائدة من إله تعطلت بعض قواه نتيجة امتداد الدهر كما تتعطل لدى شخص يبلغ من العمر عتيا؟ كذلك ما فائدة الإله الذي لا يستطيع أن يغفر الذنوب لعباده ما لم يعلَّق على خشبة ويُجلَد، وما لم يُبصَق في وجهه، وما لم يُزَجّ به في السجن لبضعة أيام وما لم يعلَّق على الصليب في نهاية المطاف؟ نحن براءٌ بشدة من إله غلبه قوم اليهود الأذلاء الذين كانوا قد فقدوا حكومتهم أيضا. نحن نؤمن بصدق إله بعث شخصا فقيرا عديم الحيلة من مكة نبيا وأرى العالَـــم كله تجلي قدرته وغلبته في ذلك الزمن لدرجة أنه حين أرسل كسرى الفرس جنوده للقبض على

نبينا الأكرم ﷺ أمر ذلك الإلهُ القادرُ رسولَه أن يقول لهم: إن ربّي قد قتل ربَّكم الليلة.

الآن، يجب التدبر كيف أن شخصا يدّعي الألوهية، وتكون النتيجة النهائية أن يقبض عليه جندي من جنود حكومة الروم ويضعه في السجن في غضون ساعة أو ساعتين، ولا تُجاب أدعيته أيضا التي دعاها طول الليل. ومن جانب آخر هناك شخص يدّعي النبوة فقط ويهلك الله تعالى ملوكا يتصدون له. إن المثل القائل: "كن صديق الغالب لتكون غالبا" مفيد جدا للباحث عن الحق. ماذا نفعل بالدين الميت؟ ماذا نستطيع أن نستفيد من كتاب ميِّت؟ ما الذي يمكن أن يفيدنا إله ميِّت؟

أقسم بالله الذي نفسي بيده أنني مشرَّف بمكالمة ربي القدوس القطعية واليقينية، وأتشرف بها كل يوم تقريبا. الإله الذي قال له يسوع: "لِما شبقتني؟" أرى أنه لم يتركني. لقد شُنَّت عليّ أيضا صولات كثيرة كما شُنَّت على المسيح عليه السلام ولكن خاب أعدائي في كل هجوم. لقد نُسجت المكايد لشنقي أيضا ولكن لم أُعلَّق على الصليب على غرار المسيح، بل أنقذني ربي عند كل بلاء. وأظهر لي معجزات عظيمة وأرى أياديَ قوية وأثبت لي بواسطة آلاف الآيات أن الله هو الإله الذي أنزل القرآن الكريم وبعث النبي ﷺ. لا أرى أن عيسى المسيح عليه السلام يفوقني في هذه الأمور بشيء قط؛ بمعنى أنه كما نزل كلام الله عليه كذلك نزل عليّ، وكما تُنسَب المعجزات إليه كذلك أرى نفسي مصداقا لها بل أكثر منه على وجه اليقين. وقد نلتُ هذا الشرف كله ببركة اتّباع ذلك النبي الذي لا تعرف الدنيا مدارجه ومراتبه، أي سيدنا محمد المصطفى ﷺ. ما أشنع الظلم أن يقول الجهال والأغبياء من الناس أن عيسى عليه السلام حيٌّ في السماء مع أنني أرى علامات الحياة في سيدنا رسول الله ﷺ!

الإله الذي لا تعرفه الدنيا قد رأيناه بواسطة نبيه، وإن باب الوحي الإلهي الذي هو مسدود على الأمم الأخرى قد فُتح علينا ببركة هذا النبي فقط. والمعجزات التي تسردها الأمم الأخرى كالقصص والحكايات فقط، رأيناها بأم

أعيننا بواسطة هذا النبي. وقد اطلعنا على مرتبة هذا النبي التي ليست فوقها أية مرتبة. ولكن من الغريب أن الدنيا غافلة عنه. يقولون لي: لماذا ادّعيتَ أنك المسيح الموعود؟ ولكني أقول صدقا وحقا بأنه يمكن للمرء أن يفوق أيضا عيسى عليه السلام نتيجة الاتّباع الكامل لهذا النبي. يقول العمهون بأن هذا كفرٌ. ولكني أقول: ما دمتم أنتم محرومون من الإيمان، فما أدراكم ما الكفر؟ الكفر فيكم. لو علمتم معنى الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لما تفوَّهتم بهذا الكفر. إن الله تعالى يرغِّبكم في أنكم تستطيعون ببركة الاتباع الكامل لهذا النبي ﷺ أن تجمعوا في نفوسكم كمالات جميع الأنبياء المتفرقة، وأنتم تحسبون نيل كمالات نبي واحد فقط كفرا!!

فعليكم أن تفكّروا جيدا كيف يمكن معرفة الدين الحق الذي هو من الله. فاعلموا أن الدين الحق هو ذلك الذي بواسطته يمكن الحصول على معرفة الله. وفي الأديان الأخرى تقدَّم مساعٍ إنسانية فقط كأنها منة الإنسان على الله تعالى أنه أخبر بوجوده ﷻ. أما في الإسلام فيكشف اللهُ تعالى وجودَه بنفسه في كل عصر بصوته القائل: **أنا الموجود**، كما ظهر عليّ في هذا العصر أيضا. إذًا، آلاف السلامات والبركات على هذا الرسول ﷺ الذي بواسطته عرفنا الله تعالى.

وفي الأخير أقول مرة أخرى بأسف شديد بأن قولك بأنك تأثّرت سلبيا بالقول إن مريم كانت أُخْتَ هَارُونَ، يبين قلة علمك بشدة في رأيي. لقد كتب حول هذا الاعتراض السخيف العلماء القدامى أيضا بكثرة. ولكن ما وجه استغرابك إذا عدّ الله تعالى مريم أختَ هارون على سبيل الاستعارة أو لسبب آخر؟ بينما قال القرآن الكريم مرارا وتكرارا بأن النبي هارون كان في زمن موسى، ومريم هذه كانت أم عيسى عليه السلام التي وُلدت بعد هارون بـــ ١٤٠٠ سنة. فهل يثبت من ذلك أن الله تعالى يجهل هذه الأحداث، وأخطأ، والعياذ بالله، في بيانه بأن مريم أختَ هارون؟ ما أخبث هؤلاء القوم الذين يفرحون بإثارة اعتراضات بذيئة. من الممكن أن يكون لمريم أخٌ اسمه هارون. إن عدم

العلم لا يستلزم عدم وجود الشيء. ولكنهم لا يحاسبون أنفسهم ولا يرون كم هو الإنجيل عرضة للاعتراضات. انظروا كم هو كبير الاعتراض أن مريم نُذرت للهيكل لتخدم بيت المقدس للأبد ولا تتزوج طول العمر، ولكن عندما لوحظ لديها حملُ ستةِ أو سبعة أشهر أنكحها كبار القوم من نجار اسمه يوسف وهي حامل، وبعد شهر أو شهرين من وصولها إلى بيته أنجبت صبيا وسمِّي عيسى أو يسوع.

الاعتراض هنا هو أنه إذا كان ذلك الحمل على سبيل المعجزة فلماذا لم يتم الانتظار إلى الإنجاب؟

والاعتراض الثاني هو أن العهد كان أن تخدم مريمُ الهيكلَ طوال العمر، فلماذا فُصلت عن خدمة بيت المقدس خلافا للعهد وزوِّجت من يوسف النجار؟

والاعتراض الثالث هو أنه كان حراما وغير مسموح تماما بحسب التوراة أن تُنكَح المرأة أثناء حملها، فلماذا إذًا عُقد قِرانها مع يوسف في حالة الحمل خلافا لتعليم التوراة؟ مع أن يوسف كان مستاء من هذا النكاح وكانت زوجته الأولى موجودة. الذين ينكرون التعدد لعلهم ليسوا مطلعين على زواج يوسف الأول.

باختصار، هنا يحق للمعترض أن يظن أن السبب وراء هذا النكاح عائد إلى أن كبار القوم شكّوا في أن مريم حملت حملا غير شرعي. مع أننا نعتقد بحسب تعليم القرآن الكريم أن الحمل كان بقدرة الله فقط ليعطي اللهُ اليهود علامة القيامة. وما دامت آلاف الحشرات تتولد في موسم الأمطار تلقائيا، وكان آدم عليه السلام أيضا بدون أب وأمّ فإن ولادة عيسى بهذه الطريقة لا تُثبت أفضليته. بل الولادة بغير أب تدل على الحرمان من بعض القوى.

فلباب الكلام، إن نكاح مريم كان بسبب الشك والريبة، وإلا فأية حاجة اقتضت إلى تزويج المرأة التي نُذرت لخدمة بيت المقدس؟ من المؤسف حقا أن هذا النكاح قد أسفر عن فتن جمة، منها أنّ اليهود الأشقياء أشاعوا شبهات حول علاقات غير شرعية. إذًا، إذا كان هناك اعتراض يقتضي حلا فهو هذا، وليس عدُّ هارون أخَ مريم. ولم ترد في القرآن الكريم كلمة تفيد أن مريم كانت

أخت هارون النبي. قد ورد هناك اسم هارون فقط دون ذكر لفظ "نبي". من المعلوم أنه كانت عند اليهود عادة أن يستخدموا أسماء الأنبياء تيمُّنا. فمن الأقرب للفهم أن يكون لمريم أخ اسمه هارون، وعدُّ هذا البيان محلا للاعتراض حمق بحتٌ.

أما إذا وُجدت قصة أصحاب الكهف وغيرها في كتب اليهود والنصارى القديمة، وإذا افترضنا جدلا أنهم كانوا يحسبونها قصصا خيالية أيضا فما الضرر في ذلك؟ فلتعلم أن كتبهم الدينية والتاريخية حتى كتبهم السماوية أيضا مستورة في حُجُب الظلام. ولا تعلم بمدى المأتم الجاري في أوروبا في هذه الأيام حول هذه الكتب، وأن الطبائع السليمة تتوجه إلى الإسلام من تلقائها، وتؤلَّف كتب كثيرة في تأييد الإسلام. فهناك عديد من الإنجليز في أميركا وبلاد أخرى قد انضموا إلى جماعتنا. إلامَ يُخفى الكذب؟

والجدير بالتأمل أيضا: لماذا احتاج الوحي الإلهي للاقتباس من تلك الكتب أصلا؟ اعلموا يقينا أن هؤلاء الناس عميانٌ وكتبهم أيضا عمياء كلها. من الغريب حقا أنه ما دام القرآن الكريم قد نزل في جزيرة كان الناس فيها يجهلون كتب اليهود والنصارى بوجه عام، أما النبي ﷺ فكان أميًّا؛ فإن توجيه الاتهام إذًا للنبي ﷺ في هذه الحالة ليس إلا فعل الذين لا يخافون الله أدنى خوف. إذا أمكن توجيه مثل هذه الاعتراضات إلى النبي ﷺ فكم من اعتراضات ستُوجَّه إلى عيسى الذي تعلّم التوراة على يد عالم إسرائيلي درسا درسا، وقرأ كتب اليهود كلها مثل التلمود وغيره؟ والذي نجد أن إنجيله مليء في الحقيقة بعبارات مستقاةٍ من التوراة والتلمود، حتى إننا لنؤمن به بناء على أمر من القرآن فقط، وإلا فهناك شبهات كثيرة تنشأ عن الأناجيل.

وللأسف الشديد ليس في الأناجيل ولو شيء واحد ليس موجودا بلفظه في الكتب السابقة. ثم إذا جمع القرآنُ الكريم حقائق الكتاب المقدس المتفرقة في مكان واحد فأي استبعاد عقلي في ذلك، وأية مصيبة حلت بسبب ذلك؟ فهل محال عندكم أن تكون قصص القرآن كلها مستقاة من الوحي ما دام ثابتا بأدلة

قاطعة أن النبي ﷺ كان يتلقى وحيا من الله تعالى؟ وما دامت أنوار نبوته الحقة وبركاته لا تزال تظهر إلى الآن، فلماذا يُفسح مجال لتتطرق إلى القلب وساوس شيطانية بأن قصة من قصص القرآن نُقلت من كتاب أو لوح سابق، والعياذ بالله؟ أتشك في وجود الله تعالى أم لا تحسبه قادرا على علم الغيب؟ لقد قلتُ قبل قليل بأن عدَّ اليهود والنصارى كتابا ما أصليا أو خياليا قول لا أصل له إذ لم يطّلع أحد على حقيقة الأصل ولم يلقِ أحد القبض على مزيِّف ومخادِع. وعندنا شهادات الباحثين الأوروبيين أنفسهم بهذا الصدد. إنهم قوم عُمي لم يبق فيهم نور الإيمان. أما المسيحيون الذين درسوا الفلسفة والعلوم الطبيعية وأضاعوها فإن حالتهم تبعث على الأسف الشديد. فمن ناحية، ينكرون وجود السماء، ومن ناحية أخرى يُصعدون عيسى عليه السلام إلى السماء. والحق أنه إذا كانت كتب اليهود السابقة صادقة فلا تثبت حتى نبوة عيسى عليه السلام بناء عليها. فمثلا كان ضروريا- بحسب سِفر النبي ملاخي- للمسيح الموعود الصادق، الذي ادّعى عيسى عليه السلام أنه هو ذلك المسيح الموعود، أن يعود النبي إلياس قبله إلى الدنيا ولكنه لم يأت إلى الآن. إنها حجة قوية فعلا في يد اليهود لم يستطع النصارى أن يردوا عليها بوضوح. إنها لمنة القرآن الكريم على عيسى عليه السلام إذ أعلن نبوته. أما مسألة الكفارة فقد دحضها عيسى عليه السلام بنفسه حين قال بأن مَثَله كمثل النبي يونس الذي بقي حيا في بطن الحوت لثلاثة أيام. فإذا كان عيسى عليه السلام قد مات على الصليب حقيقة فما وجه مماثلته مع يونس وما وجه مماثلة يونس معه؟ يتبين من هذا المثل بوضوح تام أن عيسى لم يمت على الصليب بل أغمي عليه فقط مثل يونس. ووصفة "مرهم عيسى" المذكورة في كتب الطب كلِّها تقريبا مكتوب في عنوانها أنها أُعدَّت لعيسى عليه السلام، أي لمعالجة الجروح التي أصابته على الصليب. وهذا القدر يكفي للمتفهمين.

خاتمة الكتيب
في بيان النجاة الحقيقية

أرى مناسبا أن أقول شيئا عن النجاة الحقيقية في نهاية هذا الكتيب، لأن هدف أهل الأديان من اتّباع كلّ دين وغايتهم المتوخاة هي الحصول على النجاة. ولكن من المؤسف حقا أن معظم الناس يجهلون معنى النجاة الحقيقي. إن معنى النجاة عند المسيحيين هو الخلاص من عقوبة الذنب. ولكن ليس هذا معنى النجاة في الحقيقة، إذ من الممكن أن شخصا لا يزني ولا يسرق ولا يُدلي بشهادة كاذبة ولا يسفك الدماء ولا يرتكب ذنبا آخر بحسب علمه، ومع كل ذلك، يكون محروما من النجاة، لأن المراد من النجاة هو السعادة الدائمة التي أُودعت فطرةُ الإنسان جوعًا وعطشًا لها، وهي لا تُنال إلا بعد حبّ الله ذاتيًا ومعرفته الكاملة والعلاقة المتينة معه، ولكن بشرط أن يتدفق الحب من كِلا الجانبينِ. ولكن في بعض الأحيان يتحرى الإنسان سعادته هذه، خطأً منه، في أشياء تزيد في معاناته وعدم سعادته في نهاية المطاف. فكثير من الناس يتحرَّون سعادتهم في ملذات النفس فيشربون الخمر ليل نهار ويشبعون أهواءهم النفسانية ويصابون بأمراض فتاكة مختلفة، وفي نهاية المطاف يرحلون من هذه الدنيا بالإصابة بالسكتة أو الفالج أو الرعشة أو الكزاز أو الخرّاجات في الأمعاء أو الكبد أو بالإصابة بأمراض مخجلة مثل الزهري وما شابهه. وبسبب ذلك تتحلل قواهم قبل الأوان فيُحرَمون من بلوغهم العمر الطبيعي. وفي الأخير يدركون أن الأشياء التي اعتبروها سببا لراحتهم كانت في الحقيقة سببا لهلاكهم. وبعض الناس يرون سعادتهم في الازدياد في العزة والشهرة الدنيوية وفي نيل المراتب والمناصب، ويجهلون الهدف الحقيقي من حياتهم، ولكنهم أيضا يموتون في آخر الأمر بالحسرة الشديدة. والبعض يجمعون أموال الدنيا للهدف نفسه ظانين أنها

ربما تؤدي بهم إلى السعادة، ولكن تكون عاقبتهم أنهم يشربون كأس الممات بكل مرارة وألم ومعاناة تاركين وراءهم كل ما ادّخروه.

فالسؤال الجدير بالتأمل للباحث عن الحق هو: كيف يمكن نيل السعادة الحقيقية التي تنتج عنها راحة وسعادة دائمة؟ والحق أن علامة الدين الحق أن يوصل إلى تلك السعادة المتوخاة. فبواسطة هدي القرآن الكريم نتوصل إلى نكتة دقيقة وهي أن السعادة الأبدية تكمن في معرفة الله الحقة، والحب الكامل والمقدس والذاتي لله الواحد الأحد، وفي الإيمان الكامل الذي من شأنه أن يخلق في القلب لوعة العشق. إن هذه الكلمات الوجيزة قليلة على اللسان ولكن بيان كيفيتها طويل جدا بحيث لا يسعه دفتر كامل.

فليكن معلوما أنه لمعرفة الله جلّ شأنه علامات كثيرة، من جملتها ألا توصَم قدرته وتوحيده وعلمه وميزاته وصفاته بوصمة أي عيب أو نقص، لأنه إذا كان الذي يحكم كل ذرة ويتصرف في أفواج الأرواح وهيكلية الأرض والسماء ناقصا في قدراته وحِكمه وقواه، فلا يمكن أن يسري نظام هذا العالم المادي والروحاني.

وإذا اعتنق المرء اعتقادا، والعياذ بالله، أن الذرات وكافة قواها وكذلك الأرواح وكل قواها جاءت إلى حيز الوجود من تلقائها، فلا بد من الاعتقاد أيضا بأن علم الله وتوحيده وقدرته كلها ناقصة. والسبب هو أنه إن لم تُخلق الأرواح والذرات كلها بيد الله، فلا سبب لنا لليقين أنه ﷻ مطّلع على أحوالها الباطنية. وما لم يكن هناك دليل على علمه هذا بل وُجد الدليل على عكس ذلك، لكان ضروريا أن الله أيضا يجهل مثلنا كنه هذه الأشياء، وعلمه لا يحيط بأسرارها الخفية. من المعلوم أنه عندما نصنَع دواء ما بيدنا أو يُصنَع شراب أو تُصنع حبات دوائية أو عصير لتركيب بعض الأدوية الأخرى أمام أعيننا، فبما أننا قد صنعنا تلك الوصفة بأيدينا، نكون على علم جيدٍ بالأدوية ونعرف جيدا أنه دواء كذا وكذا وقد صُنع بوزن كذا لهدف كذا وكذا. ولكن إذا كانت حبات دوائية أو عصير أو شراب دوائي مجهول الكنه ولم نصنعه نحن ولا

نستطيع أن نفصل أجزاءه، فسنجهل تماما ماهية تلك الأدوية. ومن البديهي تماما أنه لو آمنا بأن الله هو خالق الذرات والأرواح فلا بد من الإيمان إلى جانب ذلك بأنه يعلم حتما القوى الكامنة في الذرات والأرواح كلها وقدراتها. والدليل على ذلك أنه ﷻ هو خالق هذه القوى والقدرات، والخالق لا يجهل خَلقه. ولكن إذا لم يكن الله خالق هذه القوى والقدرات فلا يمكن أن يقوم برهان على أنه يعلم كافة تلك القوى والقدرات. وإن قلتم ذلك بغير دليل أن الله تعالى يعلم بها فليس ذلك إلا تعنُّت وادعاء محضٌ. ولكن كما نملك دليلا على أن الصانع يعلم حتما بما صنعه، ولكن أي دليل تملكه مقابل ذلك على أن الله تعالى يعلم كافة القوى والقدرات الكامنة في الأشياء التي لم يخلقها بيده؟ فتلك الأشياء ليست عين وجود الله حتى يكون مطّلعا عليها كاطلاع المرء على وجود نفسه، بل كل تلك الأشياء - بحسب معتقد الآريين- آلهة نفسها وهي قديمة وأزلية بذاتها، ولأنها غير مخلوقة وأزلية لذا لا علاقة لها بالإله قط، بحيث لو افترضنا موت الإله أيضا لما تضررت بذلك شيئا، لأنه ما دام الإله ليس خالق هذه الأشياء فهي ليست محتاجة إليه من أجل بقائها أيضا كما لم تكن محتاجة في خلقها.

إن لله تعالى اسمين اثنين، الحيّ والقيوم. ومعنى الحيّ أنه حيٌّ بذاته ويهب الحياة للآخرين أيضا. والقيوم معناه: قائم بذاته، وبسنده يقيم الأشياء الأخرى التي خلقها.

فالأشياء التي استفادت من قبل من اسم الله "الحيّ" هي التي يمكن أن تستفيد من اسمه "القيوم" لأن الله تعالى يقيم بسنده الأشياء التي خلقها وليس التي ما مسَّتها يدُه. فمن يؤمن بالله حيًّا أي خالقا هو الذي يحق له أن يؤمن به قيوما أيضا، أي الذي يقيم بسنده ما خلقه. ولكن الذي لا يؤمن بالله حيًّا، أي خالقا، لا يحق له أن يعتقد بأنه ﷻ يساندها لبقائها، لأن معنى المساندة هو أنه لولا هذا السند لانقرضت هذه الأشياء كلها. والمعلوم أن الأشياء التي ما أتت

إلى حيز الوجود بيده ﷻ ليست بحاجة إليه لبقائها أيضا. وإذا كانت محتاجة إليه من أجل بقاء وجودها فهي محتاجة إليه من أجل خلقه ذلك الوجود أيضا.

فالحاصل أن هذين الاسمين لله تعالى، أي الحي والقيوم مرتبطان ببعضهما من حيث تأثيراتهما ولا ينفصلان بحال من الأحوال. فالذين يعتقدون أن الله تعالى ليس خالق الأرواح والذرات لو استخدموا العقل والفهم لاضطروا للاعتراف بأنه تعالى ليس قيوما لها أيضا. أي لا أقول بأن الذرات أو الأرواح خُلقت بسند من الله، بل الأشياء التي خلقها الله ﷻ هي التي تحتاج إلى سنده. فكيف إذًا ستحتاج إلى سنده الأشياء الأخرى التي ليست بحاجة إلى سنده من أجل وجودها؟ إنه ادّعاء بدون دليل.

وقد كتبتُ قبل قليل بأنه إذا اعتُرف بكون الذرات والأرواح أزلية وجاءت إلى حيز الوجود من تلقائها فلا يقوم دليل على أن الله يعلم خواصها الخافية وقواها وقدراتها الدقيقة. أما القول بأنه ما دام الله تعالى إلهها لذلك هو مطّلع على خواصها وقدراتها الخفية فهذا ادّعاء بحت ما أقيم عليه دليل وما قدِّم برهانٌ وما أُثبتت علاقة العبودية والألوهية، بل هو ليس إلهها أصلا. فالذي ليس لديه أدنى علاقة مع الذرات والأرواح كخالق لها، فما معنى كونه إلـــها لها؟ وبأي معنى يمكن القول بأنه إله الذرات والأرواح؟ ولأي سبب تجوز هذه الإضافة والقول بأنه إله الذرات والأرواح؟ لأن الإضافة تكون إما إضافة الـــمِلكية كما نقول: عبدُ زيدٍ، فيجب أن تكون هناك أسبابٌ لكونه مملوكا له. ولكن لا يوجد سببٌ لأن تكون الأشياء المستقلة التي لها قدرات وقوى من تلقائها مِلكا للإله. كذلك تكون الإضافة بناء على علاقة قرابة كقولنا: ابنُ زيدٍ. ولكن لما لم تكن للأرواح والذرات مع الإله علاقة العبودية أو الربوبية فلا تجوز هذه الإضافة أيضا. وفي هذه الحالة يصح القول تماما بأن وجود الإله لا يفيد تلك الأرواحَ التي لا علاقة لها به أصلا ولا يضرها عدم وجوده. بل تصبح في هذه الحالة النجاة التي يسميها الآريون "مُكْتي"- في مصطلحهم- مستحيلة تماما، لأن مدار النجاة هو على حب الله الذاتي. والمراد من الحب الذاتي هو ذلك

الحب الذي خلقه الله تعالى في فطرة الأرواح. فما دام الإله لم يخلقها أصلا فكيف يمكن أن يكون لها حبٌ فطري تجاه الإله؟ ومتى أدخل الإله هذا الحب بيده في فطرتها؟ هذا مستحيل، لأن المراد من الحب الفطري هو الحب الذي يلازم الفطرة دائما ولا يلحقها فيما بعد، كما يشير الله تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[١]، أي سألتُ الأرواح: ألستُ أنا خالقكم؟ قالوا: بلى. المراد من هذه الآية هو أن هذه الشهادة موجودة في فطرة روح الإنسان بأن الله تعالى هو خالقها. فالروح تحب خالقها بطبيعتها وفطرتها لأنها خَلْقه. وقد أشير إلى الأمر نفسه في آية أخرى كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢]. أي أن عطش الروحِ من أجل الله الواحد الذي لا شريك له، وعدم نيلها السعادة الحقيقية بأيّ شيء دون وصاله عز وجل إنما هو من فطرة الإنسان، أي قد وضع الله تعالى في روح الإنسان أمنية أنها لا تطمئن ولا تهدأ إلا بوصال الله تعالى. إذا كانت هذه الأمنية موجودة في روح الإنسان فلا بد من الاعتراف بأن الله تعالى هو خالقها الذي أودعها هذه الأمنية، ولكن هذه الأمنية موجودة في الروح أصلا. فثبت من ذلك أن الله هو الذي خلق روح الإنسان في الحقيقة. ومن الواضح تماما أنه كلما كانت العلاقة الذاتية بين الشيئينِ متينة، تقوّى الحب بينهما بسبب هذه العلاقة، فكما تحب الأم ولدها كذلك يحب الولد أمَّه لأنه وُلد من دمها وتربّى في رحمها. فإن لم تكن للأرواح علاقة الخلق مع الله تعالى وكانت أزلية وجاءت من تلقائها فلا يُعقل أن يكون حب الله تعالى في فطرتها. ولولا حب الإله في فطرتها لما حازت النجاة بأية طريقة.

الحقيقة المتحققة والينبوع الحقيقي للنجاة هو الحب الذاتي الذي يؤدي إلى وصال الله تعالى. والسبب في ذلك أن المحب لا يستطيع أن يبقى منفصلا عن

---

[١] الأعراف: ١٧٣

[٢] الروم: ٣١

حبيبه. ولما كان الله تعالى نورا بنفسه فإن حبه يؤدي إلى نشوء نور النجاة. والحب الموجود في فطرة الإنسان يجذب حب الله تعالى. وبذلك يبعث حب الله حماسا ذاتيا خارقا للعادة في حب الإنسان لله، وبالتقاء هذين الحبين تنشأ حالة الفناء أولا ثم يتولد نور البقاء بالله. أما القول بأن التقاء الحبين يؤدي إلى نتيجة حتمية أن تكون عاقبة مثل هذا الشخص هي الفناء في الله ويصبح هذا الوجود (وهو حجاب) كالرماد، وتفنى الروح في حبّ الله تعالى كليا؛ فمَثَله كمثل صاعقة عندما تنـــزل من السماء على الإنسان تخرج نار الإنسان الداخلية للعيان دفعة واحدة بجذب النار السماوية فتكون نتيجتها فناء الجسد. إذًا، فعلى غرار ذلك يقتضي الموت الروحاني أيضا نارا من نوعين: نارٌ سماوية ونارٌ داخلية. وبالتقائهما ينشأ الفناء الذي لا يتم السلوك بغيره. وعلى هذا الفناء ينتهي سلوك السالكين، وهو النقطة الأخيرة لمجاهدات الإنسان. وبعد هذا الفناء ينال الإنسان مرتبة البقاء فضلا من الله وموهبة منه ﷻ. وهذا ما أشير إليه في الآية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وملخص هذه الآية أن الذي ينال هذه المرتبة ينالها كإنعام من الله، أي بفضله المحض وليس كأجر على عمل[١]. وهذه هي النتيجة الأخيرة لحبّ الله تعالى الذي بسببه تتسنى له الحياة الأبدية وينجو من الموت. الحياة الأبدية ليست من حق أحدٍ سوى الله تعالى، فهو الحي إلى الأبد. فلا ينال هذه الحياة الأبدية من الناس أحد إلا مَن قطع علاقة الحب مع غير الله تماما وينال نصيبا من هذه الحياة الأبدية بصورة ظلية، فانيا في الله تعالى بحبه الذاتي. ولا يجوز أن يقال لمثل هذا الشخص أنه ميت لأنه أُحيِيَ بعد الفناء في الله. والأموات هم الذين ماتوا ببقائهم بعيدين عن الله. فالكفار أشد الكفر

[١] ما دام الإنسان لا يستطيع، بسبب ضعفه البشري، أن يكسب أعمالا يستحق بناء عليها نعِمًا غير محدودة وغير متناهية، وبدون الحصول عليها لا يستطيع أن ينال النجاة الحقيقية والصادقة، فعندما يكمل مجاهداته ويبذل مساعيه كلها بقدر استطاعته، تأخذ رحمة الله بيده بمحض فضله وترحمًا على ضعفه وتعطيه مجانا نعمة وصال الله التي أُعطيها الصادقون من قبل. منه.

والملحدون والمشركون هم أولئك الذين يعتقدون بأزلية جميع الأرواح وبحياتها منذ القِدم دون نيل الحب الذاتي والوصال الإلهي. بل الحق أنه لا حياة لأي شيء سوى الله تعالى فالله وحده اسمه "الحي". ثم تنال أرواح الواصلين الحياةَ الحقيقية في ظله وبالفناء في حبه ولا تُنال الحياة بدون وصاله. لذلك يسمي الله تعالى الكفار في القرآن الكريم أمواتا ويقول عن أهل جهنم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾[1] أي لن يموت لأنه خُلق للتعبد الأبدي فلا بد من بقاء وجوده ولكن في الوقت نفسه لا يمكن أن نقول بأنه حيٌّ، لأن الحياة الحقيقة تُنال بوصال الله. والحياة الحقيقية عين النجاة ولا تُنال دون حب الله ووصاله ﷻ. لو علمت الأمم الأخرى فلسفة الحياة الحقيقية لما ادّعوا قط أن الأرواح جاءت إلى حيّز الوجود من تلقاء نفسها منذ القِدم وهي حائزة على الحياة الحقيقية. الحق أن هذه العلوم سماوية وتتنـــزل من السماء فقط، ولا يعلم حقيقتها إلا الناس السماويون، والدنيا غافلة عنها.

أعود الآن إلى صلب الموضوع وأقول بأن ينبوع النجاة الأبدية هو وصال الله. ولا ينال النجاة إلا من يشرب ماء الحياة من هذا الينبوع. وهذا الوصال لا يتيسر ما لم تتسنّ المعرفة الكاملة والحب الكامل والصدق الكامل والإيمان الكامل. العلامة الأولى لكمال المعرفة هي ألا يُوصَم علم الله الكامل بوصمة قط.

ولقد أثبتُّ قبل قليل بأن الذين يعُدّون الأرواح وذرات الأجسام أزلية وقديمة لا يؤمنون بالله عالما بالغيب بالكامل. لذلك إن الفلاسفة الإغريق الضالين الذين كانوا يعتقدون أن الأرواح أزلية كانوا يعتقدون أيضاً أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات، لأنه ما دامت الأرواح وذرات العالم قديمة وأزلية وجاءت إلى حيز الوجود من تلقائها ولم يخلقها الله تعالى فلا يقوم دليل على أن الله يحيط علمًا بقدراتها وقواها الدقيقة وأسرارها الكامنة. من المعلوم أن العلم الكامل الذي

[1] طه: ٧٥

يمكن لأحد الحصول عليه عن الأسرار الكامنة مع جميع كيفياتها وتفاصيلها بما خلقه المرء بيده، لا يمكن الحصول على مثله بالتمام والكمال عن الأسرار الكامنة للأشياء الأخرى. بل هناك إمكانية الخطأ في العلوم الأخرى. ففي هذا المقام يضطر القائلون بأزلية الأرواح والذرات إلى الاعتراف بأن العلم بالأرواح والذرات هو الذي يليق بالله تعالى؛ أي يجب أن يكون ذلك العلم أيضا كاملا ككمال الله تعالى، ولكنه ليس حاصلا لإلههم بحسب هذا المعتقد (القائل بأزلية الأرواح والذرات). وإذا قال أحد بأن هذا العلم حاصل فعليه تقع مسؤولية أن يُثبته ببرهان بيّن وألا يكتفي بالادعاء فقط. والمعلوم أنه إذا كانت الأرواح أزلية وخالقة لنفسها بنفسها فستكون وكأنها تسكن مستقلة في حارة تحت سيطرتها، ويسكن الإله منفصلا دون أن تكون بينهما أية علاقة. ولا يمكن لهم أن يبينوا السبب الذي جعل الأرواح والذرات كلها تحت تصرف الإله مع كونها أزلية وكونها جاءت إلى الوجود من تلقاء نفسها. هل حدث ذلك بعد حرب أو معركة أو قبلت الأرواح الإذعان تلقائيا نظرا إلى حكمة ما؟

مع أن الإله رحيم وسخيٌّ وعادل حتما بحسب معتقدهم ولكنه مع ذلك لا يرحم ولا يعدل في الحقيقة لأنه لا ينجّي الأرواح الناجية إلى الأبد، وذلك ليستر ضعفه. والسبب في ذلك أنه إذا وهبها نجاة أبدية لاستلزم ذلك أن تتحرر كل الأرواح في وقت من الأوقات بعد مجيئها إلى الدنيا مرة بعد أخرى بعد نيلها النجاة. بينما يود الإله أن تبقى سلسلة الدنيا جارية لتبقى حكومته قائمة، لذا لا يريد أن يهب أيَّ روحٍ نجاة أبدية. بل يوقعها في سلسلة التناسخ المتكرر حتى لو بلغت درجة قديس أو وليّ أو كامل. ولكن هل لنا أن ننسب إلى الله القادر الكريم صفات رذيلة كأنْ يفرح بإيذاء عباده دائما ولا يريد أن يهبهم سعادة دائمة؟ لا يمكن أن يُنسب هذا البُخل إلى الله القدوس. ولكن مع الأسف الشديد يوجد تعليم البخل هذا في كتب المسيحيين أيضا؛ إذ يعتقدون أن الذي لا يؤمن بعيسى إلها سيدخل جهنم أبدية. ولكن الله تعالى لم يعطنا هذا التعليم بل علّم أن الكفار سيواجهون العذاب إلى مدة طويلة ولكنهم سينالون نصيبا

من رحمته في نهاية المطاف، كما جاء في الحديث: يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها.

كذلك هناك آية في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١] أي أن أهل النار سيبقون فيها إلى مدة طويلة ولكن الله سيُخرجهم منها حين يشاء، لأنه قادر على أن يفعل ما يشاء. وهذا التعليم يطابق صفات الله الكاملة، لأن صفاته جلالية وجمالية أيضا. فهو الذي يُجرِّح ثم يُضمد أيضا الجراح بالمرهم[٢].

ومن غير المعقول تماما ويناقض صفات الله ﷻ الكاملة أن تتجلى دائما صفات غضبه فقط بعد إلقاء أهل الجحيم في النار، ولا تتجلى صفة رحمته وعفوه وتبقى صفات لطفه ورحمه معطّلة إلى الأبد. بل يتبين مما قاله الله تعالى في كتابه العزيز أنهم سيبقون في جهنم إلى مدة طويلة أُطلق عليها "الأبد" على سبيل الاستعارة من منطلق ضعف البشر. ثم تتجلى صفة الرحم واللطف ويضع الله تعالى يده في جهنم ويُخرَجون منها بقدر ما يقع منهم في قبضة يده. ففي هذا الحديث إشارة إلى نجاة[٣] الجميع في نهاية المطاف، لأن قبضة يد الله تعالى غير محدودة كمثله ﷻ فلن يبقى أحد خارجها.

وليكن معلوما أنه كما تطلع النجوم تباعا كذلك تماما تتجلى صفات الله تعالى. فتارة يكون الإنسان تحت ظل صفات الله الجلالية واستغنائه الذاتي،

---

[١] هود: ١٠٨

[٢] من غير المعقول أصلا أن يعاقَب الإنسان عقوبة أبدية ليبقى أهل جهنم فيها إلى الأبد كأبدية الله تعالى، إذ إن في تقصيراتهم دخلا لله أيضا إلى حد ما لأنه هو الذي خلق قوى كانت فيهم ضعيفة. فمن حق أهل النار أن يستفيدوا من الضعف الذي أودع الله فطرتهم. منه.

[٣] النجاة لا تستلزم أن يحتل جميع الناس درجة واحدة بل الذين اختاروا الله تعالى في الدنيا وفنوا في حبه واستقاموا على الصراط المستقيم سيحتلون مراتب خاصة لن يبلغها غيرهم. منه.

وتارة أخرى يقع عليه ظل صفاته الجمالية. وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]. من الخطأ الفادح الظن بأن صفات الله مثل الحِلم والرحم ستُحجب بعد أن يُلقى المجرمون في جهنم، ولن تتجلى بعدها أبدا، لأن تعطُّل صفات الله مستحيل. بل الحق أن صفة الله الحقيقية هي الحب والرحم، وهي أمّ الصفات وهي التي تتجلى أحيانا بصورة الجلال والغضب لإصلاح الناس، وعندما يتم الإصلاح يتجلى الحب بأسلوبه الخاص ويدوم إلى الأبد كهبةٍ من الله تعالى. إن الله ليس كإنسان عصبي الطبع حتى يحب التعذيب دونما سبب، فهو لا يظلم أحدا، بل الناس أنفسهم يظلمون. ففي حبه النجاةُ كلُّها وفي تركه العذاب كله.

هذا هو مبلغ تعليم الآريين عن معرفة الله، ولا بد من الاعتراف بحسب هذا التعليم بأن كل مَن ينال مكانة محترمة في حضرة الله سواء أأصبح رسولا أو نبيًّا أو ذلك الذي نزلت عليه الفيدات فإن مكانته ليست جديرة بالثقة بل يُسقَط عن كرسي الإكرام آلاف المرات، إذ يكون في وقت من الأوقات محببا عند الإله ومقربا إليه حتى كان رسولا ونبيًّا، ولكنه يتحول فيما بعد إلى حشرة حقيرة بعد تعرضه لدوامة التناسخ، ولا تكون النجاة الأبدية في نصيبه قط، إذ لا بد من خوف الموت في هذه الدنيا ثم خوف التعرض لعذاب التناسخ بعد الممات. فهكذا أدّوا حق الله تعالى إذ جعلوا الأرواح والذرات شريكة له من حيث كونها أزلية ومن حيث كونها جاءت إلى الوجود من تلقائها، ومن ناحية ثانية عدّوا الإله بخيلا بحيث لا يهب أحدا نجاة أبدية مع كونه يملك القوة كلها وقادرا على كل شيء!

وتتبين حقيقة ما علّمت الفيدا الناسَ عن التطهُّر من خلال فكرة الـــ "نيوك" التي تتلخص في أنه يجوز للآري أن يسمح لزوجته أن تضاجع شخصا آخر بغية

[1] الرحمن: ٣٠

الحصول على الأولاد. فتستطيع أن تضاجعه كل يوم ما لم تنجب ١١ ولدا من هذا العمل "المقدس"!

والآن أعود إلى صلب الكلام بعد هذه الجملة الاعتراضية أن إله الآريين ليس عالما بالغيب بحسب مبدئهم، وليس لديهم دليل على كونه عالما بالغيب.

ليس الله عالما بالغيب بحسب معتقد المسيحيين، لأنه ما دام عيسى اتُّخذ إلها مع أنه أقرّ بنفسه بأنه، أي ابن الله، لا يعلم عن القيامة شيئا، فماذا عسى أن يُستنتج من ذلك إلا أن الله لا يعلم متى ستقوم القيامة؟

والفرع الثاني للمعرفة الصحيحة هو معرفة قدرة الله الكاملة، فمن هذا المنطلق أيضا يصِمُ الآريون والقساوسة إلههم بالعيب.

أما أتباع آريا سماج فلأنهم لا يحسبون إلههم قادرا على خلق الأرواح وذرات العالَــم، ولا يؤمنون بأنه قادرٌ على أن يهب الروح نجاة أبدية[١]. كذلك لا يؤمن القساوسة أيضا بأن إلههم قادر، لأن إلههم قد عُذّب على يد معارضيه، وأُدخل السجن وجُلد وعلِّق على الصليب. لو كان قادرا لما تحمل هذه الإهانات كلها قط مع كونه إلــها. وكذلك لو كان قادرا لما كانت به حاجة ليفكر في أن يموت بنفسه لينال العباد النجاة بهذه الطريقة. من المخجل تماما

---

[١] ومما يجب الشكر عليه أن إلهنا يُرينا نماذج قدرته دائما ليتجدد إيماننا باستمرار، كما أخبرني بوحيه في أربع فترات مختلفة قبل الأوان عن زلزال وقع في ١٩٠٥/٤/٤م أن زلزالا شديدا سيضرب البنجاب قريبا. فضرب ذلك الزلزال الشديد صباحَ ١٩٠٥/٤/٤م يوم الثلاثاء وكان الفصل ربيعا. ثم أنبأني الله القادر على أن زلازل شديدة أخرى سوف تقع في فصل الربيع. فضرب زلزال شديد في ١٩٠٦/٢/٢٨م في فصل الربيع تماما. فكانت هزته في "جبال منصوري" شديدة جدا تركت الناس مذهولين. وفي الأيام نفسها ضرب زلزال شديد بعض مناطق أميركا أيضا وهلكت به مدن كثيرة. فالإله الحق هو ذلك الذي يُظهر علينا قدراته المتجددة بوحيه الآن أيضا. هذا، وهناك آلاف النبوءات التي تحققت بحسب وحي الله الذي نزل عليّ. منه.

ذكر قدرة مَن ظل ميتا ثلاثة أيام مع كونه إلــها. واللافت في الموضوع أن الإله مات ثلاثة أيام بقي عباده عائشين دون إله إلى ثلاثة أيام.

ثم حالة توحيدهم هي أن الآريين يحسبون كل ذرة والأرواح كلها شريكة إلــههم من حيث وجودها من تلقاء نفسها، وينسبون وجودها وبقاءها إلى قوتها وقدرتها فقط، وهذا شرك بحت.

أما المسيحيون فيعتقدون بما يخالف التوحيد صراحة[١] أي يعتقدون بثلاثة آلهة: أي الآب، والابن، وروح القدس. وجوابهم على ذلك بأنهم يعتقدون أن الثلاثة واحد، هو لغو وعبث للغاية ولن يقبل عاقل جوابا سخيفا كهذا. فلما كان لكل واحد من الآلهة الثلاثة وجود مستقل ومنفصل وكلٌّ واحد منهم إله كامل بحد ذاته فكيف يمكن أن يصبحوا واحدا في الوقت نفسه؟ في أية مدرسة أو كلية يُعلّم هذا الحساب؟ هل يمكن لفلسفة أو لمنطق أن توضِّح كيف أصبح الثلاثة المستقلون واحدا؟ وإذا قلتم بأن هذا سرٌّ يفوق عقل الإنسان فهذه خديعة محضة، لأن العقل الإنساني يدرك جيدا أنه إذا اعتُبر الثلاثةُ ثلاثةَ آلهةٍ كاملين فلا بد من أن تُعَدّ ثلاثةً في كل الأحوال وليس واحدا. وليس القرآن الكريم وحده الذي يدحض معتقد الثالوث هذا بل تفنّده التوراة أيضا، لأن التوراة التي أُعطيها موسى

[١] المعتقد الذي علّمه القرآن الكريم هو أنه كما خلق الله الأرواح كذلك هو قادر على إهلاكها. وروح الإنسان تنال حياة أبدية كهبةٍ من الله ورحمة منه فقط وليس بقوتها الذاتية. لذا فإن الذين يحبون إلههم حبا كاملا ويطيعونه طاعة كاملة ويخرّون على عتباته بكل صدق ووفاء يُعطَون حياة كاملة بوجه خاص وتُشحَّذ حواسهم الفطرية أيضا بشدة متناهية، وتوهَب فطرتهم نورا بسببه تهيج فيهم روحانية تفوق العادة. وجميع القوى الروحانية التي ملكوها في الدنيا يوسَّع فيها كثيرا بعد موتهم. ويُرفعون إلى السماء بعد الممات بسبب علاقتهم مع الله تعالى التي وهبهم الله تعالى إياها. هذا ما يسمَّى "الرفع" في مصطلح الشريعة. ولكن الذين ليسوا بمؤمنين وعلاقتهم مع الله تعالى ليست نزيهة لا يوهبون هذه الحياة ولا يحظون بهذه الصفات، فيكونون في حكم الأموات. فلو لم يكن الله خالق الأرواح لما استطاع أن يُظهر هذا الفرق بين المؤمن وغيره بتصرفاته الاقتدارية. منه.

لم يرد فيها ذكر الثالوث قط ولو بأدنى تلميح. وإلا فمن الواضح تماما أنه لو كان في التوراة تعليم عن هؤلاء الآلهة لما أمكن بحال من الأحوال أن ينساه اليهود. لأن اليهود نُصحوا بشدة أن يتذكروا تعليم التوحيد أولا لدرجة أنْ أُمر كل واحد منهم أن يحفظه ويكتبه على قوائم أبواب بيوته ويعلّمه أولاده. ثم تواتر أنبياء الله في اليهود لتعليمهم التوحيد نفسه وظلوا يعلّمون التعليم نفسه. فكان من غير الممكن ومن المستحيل تماما أن ينسى اليهود تعليم الثالوث مع كل هذا التأكيد وتواتر الأنبياء إلى هذا الحد، ويكتبوا بدلا منه تعليم التوحيد في كتبهم ويعلّموه أولادهم أيضا، وأن يجدد مئات الأنبياء القادمون تعليم التوحيد نفسه. إذًا، إن هذه الفكرة تتعارض مع العقل والقياس تماما.

لقد بذلتُ جهد المستطاع في هذا الصدد واستحلفتُ بعض اليهود: ما هو التعليم الذي أُعطِيتموه عن الله تعالى في التوراة؟ هل أُعطيتم تعليم الثالوث أم غيره؟ فبعث إلي هؤلاء اليهود رسائل- وهي مازالت بحوزتي- قالوا فيها بأنه لا يوجد في التوراة أدنى ذكر لتعليم الثالوث، بل تعليم التوراة عن الله هو التعليم نفسه الذي جاء في القرآن. فالأسف على هؤلاء القوم الذين يصرون على معتقد لا يوجد تعليمه في التوراة ولا في القرآن. بل الحق أن تعليم الثالوث ليس مذكورا في الإنجيل أيضا. حيثما ذُكر التعليم في الإنجيل لم يُذكر الثالوث فيه ولو بإشارة خفيفة بل جاء فيه التعليم عن إله واحد لا شريك له. وقد اضطر كبار القساوسة المعاندون أيضا للقبول أنه لا يوجد في الإنجيل تعليم الثالوث. هنا ينشأ بطبيعة الحال سؤال: كيف تطرقت فكرة الثالوث إلى المسيحية؟ لقد رد عليه الباحثون المسيحيون بأن الثالوث مأخوذ من اعتقاد الإغريق الذين كانوا يعتقدون بثلاثة آلهة كما يعتقد الهندوس بثلاثة أوثان. ولما توجه بولس إلى اليهود[١]- لأنه كان ينوي أن يُدخل الإغريق في المسيحية في كل الأحوال- أوجد في المسيحية لإرضاء الإغريق ثلاثة أقانيم بدلا من ثلاثة أوثان. وإلا لم

[١] يبدو أنه سهو، والصحيح: "الإغريق" كما تدل عليه الجملة التالية. (الناشر)

يعرف عيسى عليه السلام قط ما هو الأقنوم. بل إن تعليمه عن الله تعالى كان تعليما بسيطا مثل بقية الأنبياء أجمعين أنه واحد لا شريك له.

اعلموا أن هذه الديانة التي تُشاع باسم المسيحية إنما هي دين بولس وليست دين المسيح عليه السلام، إذ لم يعلّم المسيحُ الثالوثَ في أي مكان قط، بل ظل يدعو ما حيِي إلى الله الأحد الذي لا شريك له. ثم بعد وفاته ظل أخوه يعقوب- الذي كان خليفته وكان رجلا صالحًا- يعلّم التوحيد. وقد بدأ بولس يعارض هذا الرجل الصالح بدون داع، وأخذ يعلِّم الناس ما يتنافى مع عقائده الصحيحة، وتطرَّفَ بولس في عقائده أخيرا لدرجة تلفيق دين جديد، وأبعد جماعته عن العمل بالتوراة كلية، وعلّم الناس أنه لا حاجة للعمل بالشريعة في الديانة المسيحية بعد فداء المسيح، وأن دم المسيح يكفي لغفران الذنوب، ولا حاجة للعمل بالتوراة. ثم أدخل نجاسة أخرى في هذا الدين إذ أحلّ لهم أكل لحم الخنـــزير، مع أن المسيح عليه السلام عدَّه نجسًا في الإنجيل، لذلك ورد في الإنجيل قوله: "لا تطرحوا دُرَرَكم قُدّامَ الخنازير". ولما سمى المسيح عليه السلام التعليم الطاهر دررًا، فثبت صراحة بهذه المقارنة أنه قد أطلق على النجس خنـــزيرًا. والحق أن شعب اليونان كانوا يأكلون لحم الخنـــزيز كما يأكله كل الأوروبيين اليوم، فأحل بولس لحمه لجماعته تأليفًا لقلوب اليونانيين، مع أنه قد ورد في التوراة أن الخنـــزير حرام مطلقًا، حتى إن لَمْسَه أيضًا غير جائز.

خلاصة القول؛ كل المفاسد والعيوب تطرقت إلى هذا الدين بواسطة بولس. أما المسيح عليه السلام فكان إنسانا بسيطا للغاية لدرجة أنه لم يُحبّ أن يدعوه أحدٌ صالحا أيضا، ولكن بولس جعله إلها. لقد جاء في الإنجيل أن شخصا قال للمسيح عليه السلام: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ ...فَقَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ وما أدلّ على التوحيد كلمته التي تفوه بها بكل تواضع عندما علِّق على الصليب! أي: إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ الذي يدعو الله تعالى بهذا التواضع ويقر بأن الله ربه؛ هل لعاقل أن يزعم أنه ادّعى الألوهية في الحقيقة؟ الحق أن الذين هم على صلة الحب الذاتي مع الله يجعلهم الله تعالى يقولون أحيانا على سبيل الاستعارة

بكلمات يريد قليلو العلم أن يُثبتوا بها ألوهيتهم. فقد قيلت بحقي كلمات من هذا القبيل أكثر من المسيح عليه السلام[١]. كما خاطبني الله وقال: "يا قمر، يا شمس، أنت مني وأنا منك". فليفسر هذه الجملة مَن شاء وكما شاء، ولكن معناها الحقيقي هو أن الله جعلني قمرا أولا لأني ظهرتُ كالقمر من خلال تلك الشمس الحقيقية، ثم صار الله عز وجل قمرا بنفسه لأن ضوء جلاله عز وجل ظهر وسيظهر بواسطتي أنا.

كان يعقوب بن مريم -أخو عيسى عليه السلام- رجلا صالحا في الحقيقة، وكان يعمل بالتوراة في كل شيء ويؤمن بالله واحدا لا شريك له وكان يعُدّ لحم الخنــــزير حراما. وكان يصلي مستقبلا بيت المقدس كاليهود، وكان يعُدّ نفسه يهوديا كما ينبغي غير أنه كان يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام. ولكن بولس خلق النفور تجاه بيت المقدس أيضا، فبطشت به غيرة الله تعالى في نهاية المطاف وصلبه أحد الملوك، وهكذا كانت نهايته. ولما كان عيسى عليه السلام صادقا ومن عند الله نجا من الصلب إذ أنقذه الله تعالى منه حيا. ولكن لأن بولس ترك الحق والصدق فقد علِّق على خشبة.

ليكن معلوما أن بولس كان عدو عيسى عليه السلام اللدودَ في حياته، وكان السبب وراء تنصّر بولس- بعد وفاته عليه السلام- تحقيق أهدافه الشخصية كما ورد في تاريخ اليهود. ولما لم تتحقق تلك الأهداف بواسطة اليهود تنصّر لإلحاق الضرر بهم وقال بأن المسيح عليه السلام قابله في الكشف فآمن به. وغرس غرسة

[١] رأيت في الكشف ذات مرة أني خلقتُ أرضا جديدة وسماء جديدة، ثم قلتُ: تعالوا الآن نخلق الإنسان. فأثار المشايخ الأغبياء ضجة على ذلك وقالوا: انظروا إلى هذا الشخص أنه يدّعي الألوهية، مع أن المراد من ذلك الكشف كان أن الله تعالى سوف يُحدث على يدي تغييرا وكأن السماء والأرض ستكون جديدة، وسيولَد الناس الحقيقيون. كذلك خاطبني الله مرة وقال: "أنت مني بمنــــزلة أولادي. أنت مني بمنــــزلة لا يعلمها الخلق". عندها شق المشايخ جيوبهم وقالوا: أيّ شك في كفره الآن؟ ونسوا الآية: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٠١) منه.

الثالوث السيئة في دمشق أولا، فبدأ الثالوث البولسي من دمشق. فقد قيل في الأحاديث النبوية بالإشارة إلى ذلك بأن المسيح المقبل سينـــزل شرقي دمشق، أي بمجيئه سيُقضى على الثالوث، وستميل قلوب الناس إلى التوحيد رويدا رويدا. وفي نزول المسيح في الشرق إشارة إلى غلبته لأنه عندما يظهر النور يتغلب على الظلام[١].

من الواضح تماما أنه لو كان مقدرا أن يظهر بولس كرسول بعد المسيح عليه السلام، كما ظُنّ، لأخبر المسيحُ عليه السلام بذلك حتما. وكان الإخبار عنه ضروريا بوجه خاص لأن بولس ظل منحرفا بشدة عن عيسى طول حياته عليه السلام. وظل يكيد أصناف المكايد لإيذائه، فكيف كان ممكنا أن يُعَدّ شخص مثله أمينا بعد مماته عليه السلام إلا أن تكون بحقه نبوءة المسيح البينة التي تصرّح بكل وضوح أنه سيكون رسولا من الله ويصبح شخصا مقدسا جدا بعدي وإن كان يعاديني في حياتي أشد المعاداة ويؤذيني، ولا سيما حين قدّم بولس تعليما جديدا من عنده على عكس توراة موسى، إذ أحلّ لحم الخنـــزير، وكان الأمر بالختان تقليدا مؤكدا عليه بحسب التوراة، وقد ختن جميعُ الأنبياء أيضا بمن فيهم المسيح عليه السلام نفسه، ولكن بولس أبطل هذا الأمر الإلهي القديم، وأقام الثالوث بدلا من توحيد التوراة، وجعل العمل بأحكام التوراة غير ضروري وانحرف عن التوجه إلى بيت المقدس. فكان لا بد أن تكون هناك نبوءة عن شخص قلب الشريعة الموسوية رأسا على عقب. فلما لا توجد في الإنجيل نبوءة عن كون بولس رسولا، وعداوته لعيسى عليه السلام ثابتة متحققة وكان يعارض أوامر التوراة الأبدية، فلماذا اتُّخذ زعيما دينيا؟ هل على ذلك من دليل؟

والأمر المهم الآخر للنجاة، بعد المعرفة، هو حب الله. من البديهي تماما أنه لا أحدَ يريد أن يعذب محبه بل الحب يجذب الحب ويجلبه إليه. فإذا كان أحدٌ يحب

[١] الجدير بالذكر أن مسكني قاديان يقع شرقي دمشق بالضبط. فقد تحققت اليوم ما تنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم. منه.

أحدًا بصدق القلب فليستيقن أن حبيبه أيضا لن يعاديه قط، بل لو لم يخبر المحبُّ حبيبَه بحبه الذي يكنّه له في قلبه فلا بد أن يظهر تأثير حبه على الأقل بألا يعاديه حبيبه. لذلك قيل: "من القلب إلى القلب دليل".

هناك قوة الجذب في أنبياء الله ورسله وينجذب إليهم آلاف الناس تلقائيا ويحبونهم لدرجة أنهم يفدونهم بحياتهم، وسبب ذلك عائد إلى حبهم للبشر ومواساتهم التي تزخر بها قلوبهم، حتى إنهم يحبون الناس أكثر مما تحب الأم أولادها. ويودّون راحتهم ولو بإلقاء أنفسهم في معاناة وألم. وفي نهاية المطاف يبدأ جذبهم الصادق بجذب سليمي الفطرة إليهم رويدا رويدا. فما دام الإنسان، مع عدم كونه عالما بالغيب، يطّلع على الحب الكامن عند شخص آخر فكيف يمكن أن يبقى الله تعالى وهو عالِم الغيب غافلا عمّن يحبه حبا خالصا؟ الحب شيء غريب، إن ناره تحرق نار الذنوب وتُخمد شعلة المعصية. لا يمكن قط أن يجتمع العذاب مع الحب الصادق والذاتي والكامل.

ومن جملة علامات الحب الصادق أن يُنقَش في فطرة صاحبه خوفٌ شديد من أن يقطع حبيبه علاقته به، ويحسب نفسه هالكا نتيجة أدنى تقصير أو خطأ، ويرى معارضة حبيبه سمًّا زعافا له، ويكون مضطربا بشدة من أجل وصال حبيبه، ويذبل بتصور الفراق والبُعد عنه كأنه يكاد يموت. لذا لا يرى ذنبا فقط تلك الأمور التي يراها كذلك عامة الناس، وسفك الدم والزنا والسرقة وشهادة الزور، بل يرى أدنى نوع من الغفلة عن الله، وأدنى التفات إلى غير الله من الكبائر. لذا فالدوام في الاستغفار في حضرة حبيبه الأزلي يكون وِرده. ولما كانت طبيعته لا ترضى بالانفصال عن الله تعالى في وقت من الأوقات، فإن صدرت منه غفلة مثقال ذرة بمقتضى البشرية لرآها ذنبا هائلا كالجبل. هذا هو السر الذي بسببه يظل أصحاب العلاقة الكاملة والمقدسة مع الله تعالى يستغفرونه دائما، لأن من مقتضى الحب أن يقلق المحب الصادق من سخط حبيبه عليه، ولأن قلبه يُجعل عطِشًا ليرضى الله عنه كليا، فإذا أخبره الله تعالى أنه راض عنه، فلن يصبر على هذا القدر، لأنه كما أن شارب الخمر يشرب

الخمر مرة ثم يعاود طلبها، كذلك عندما يهيج ينبوع الحب في الإنسان يقتضي هذا الحب بطبيعة الحال أن ينال رضا الله تعالى أكثر فأكثر. فبسبب شدة الحب يُكثر من الاستغفار أيضا. لهذا السبب يتخذ الذين يحبون الله حبا كاملا الاستغفارَ وِردا لهم في كل لحظة وآن. وأكبر علامة للمعصوم هي أنه يستغفر أكثر من غيره قطعا.

المعنى الحقيقي للاستغفار هو الاستعانة بالله تعالى لدرء كل زلّة وتقصير يمكن أن يصدر من الإنسان بمقتضى بشريته، ولكي لا يظهر ذلك الضعف للعيان بل يبقى مستورا ومخفيا نتيجة فضل الله. ثم وُسِّع معنى الاستغفار لعامة الناس، وضُمّ إليه مفهوم آخر، وهو أن الله تعالى- في الدنيا والآخرة- يحمي من العواقب السيئة والتأثيرات السامة لزلّةٍ أو قصور صدر من قبل. إذًا، فإن مصدر النجاة الحقيقية هو حب الإنسانِ لله ﷻ الذي يجذب حبَ الله تعالى بواسطة تواضع العبد وتضرعه وابتهاله واستغفاره الدائم. وحين يوصل الإنسان حبه مرتبة الكمال ويحرق أهواءه النفسانية بنار حب الله، ينـــزل حب الله له على قلبه دفعة واحدة كشُعلة، ويُخرجه من أدران الحياة السفلية. فيتصبّغ بصبغة طهارة الله الحيّ والقيوم بل ينال نصيبا من كافة صفات الله تعالى بصورة ظلية. عندها يصير مَظهرا لتجليات الله تعالى. وتُكشف في الدنيا بواسطته الأسرار المستورة والمكتومة في كنـــز الربوبية الأزلي.

ولأن الله الذي خلق هذا العالم ليس بخيلا بل فيوضه دائمة، وأسماؤه وصفاته لا تتوقف ولا تبطل أبدا، لذا يعطي ﷻ الآخرين أيضا- بشرط تقواهم ومجاهداتهم- ما أُعطِي الأولون، كما علّم بنفسه في القرآن الكريم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. معنى هذه الآية أن الأفضال والإنعامات التي أُنعِم بها على جميع الأنبياء والصديقين من قبْل، أنعِمْ بها علينا أيضا ولا تحرمنا من أي فضل. لقد أُعطِيت الأمة في هذه الآية أملا عظيما لا تشاركها فيه أمم سابقة، لأن كمالات جميع الأنبياء كانت متفرقة فيما مضى، وتلقّوا بركات وإنعامات متفرقة. أما الآن فقد علّم الله تعالى هذه الأمة دعاء أن

يطلبوا منه تلك الكمالات المتفرقة كافة. فمن الواضح أنه عندما تجتمع الكمالات المتفرقة في مكان واحد فإنها ستفوق بمجموعها كثيرا الكمالات المتفرقة. فبناء على ذلك قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١]، أي أنكم أفضل من جميع الأمم من حيث كمالاتكم.

وليكن معلوما أيضا هنا سبب الوعد بجمع الكمالات المتفرقة في هذه الأمة؟ السر في ذلك أن نبينا الأكرم ﷺ جامع لجميع الكمالات المتفرقة كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿فبِهُداهم اقتَدِه﴾[٢].. أي اقْتَدِ بكلّ نوع من الهدى الذي أُعطيه الأنبياء السابقون كلهم. والبديهي أن الذي سيجمع في نفسه تلك الهدايات المتفرقة جميعها يكون وجودا جامعا وأفضل من الأنبياء كلهم. والذي يتّبع هذا النبي، جامعَ الكمالات، لا بد أن يكون هو أيضا جامعَ الكمالات كلها بصورة ظلية. فالسر في تعليم هذا الدعاء في سورة الفاتحة هو أن يصبح الكاملون في الأمة الذين يتّبعون النبي الجامعَ الكمالات هم الآخرون أيضا جامعي الكمالات.

فالأسف على الذين يعتبرون هذه الأمة أمةً ميتة. إن الله تعالى يعلمهم دعاء ليصبحوا جامعي الكمالات ولكنهم يريدون أن يبقوا ميتين. ومن الذنب العظيم عندهم أن يدّعي أحد أن وحي الله ينـــزل عليه كمثل المسيح ابن مريم[٣]، فهذا

---

[١] آل عمران: ١١١

[٢] الأنعام: ٩١

[٣] إن هؤلاء الذين يُدعَون مشايخ يسيئون إلى سيدنا ومولانا خير الرسل وأفضل الأنبياء ﷺ حين يقولون بأنه لا يمكن أن يأتي في هذه الأمة مثيل عيسى بن مريم، لذا سيعيد الله تعالى عيسى الإسرائيلي نفسه إلى الدنيا في وقت من الأوقات ناقضا ختم النبوة. وبهذا الاعتقاد لا يرتكبون إثما واحدا بل إثمين. (١) لأنهم يضطرون للاعتقاد أن عبد الله الذي اسمه عيسى ويُدعى في العبرية "يسوع" قد تبِع شريعة موسى رسول الله إلى ثلاثين عاما فصار مقربا إلى الله وحاز مرتبة النبوة، ومقابل ذلك إذا اتبع أحد النبي ﷺ ولو إلى خمسين عاما بدلا من ثلاثين عاما لن ينال تلك المرتبة، وكأن اتّباع النبي ﷺ لا يهبه أيّ كمال قط، ولا

الشخص كافر عندهم لأن باب مكالمة الله ومخاطبته مسدود إلى يوم القيامة. من الغريب أن هؤلاء القوم يقولون بأن الله تعالى يسمع الآن أيضا كما كان يسمع

يفكرون أن ذلك يستلزم أن يكون تعليم الله تعالى الدعاء ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ خديعة محضة. ويعتقدون أيضا أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء بسبب مجيئه الثاني، وهو القاضي والحَكَم الأخير، ولا يفقهون أن الله تعالى يقصد من هذه النبوءة أنه كما سيولَد في هذه الأمة أمثال اليهود كذلك يخلق فيها مثيل عيسى عليه السلام أيضا؛ الذي يكون فردا من الأمة من ناحية، ونبيا من ناحية أخرى. لا يمكن لعيسى بن مريم أن يجمع في شخصه كلا الاسمين، لأن الفرد من الأمة ليس إلا الذي ينال الكمال باتّباع نبيه المتبوع فقط، أما عيسى عليه السلام فقد حازه من قبل.

(٢) إثمهم الثاني هو زعمهم أن عيسى عليه السلام ما زال حيا على النقيض من النص القرآني الصريح. لقد جاءت في القرآن الكريم آية صريحة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ويستنتجون منها معنى: فلما رفعتَني إلى السماء بالجسد المادي. هذه لغة غريبة تخص عيسى فقط! من المؤسف أنهم لا يفكّرون أن عيسى عليه السلام سيُسأل عن ذلك يوم القيامة كما هو مصرَّح به في القرآن الكريم. إن المعنى الذي يستنبطونه من كلمة ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يستلزم أن يمثل عيسى عليه السلام قبل موته أمام الله جلّ شأنه يوم القيامة. وإن قلتَ بأن المراد من ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو: فلما أمتَّني، ما أدراني ما فعلتْه أمَّتي بعد مماتي؟ فهذا المعنى أيضا غير صحيح بحسب اعتقادهم. يمكن لله تعالى أن يقول لعيسى ردا على عذره الباطل من منطلق كِلا المعنيين ويقول: لماذا تكذب أمامي بقولك إنك لا تعرف شيئا إذ قد عدتَ إلى الدنيا ومكثت فيها أربعين عاما، وحاربتَ النصارى وكسرتَ الصليب. وإضافة إلى ذلك يستلزم هذا المعنى أن النصارى لم يفسدوا ما بقي عيسى عليه السلام حيا بل فسدوا بعد مماته. وبذلك لا بد من الاعتراف أن النصارى ما زالوا على حق لأن عيسى عليه السلام ما زال حيا في السماء. وا أسفاه، فلتموتوا ندما!!

وأخيرا يجب أن تتذكروا أيضا أن الفرد من الأمة الذي ينال شرف الوحي والإلهام والنبوة نتيجة اتّباع النبي ﷺ فقط، إذا أُكرم باسم "نبي" فهذا لا يَنقض ختم النبوة، لأنه من أمته ﷺ وليس له أيّ وجود في حد ذاته. وإن كماله ليس إلا كمال نبيه المتبوع. وهذا الأخير لا يسمَّى نبياً فقط بل يُدعَى نبيا وفردا من الأمة أيضا. أما عودة أيّ نبي ليس من أمته ﷺ فيتنافى مع ختم النبوة. منه.

من قبل، ولكنهم لا يؤمنون بأنه يتكلم أيضا كما كان يتكلم من قبل. مع أنه إذا كان لا يتكلم في العصر الراهن فلا دليل على سماعه أيضا. ما أشقى أولئك الذين يُبطلون صفات الله تعالى! والحق أنهم أعداء الإسلام، إذ يستنتجون من ختم النبوة معنى يُبطل النبوة أصلا. هل لنا أن نستنتج من ختم النبوة معنى أن جميع البركات التي كان نوالها واجبا ببركة اتّباع النبي ﷺ قد انقطعت كلها؟ ولا جدوى الآن من الأمل في مكالمة الله ومخاطبته؟ لعنة الله على الكاذبين. هل يمكنهم أن يوضحوا ما الفائدة من اتّباع النبي ﷺ في هذه الحالة؟ والذين ليس في أيديهم إلا القصص السابقة فإن دينهم ميتٌ وباب معرفة الله موصد في وجههم. ولكن الإسلام دين حيٌّ، وقد جعل الله تعالى المؤمنين في سورة الفاتحة في القرآن الكريم ورثة الأنبياء، وعلّمهم دعاء يطلبوا فيه نعمًا أُعطيها الأنبياء الذين خلَوا. ولكن الذي ليس في يده إلا قصص أنَّى له أن يُدعى وارثا؟ الأسف كل الأسف على هؤلاء القوم إذ قد فُتح عليهم ينبوع البركات كلها ولكنهم لا يريدون أن يغترفوا منه ولو غرفة واحدة.

والآن أعود إلى كلامي السابق وأقول: إن ينبوع النجاة، هو الحب والمعرفة كما ذكرتُ آنفا. كلما ازدادت المعرفة ازداد الحبُ معها، لأن السبب وراء تدفق الحب هو إما الحسن أو الإحسان، وبسبب هذين الشيئين يتدفق الحب. عندما يطّلع الإنسان على حسن الله وإحسانه ويشاهد ما أجمل ربنا بسبب صفاته الحسنى الذاتية واللامحدودة، وكيف تحيط بنا إحساناته غير المحدودة، فهذه المعرفة تهيج بالطبع الحب المودع في فطرته منذ الأزل. ولأن الله تعالى يتحلى بالجمال والكمال أكثر من غيره ويتّصف بصفة الإحسان والإفاضة المتواصلة، لذا فالعبد الذي يبحث[1] عنه يحبه بعد معرفة هذه الصفات إذ لا يرى

[1] كما قلت مرارا وتكرارا بأن معرفة الله التامة لا تُنال إلا بوحي الله ومكالمته ومخاطبته وآياته العظيمة التي تظهر بواسطة الوحي الإلهي وتدل على قدرته ﷻ التي هي آية ألوهيته وجبروته البيّنة. هذه هي المعرفة التي يتعطّش ويتجوّع لها الباحثون عن الحق. وهذه هي

أحدا نظيرا ولا مثيلا له، فيراه ﷻ واحدا لا شريك له، ليس باللسان فقط بل بصورة عملية، ويعشق صفاته الحسنة وأخلاقه. مع أن بذرة حب الله تعالى قد بُذرت في فطرة الإنسان منذ الأزل، ولكن المعرفة هي التي تسقي هذه البذرة، لأنه ما من حبيب يستطيع أن يجذب محبه إلى نفسه بدون المعرفة وتجليات الحسن والجمال والأخلاق والوصال. وعندما تتسنى المعرفة التامة عندها تهبط شعلة حب الله الساطعة على قلب الإنسان وتجذبه إليه ﷻ دفعة واحدة. عندها تخرّ روح الإنسان على عتبة الحبيب الأزلي بتواضع العشق وتغوص في بحر الله تعالى الذي لا شاطئ له، وتتطهّر وتتنـــزَّه لدرجة تزول عنه الكثافات السفلية كلها، ويحدث فيها تغيُّر نوراني؛ فتشمئز الروح من الأمور الخبيثة كما يشمئز الله منها. فيصبح رضا الله رضا العبد، ومرضاة الله مرضاته.

ولكن كما كتبتُ قبل قليل، من الضروري لتدفق هذا الحب من الدرجة العليا أن يطّلع السالك الباحث عن الله على حسن الله وإحسانه اطلاعا شاملا، وأن تترسخ في قلبه حقيقة أن الله تعالى يملك صفاتٍ وحسنا وجمالا لا نهاية لها. كذلك قد أحسن إلى الإنسان، كما هو مستعد للإحسان إليه الآن أيضا إلى درجة قصوى. ونشكر الله تعالى على أن هذه الأمة قد أُعطِيت هذه المعرفة الكاملة بوجه كامل. ولسنا خجلين أمام الله تعالى[١] في بيان صفاته الحسنة.

المعرفة التي يكادون يموتون إن لم ينالوها. أفلا توجد هذه المعرفة في الإسلام؟ وهل الإسلام دين جاف وميِّتٌ؟ لعنة الله على الكاذبين. بل الإسلام وحده هو الدين الحي في العالم ويهب الحياة لأتباعه، وهو الذي يُرينا اللهَ في هذا العالم، وببركته أتلقى الوحي من الله، وببركته تظهر مني آيات عظيمة. لقد ماتت أديان العالم كلها، ولم يبق فيها أيّة بركة ولا نور، ولا يمكننا الكلام مع الله تعالى بواسطتها، ولا نستطيع أن نرى بواسطتها أعمال الله المعجزة. هل من أحد يبارزني في هذه البركات؟ منه.

[١] كم يتعرض المسيحي للندم والخجل في نفسه عند قوله بأن إلهه ظل ميّتا إلى ثلاثة أيام في زمن من الأزمان! وإلى أيّ مدى تُدينه روحه قائلة: هل الإله أيضا يموت؟ والذي مات مرة كيف يمكن التأكد أنه لن يموت مرة أخرى؟ إذًا، لا دليل على حياة إله مثله، ومن

وبقدر ما يمكن تصور المحاسن نؤمن بوجودها في ذات الله وصفاته. لا نعتقد مثل الآريين بأن الله ليس قادرا على خلق روح أو ذرة، ولا نقول مثلهم بأنه بخيل- والعياذ بالله- لدرجة أنه لا يريد أن يرزق أحدا نجاة أبدية، ولا نقول بأنه ليس قادرا على ذلك. ولا نقول مثل الآريين بأن باب الوحي الإلهي مسدود، ولا نقول مثلهم بأن الله قاسي القلب لدرجة أنْ لا يقبل توبة أحد بل يُدخله في عملية التناسخ بلايين المرات عقوبةً على ذنب واحد. ولا نقول بأنه ليس قادرا على قبول التوبة. ولا نقول مثل المسيحيين بأن إلهنا مات في زمن من الأزمان، واعتُقِل بيد اليهود وسُجن وعُلِّق على الصليب أيضا، ووُلد من بطن امرأة وكان له إخوة آخرون. ولا نقول مثل النصارى بأنه دخل جهنم ثلاثة أيام لأداء كفارة الذنوب، والعياذ بالله، و لم يكن قادرا على أن ينجّي عباده من الذنوب ما لم يمت ويدخل جهنم لثلاثة أيام عِوضا عنهم. ولا نقول مثل المسيحيين بأنه قد خُتم على الوحي والإلهام بعد نبينا الأكرم ﷺ، وبأن باب مكالمة الله ومخاطبته مسدود الآن تماما. لأن الله تعالى جعلنا في سورة الفاتحة ورثة نِعم جميع الأنبياء المتفرقة وقد عدّ هذه الأمة خير الأمم. فلا شك أننا حظينا أكثر من غيرنا بالإيمان بحسن الله وإحسانه الذي هو منبع الحب. والأكثر سفاهة وشقاوة من بين المسلمين هم الذين ينكرون كمال حسنه وإحسانه ﷻ. فمن ناحية يصِمون وحدانية الله تعالى بإشراكهم خلقه في صفاته الخاصة[١]،

الممكن أن يكون قد مات سابقا إذ لا توجد فيه علامات الأحياء الآن. فهو لا يستطيع أن يرد على الذين ينادونه قائلين: يا إلهي يا إلهي، ولا يقدر على أن يُري معجزة. فاعلموا يقينا أن ذلك الإله قد مات وقبره في سرينغر، حارة خانيار. أما الآريون فلا خالق لأرواحهم أصلا، بل هي موجودة منذ الأزل ومن تلقائها، فهي أزلية!! منه.

[١] إن المسلمين، ولا سيما أهل الحديث منهم يتشدقون كثيرا بادّعاء التوحيد، ولكن من المؤسف أنه ينطبق عليهم أيضا القول: "يُصَفُّونَ الماءَ ويَبْتَلِعُونَ الْجَمَلَ"، فهل يسعنا أن نسميهم موحِّدين إذ يعُدّون عيسى عليه السلام واحدا لا شريك له مثل الله تعالى، إذ هو الذي صعد إلى السماء بالجسد المادي، وهو الذي سينــــزل منها إلى الأرض بالجسد المادي في

ويحوِّلون نور جمالِ وحدانيته إلى ظلام بإشراك غيره معه، ومن ناحية أخرى يحسبون أنفسهم محرومين من بركات النبي ﷺ الأبدية وكأنه ﷺ ليس بسراج حيٍّ بل هو سراج منطفئ لا يمكن أن يُشعَل به سراجٌ آخر. ويقرّون أيضا أن النبي موسى كان سراجا حيًّا وقد صار مئات الأنبياء سُرُجًا نتيجة اتّباعه. وقد أُكرم المسيح عليه السلام بإنعام النبوة نتيجة اتّباعه إلى ثلاثين عاما والعمل بأحكام التوراة، وحمل نِير شريعة موسى على عنقه. أما اتّباع سيدنا ومولانا محمد ﷺ فلا يعطي أحدا إنعاما روحانيا ملحوظا، بل من جانب كان ﷺ محروما من الأولاد الذكور الذين هم تذكار مادي له بحسب منطوق الآية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[١] ومن جانب آخر لم يحظ بأولاد روحانيين أيضا ليرثوا كمالاته الروحانية، وكان قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بلا معنى. المعلوم أن "لكن" تفيد الاستدراك في العربية، بمعنى أن الأمر الذي لم يتحقق بأسلوب، فيُخبَر بتحققه بأسلوب آخر. فمن هذا المنطلق يكون معنى الآية بأنه لم يكن للنبي ﷺ أولاد ذكور من الناحية المادية، ولكن سيكون

يوم من الأيام. وهو الذي خلق الطيور. لقد طلب الكفار من نبينا الأكرم ﷺ حالفين بالتكرار بأنك لو صعدت إلى السماء بالجسد المادي لآمنا بك فورا، فرُدَّ عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولا﴾ (الإسراء: ٩٤) أي قل لهم: سبحان ربي أن يخلف وعده، فلا أستطيع أن أصعد إلى السماء بالجسد المادي لأن ذلك ينافي وعده. والسبب في ذلك أنه تعالى يقول: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأَعراف: ٢٦) ويقول أيضا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (الأَعراف: ٢٥) فهل نفهم أنه عز وجل لم يتذكر وعده هذا عند رفعه عيسى عليه السلام إلى السماء؟ أو نفهم أن عيسى لم يكن بشرا؟ لو صعد عيسى إلى السماء بجسده المادي لاستلزم ذلك بحسب بيان القرآن الكريم بأنه ما كان بشرا. ومن ناحية ثانية ينسب مدّعُو الإسلام هؤلاء إلى الدجال صفات تستلزم ألوهيته. هذا تصورهم عن التوحيد وهذا ادّعاؤهم، وا أسفاه!! منه

[١] الأحزاب: ٤١

له أولاد روحانيون بكثرة هائلة، وقد جُعِل ﷺ خاتَم النبيين. أي لن ينال أحد أيّ كمال من كمالات النبوة في المستقبل إلا بخاتَم اتّباعه.

هذا هو معنى الآية الذي قلبوه رأسا على عقب وأنكروا إنعام النبوة في المستقبل، مع أن هذا الإنكار يستلزم إهانة النبي ﷺ ومَنقصته بكل ما في الكلمة من معانٍ. لأن كمال النبي هو أن يمتِّع شخصا آخر أيضا بكمالات نبوته بصورة ظلية، ويربّيه تربية كاملة في الأمور الروحانية. الأنبياء يأتون لهذه التربية وحدها ويُرضعون الباحثين عن الحق حليب معرفة الله حاملين إياهم في حضنهم كالأم. فإن لم يملك النبي ﷺ ذلك الحليب فلا تثبت نبوته أصلا، والعياذ بالله. ولكن الله تعالى سماه ﷺ في القرآن الكريم سراجا منيرا ينير الآخرين بنوره ويلقي بتأثير ضيائه على الآخرين ويجعلهم مثله. وإن لم يملك النبي ﷺ فيضا روحانيا، والعياذ بالله، تصبح بعثته في الدنيا عبثا. ومن جانب آخر يُصبح الله ﷻ أيضا خادعا إذ علّم دعاء أن اطلُبوا كمالات جميع الأنبياء، ولكنه ما كان يقصد في قرارة قلبه قط أن يعطيهم إياها، بل كان ينوي أن يُتركوا عميانا إلى الأبد.

ولكن انتبهوا أيها المسلمون! هذه الفكرة ليست إلا جهلا وغباوة مطبقة. إذا كان الإسلام دينا ميّتا على هذا النحو فأيّ قوم تستطيعون أن تدعوه إليه؟ هل تذهبون بجثة هذا الدين إلى اليابان أو تقدمونها إلى أوروبا؟ وأيّ سفيه سيعشق هذا الدين الميت والمحروم من كل بركة وروحانية مقابل الأديان السابقة؟ ففي الأديان السابقة تلقّت النساء أيضا إلهاما مثل أم موسى ومريم. ولكنكم لا تُساوون هؤلاء النساء أيضا وأنتم رجال!!

افيقوا يا قليلي العقل، ويا أيها العَمهون، واعلموا أن سيدنا ومولانا، عليه آلاف السلامات، سبق الأنبياء أجمعين من حيث إفاضته، لأن إفاضة الأنبياء السابقين انقطعت عند بلوغها نقطة معينة، وتلك الأقوام والأديان ميتة الآن لا حياة فيها. أما فيض نبينا ﷺ الروحاني فمستمر إلى يوم القيامة. لذا ليس ضروريا لأمته أن يأتيها مسيح من الخارج مع وجود فيضه ﷺ المذكور. بل

الحق أن من شأن التربية في كنفه وتحت ظله ﷺ أن تجعل الإنسان الأدنى مسيحا كما جعلتني أنا العبد الضعيف.

والآن أعود إلى صلب الكلام وأقول بأن فلسفة طريق النجاة التي قدّمها القرآن الكريم هي أن فطرة الإنسان قد أُودعت منذ القِدم من ناحيةٍ ســمًّا يرغِّبه في الذنوب، ومن ناحية ثانية وُضع في فطرته منذ القِدم ترياقه أيضا وهو حب الله تعالى. فهاتان القوّتان تجريان جنبا إلى جنب منذ أن خُلق الإنسان. القوة السامّة تعِدّ للإنسان أسبابَ العذاب، وقوة الترياق التي هي قوة حب الله تحرق الذنوب كما تحرق النار الخشب والكلأ. ليس صحيحا قط أن قوة الذنب التي تُعِدّ دواعي العذاب قد وُضعت في فطرة الإنسان منذ القِدم وأما أسباب النجاة من الذنوب فقد نشأت قبل فترة وجيزة فقط، أي منذ أن علّق المسيح على الصليب. لن يقبل هذا الاعتقاد إلا الذي ليس فيه شيء من العقل السليم. بل الحق أن هذين الأمرين قد وُضعا في فطرة الإنسان منذ يوم خلقه. وليس أن الله وضع الدوافع إلى الذنب في فطرة الإنسان منذ البداية ولم يتذكر الدواء للنجاة في الأيام الأولى بل خطر بباله بعد أربعة آلاف عام.

والآن أنهي المقال هنا وأنصحكم لوجه الله بأنكم إن كنتم تبغون البركات الحية فلا تتوجهوا إلى المسيح الذي مات منذ أمد بعيد ولم يبق من بركاته الحية ولا مثقال ذرة، وسبق قومه جميع الأقوام في سكر الخمر بدلا من نشوة حب الله. وبدلا من أن يقتنوا ثروة سماوية عشقوا أموالا دنيوية ولو بواسطة القمار. بل عليكم أن تنضمّوا إلى جماعة المسيح المحمدي الذي هو "إمامكم منكم"، ويقدم بركات متجددة، والخيار في يديكم.

الراقم:

ميرزا غلام أحمد القادياني، المسيح الموعود

****

المنـــاجــاة
في حضرة البارئ عزّ اسمه

(من المؤلف)

[١]"يا ذا الجلال، إن روحي وقلبي وكل ذرة من كياني لك الفداء، افتح على قلبي برحمتك جميع أبواب معرفتك

الفيلسوف الذي يبحث عنك بالعقل غبي، لأن سبيلك المكنون بعيد عن إدراك عقولهم

لم يطّلع أحد منهم على عتبات بيتك، وكل مَن اطّلع عليها كان نتيجة إحسانك اللامتناهي

إنك تعطي عشاق وجهك كِلا العالَـــمَين، ولكن لا أهمية لهما في أعين عبادك

انظر برحمة وتحنُّن حتى تنتهي الحرب والجدال، فالخلق بحاجة إلى برهانك

أَظهِر آية حتى يسطع نورُك في العالم، ولكي يصبح منكر الملة من الذين يحمدونك

لو انقلبت الأرض رأسا على عقب لما حزنتُ قط، ولكني سأحزن إذا فُقد سبيلك المنيرُ

النقاش والجدال في الدين قد يسببان الدوخة، فاحسمْ في القصة بآياتك الباهرة

هُزَّ طبائع الأغيار بالزلازل حتى يأتوا إلى عتباتك خاشعين

أجْرِ ينبوع الرحمة في لباس الزلزال، حتّامَ يحترق كمدا عبدك الباكي؟

---

[١] ترجمة قصيدة فارسية. (المترجم)

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

ٹائیٹل بار اول

خدائے کریم کا شکر ہے کہ

یہ رسالہ قادیان کے ان آریوں کے جواب میں لکھا
گیا ہے جنہوں نے بہت سی توہین اور بدزبانی کیساتھ اپنی اخبار
میں میرے نشانوں کا انکار کیا ہے جنکے گواہ نہ فقط وہی بلکہ ساری
دنیا ان کو دیکھ چکی ہے اور اس رسالہ کا نام ہے

قادیان کے آریہ اور ہم

اور یہ رسالہ

باہتمام منیجر صاحب میگزین پریس
قادیان میں طبع ہوکر شائع ہوا

۲۰ فروری ۱۹۰۷ء

تعداد ایک ہزار جلد
قیمت فی جلد ۳ر

ترجمة صفحة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

نشكر الله الكريم على تأليف هذا الكتيب

ردّا على الآريين من قاديان

الذين أنكروا في جريدتهم بإساءة وبذاءة شديدتين، آياتي

التي ليسوا هم شاهدين عليها فحسب، بل قد شاهدها العالم كله.

وعنوان هذا الكتيب هو:

"آرِيُّو قاديان ونحن"

وقد طبع

في مطبعة "ميغزين" في قاديان،

تحت إشراف مديرها،

بتاريخ ١٩٠٧/٢/٢٠م

عدد النسخ ١٠٠٠ سعر نسخة واحدة ٣ آنات

آريو قاديان

[1] نتأسف مائة ألف مرة على الآريين، والأسف يغزو قلبي بالتكرار
لقد عصوا الحق بشدة، وقد ضحوا بالدين من أجل قومهم
إنهم ينكرون الآيات التي استيقظ العالم بسبب ضيائها وارتجف
ولكن إلامَ سينفع هذا التجاسر والحذلقة
إن باطنهم مظلم، وقد أحاطت بهم الغطرسة والضغينة
يحاربون الله الأحد، ولا يكادون يرتدعون عن الشغب والضجيج
يكادون يموتون خيفة القوم، ولا يخافون الله وإن رأوا مائة آية
إن موت الباندیت ليكهرام كرامة عظيمة، ولكن المصيبة أنهم لا يكادون يفقهون
فهِّمهم بنفسك يا ربيّ، وأرِ آيةً من السماء مرة أخرى (آمين).

****

نبوءة عن آية جديدة

يقول الله تعالى بأنه سيُظهر آية جديدة تتضمن فتحا عظيما. وتكون آية للعالم كله، وتظهر بقدرة الله ومن السماء. فلتترقبها كل عين، لأن الله تعالى سيُظهرها عن قريب ليشهد بأن هذا العبد الضعيف الذي تشتمه الأقوام كلها هو من عنده ﷻ. فطوبى للذي يستفيد منها، آمين.

المعلن

ميرزا غلام أحمد، المسيح الموعود

---

[1] ترجمة أبيات أردية. (المترجم)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

آرِيُّو قاديان ونحن

هناك جريدة للآريين تصدر في قاديان ولعل صدورها قد انقطع من هنا منذ يناير/كانون الثاني ١٩٠٧م، وُجِّهت فيها إلي تهمة غريبة نقلا عن "لاله شرمبت" المقيم في قاديان، وهي أنني قلتُ بمناسبة جلسة ديسمبر/كانون الأول ١٩٠٦م بأن الآيات السماوية التي أعطانيها الله تعالى لا يشهد عليها المسلمون فقط بل الهندوس أيضا من هذه القرية- بمن فيهم "لاله شرمبت" و"لاله ملاوامَلْ" من الآريين الساكنين في قاديان أيضا- مطلعون على آياتي. ولم أقل ذلك فقط في الجلسة أمام جميع الضيوف الذين اجتمعوا قادمين من كل جهة ومن بلاد بعيدة وبلغ عددهم قرابة ألفَي شخص، بل قلتُ أيضا أن جميع الهندوس أيضا في هذه القرية- فضلا عن المسلمين فيها- شاهدوا آياتي، لأنه قد مضى قرابة ٣٥ عاما على نشري نبوءة بأن الله تعالى يقول ما مفاده: مع أنك وحيد حاليا وليس معك أحد ولكن الوقت قريب حين سأجعل آلاف الناس يُقبلون عليك، ومع أنك لا تملك سعة مالية حاليا ولكني سأُلـهم قلوب أناس كثيرين أن ينصروك بأموالهم. يأتيك الناس أفواجا ويقدمون لك أموالا وسيأتون بكثرة حتى تكاد تسأم. يأتون إلى قاديان من كل جهة ومن كل فج عميق. وعندما تظهر بوادر هذه النبوءة سيودّ الأعداء ألا تتحقق، وسيحاولون ألا يحدث ذلك، ولكني أُفشلهم وأخيِّب آمالهم وأحقق وعدي. وقال أيضا بالإضافة إلى ذلك: سأباركك بركة تلو بركة، حتى إن الملوك سيتبركون بثيابك.

هذا ملخص نبوءة نُشرت في "البراهين الأحمدية" قبل ٢٦ عاما من اليوم. ولكن الحق أن زمن النبوءة يعود إلى زمن أقدم من ذلك بكثير، إذ قد أُنبئ بها قبل ٣٥ عاما على الأقل. فقد ذكرتُ هذه النبوءة في تلك الجلسة، وكانت مناسبة ذكرها أنني حين كنت أصلّي في المسجد الجامع مع أفراد جماعتي الذين بلغ عددهم ألفَي شخص تقريبا، وكان أفراد جماعتي الأكارم قد جاءوا من أماكن نائية وفيهم أصحاب مناصب مرموقة في الحكومة الإنجليزية والزعماء الكرام والإقطاعيون الأثرياء والنوَّاب والأثرياء أيضا. وحين كنا في الصلاة في مسجدنا الجامع هذا بدأ أحد الأشرار من الآريين البراهمن يكيل الشتائم وكان يقول ويكرر ضمن شتائمه بأن العاهرين كلهم، والعياذ بالله، مجتمعون في هذا المكان، ولماذا لا يصلّون في الخارج؟ وقد شتمني أنا قبل غيري وذكرني مرارا بكلمات بذيئة أفضِّل أن أُبقي كتابي هذا منـــزَّها عن ذكر تفصيلها. صلينا الصلاة إلى ساعتين تقريبا بينما ظل هذا البرهمن من قوم الآريين يشتم بكلمات بذيئة وقذرة جدا. وكان بعض السيخ من القرية أيضا يرون جماعتنا الكبيرة العدد ويتعجبون من أن الله تعالى قد جمع عالَمًا، وحاولوا منع الشاتم ولكن ذلك الآري ذا الطبع الخبيث لم يتوقف وظل ينادي المسلمين المحترمين بكلمة "العاهرين" الخبيثة وظل يستفزهم.

كان هذا ألم كبير اضطررت إلى تحمله في أثناء الصلاة بالضبط، وخشيتُ أن يثور أحد من أفراد جماعتنا أيضا، ولكن أشكر الله تعالى أن الجميع التزموا الصبر. ولكني أستغرب لماذا اختار هذه الكلمة الخبيثة والنجسة لهذه الجماعة؟ لعله تذكّر عادة الـــ"نيوك" الموجودة في مذهبه[1]. وحينئذ كان موظف حكومي وهو نائب رئيس الشرطة في بطالة أيضا موجودا.

---

[1] الـــ "نيوك" أمر ديني بحسب الديانة الآرية، وبموجبه يمكن لزوجة عفيفة لأيّ شخص من الآريين لم تُطلَّق بعد وزوجها على قيد الحياة أن تضاجع شخصا آخر بُغية الحصول على الأولاد. ويمكنها أن تستمر في ذلك إلى أن تنجب ١١ ولدا من نطاف شخص غير

فخلاصة الكلام، حين تجاوزت شتائمه الحدود تأذت قلوب المسلمين المحترمين بشدة متناهية. لو كانوا قوما همجيين لكانوا قادرين على أن يلقّنوا جميعَ الآريين في قاديان درسا. ولكن أخلاقهم جديرة بالإشادة فعلا إذ قد صبروا على شتائم هذا الآري السافل البذيئة جدا وكأنهم ميتون لا يملكون صوتا، وتمسكوا بتعليم كررته عليهم بأن يعاملوا أعداءهم بالصبر.

عندما قضيت الصلاة لاحظت أن قلوبا كثيرة كانت قد تأذت بهذه الشتائم البذيئة. عندها قمت وخاطبتهم جبرا لخواطرهم وقلتُ بأن ينفضوا من القلوب الأذية التي واجهوها لأن الله يرى وسيعاقب الظالم بنفسه. وقلتُ أيضا بأني أعلم جيدا أن الهندوس في قاديان تحت طائلة غضب الله أكثر من غيرهم لأنهم يشاهدون آيات الله العظيمة، ومع ذلك يكيلون شتائم بذيئة ويؤذون. إنهم يعلمون قدر عظمة آية القدرة التي أظهرها الله تعالى في هذه القرية. ولا يجهلون أيضا كيف كنتُ في زاوية الخمول قبل ٢٦ أو ٢٧ عاما من اليوم. هل لأحد أن يقول بأن إقبال الخلق عليّ كان موجودا حينها؟ بل لم يكن في جماعتي ولا شخص واحد، وما كان أحد يأتي لملاقاتي، وما كان لي أيّ دخل إلا قليلا من أملاكي. ففي ذلك الزمن بل في زمن قبله الذي مضى عليه أكثر من ٣٥ عاما، أخبرني الله تعالى قائلا ما مفاده: سيأتيك الناس بعشرات الآلاف من كل حدب وصوب، حتى تتحفّر الشوارع بمجيئهم. وتأتي الأموال من كل طرف. ويبذل المعارضون من كل قوم قصارى جهدهم في مكايدهم لكي لا تتحقق هذه النبوءة، ولكنهم سيفشلون في جهودهم.

لقد نُشر هذا النبأ في ذلك الزمن في كتابي "البراهين الأحمدية" وأشيع في كل بلد.

زوجها. وامرأةٌ مثلها تُعَدّ مقدسة جدا من منطلق الدين. والمولود بهذه الطريقة يُحسَب منجِّيًا لأمه وأبيه الافتراضي من الجحيم ومخلِّصا لهما. منه.

ثم بدأت النبوءة تتحقق رويدا رويدا بعد فترة من الزمن، والآن يربو عدد جماعتي على ثلاث مائة ألف[1] شخص. أما بخصوص الفتوحات المالية فقد جاءتني عدة مئات الألوف من الروبيات إلى الآن. وتُنفق أحيانا ١٥٠٠ روبية أو ٢٠٠٠ روبية شهريا على دار الضيافة، فضلا عن الدخل من المدرسة وغيرها. هذه آية كان من واجب الهندوس في قاديان أن ينتفعوا بها لأنهم كانوا أول شهود عيان عليها، وكانوا يعرفون كيف كنت خامل الذكر في زمن تلك النبوءة.

هذا ما قلتُه في تلك الجلسة وقلتُ أيضا في نهاية خطابي بأن أكبر شاهد من جميع الشهود الآريين على هذه الآية هما "لاله شرمبت" و"لاله ملاوامَلْ" اللذان يسكنان في قاديان لأن كتاب "البراهين الأحمدية" الذي فيه هذه النبوءة طُبع وأُشيع أمام أعينهما. بل قد أخبرت بهذه النبوءة هذين الآريَّيْنِ قبل طباعة البراهين الأحمدية، أي حين توفِّي والدي. وبيانها الموجز أن الله تعالى أخبرني بوفاة والدي بكلمات: "**والسماء والطارق**"، أي أقسم بالسماء وأقسم بالحادث الذي سيحدث بعد غروب الشمس. وأُفهمتُ بأن المراد من هذه النبوءة هو أن والدي سيموت بُعيد غروب الشمس. وهذا الإلهام كان كعزاء كما جرت عادة الله مع عباده الخواص. وحين حزنت وقلقتُ بسماع هذا الخبر لأن معظم أسباب دخلنا المرتبطة بأبي ستنقطع بوفاته؛ تلقيتُ إلهاما:

"أليس الله بكاف عبده"

فقد أُخبر في هذا الوحي الإلهي بصراحة تامة أن الله تعالى سيتكفّل بنفسه كافة الحاجات. وبحسب هذا الإلهام توُفِّي والدي بعد غروب الشمس،

[1] في أثناء تأليف هذا الكتيب وصلتني من الإسكندرية بمصر رسالة بالبريد بالأمس بتاريخ ١٩٠٧/١/٢٣م. وكاتبها شخص محترم وصالح من مدينة الإسكندرية واسمه أحمد زهري بدر الدين. رسالته محفوظة لديّ وهي بيدي الآن. يقول فيها ما مفاده: أبشرك بأنه قد كثرت أتباعكم في هذه البلاد وصارت عدد الرمل والحصا. ويقول أيضا: لم يعد -بحسب رأيي- شخص إلا وقد صار مريدا لك. منه.

وانقطعت جميع أسباب معاشنا المرتبطة به مثل معاش تقاعده والـمِنح وغيرها. ففي تلك الأيام التي مضى عليها ٣٥ عاما رأيتُ أن يُحفر هذا الإلهام أي: **"أليس الله بكاف عبده"** في فصٍّ خاتَم، وأرسلتُ الآريّ "لاله ملاوامَلْ" إلى أمرتسر لحفره في فص الخاتم. وكان الهدف الوحيد من إرساله أن يكون هو وصديقه "لاله شرمبت" عليها من الشاهدين. فسافر إلى أمرتسر وجاء بخاتَم صُنع بواسطة "حكيم محمد شريف الكلانوري" مقابل ٥ روبيات، ونقشه: **"أليس الله بكاف عبده"**، وهو موجود إلى الآن. يعود تاريخ هذا الإلهام إلى ٣٥ أو ٣٦ عاما تقريبا، ويشهد عليه هذان الآريّان، ويعرفان كيف كانت حالتي في تلك الأيام. كذلك يعرفان جيدا كيف كنت أعيش في زاوية الخمول حين كان كتاب "البراهين الأحمدية" الذي وردت فيه الإلهامات المذكورة آنفا قيد الطبع في مطبعة القسيس "رجب علي" في أمرتسر. وقد حدث أكثر من مرة أن هذين الآريين كانا يرافقانني إلى أمرتسر دون أن يكون معي شخص آخر سوى الخادم. وفي بعض الأحيان كان "لاله شرمبت" وحده يرافقني.

فيمكن أن يقول هؤلاء حلفا بالله ما كانت عليه حالتي من خمول في ذلك الزمن. ما كان يأتيني أحد إلى قاديان، وإذا سافرت إلى مدينة أخرى ما اكترث بي أحد. وكنت في نظرهم كشخص وجوده وعدمه سيان.

أما الآن فها هي قاديان نفسها التي يأتيني فيها آلاف الناس، ولا تزال مدينة أمرتسر ولاهور نفسهما اللتان يقصد محطة القطار فيهما مئات الناس لاستقبالي عند سفري إليهما. بل يصل عددهم إلى الآف في بعض الأحيان. ففي عام ١٩٠٣م حين سافرت إلى مدينة جهلم جاء لاستقبالي أحد عشر ألف شخص تقريبا كما يعلم الجميع. كذلك إن سلسلة مئات الضيوف القادمين إلى قاديان التي لا تزال مستمرة الآن، لم يكن لها أدنى أثر في ذلك الزمن. يعرف جميع

الهندوس في قاديان جيدا ولا سيما "لاله شرمبت" و"ملاوامَلْ"– اللذان ينكران[1] الآن آيات الله بسبب ضغط القوم– أن جزء بيتنا الخاص بالرجال كان في تلك الأيام خرابا محضا وخاليا، وما كان أحد يأتيني سواهما، إذ كانا يزورانني حوالي مرتين أو ثلاث مرات يوميا. فيمكنهما أن يشهدا بكل ذلك حلفًا.

فكان خطابي يوم الجلسة يتلخص في أن حجة الله قد تمت على الآريين من قاديان، وخاصة على هذين الآريينِ اللذين هما شاهدا عيانٍ لآيات كثيرة. ولكن هؤلاء القوم لا يخافون إلـــها يملك قوى عظيمة ويقدر على أن يهلك في لمح البصر. وكما قلت من قبل بأنه قد تحققت إلى جانب تلك النبوءة نبوءة أخرى أيضا وهي منشورة في الكتاب نفسه أي البراهين الأحمدية وأُشيعت في البنجاب والهند كلها في الزمن نفسه الذي مضى عليه ٢٦ عاما تقريبا؛ أي أن الأعداء سيبذلون كل ما في وسعهم ألا يتحقق هذا الازدهار وهذه الآية وإقبال الناس، وألا ينصرني الناس نصرة مالية، ولكن الله تعالى سيحقق نبوءته على أية حال وسيفشل الجميع. وهذه الأنباء ليست بالعربية فقط بل مذكورة في البراهين الأحمدية بالأردية والإنجليزية والفارسية والعبرية أيضا.

ثم عندما بدأت بوادر تلك النبوءات تظهر للعيان بعد بضع سنين نشأ في قلوب الأعداء حماس لعرقلتها. فنشر لاله ملاوامَلْ بالتشاور مع لاله شرمبت إعلانا في قاديان مضى عليه عشر سنوات تقريبا قال فيه عني بأن هذا الشخص مكّار محضٌ ومخادع وتاجر، ينبغي ألا ينخدع الناس به، ولا ينصروه ماليا وإلا سيضيِّعون أموالهم. كان الآريون يقصدون من وراء هذا الإعلان أن يمتنع الناس عن الإقبال عليّ ويحجموا عن النصرة المالية. ولكن العالم يعرف أن عدد أفراد جماعتي ما كان يربو على ستين أو سبعين شخصا في زمن ذلك الإعلان. ويمكن

[1] لا أعرف بدقة أن لاله شرمبت ولاله ملاوامَلْ ينكران تلك الآيات كلها التي شاهداها فعلا، بل أقول ذلك نقلا عن جريدة الآريين فقط. ولا أتوقع أن يتخلى الإنسان عن خشية الله لدرجة أنْ ينكر شهادة العيان. إن أمر كل شخص مفوَّض إلى الله في نهاية المطاف. منه.

التأكد أيضا من السجلات الحكومية أن دخلي الشهري في ذلك الزمن كان ثلاثين أو أربعين روبية على أكثر تقدير. ولكن بعد هذا الإعلان توالت النصرة المالية كأنها بحر زخار. وقد بايع إلى اليوم مئات الآلاف من الناس. ولا يزال يبايع خمس مائة شخص تقريبا كل شهر. وهذا يُثبت أن الإنسان لا يقدر على مقاومة الله. إن بياني هذا ليس بغير دليل بل إن إعلان ملاوامَلْ - الذي كُتب بالتشاور مع لاله شرمبت- ما زال موجودا عندي. إن عدد الضيوف القادمين إلينا يُحصى على المستوى الحكومي على أية حال. فاقرؤوا تاريخ نشر الإعلان المذكور ثم قارنوا ذلك الزمن بواسطة المستندات الحكومية مع زمن تلاه وانظروا كم كان عدد الضيوف القادمين قبل الإعلان وكم كانت كمية النقود الواردة حينذاك ثم إلى أيّ مدى حالفتني نصرة الله بعده. ويمكن أن يتبين بواسطة سجلات الحوالات البريدية، والمستندات الحكومية لتعداد الضيوف، كم كان عدد جماعتي في الزمن الذي نشر فيه ملاوامَلْ ذلك الإعلان؛ أي يمكن أن يُعرف جيدا ويتضح بجلاء من سجلات وصلت إلى الحكومة بواسطة الشرطة كم كان عددُ جماعتي حين نشر ملاوامَلْ إعلانا لمنع الناس، ومقدار النقود التي كانت تأتيني، كذلك مدى التقدم الذي حصل بعد ذلك.

أقول صدقا وحقا بأنه قد حصل التقدم كما تتحول قطرة إلى بحر. وكان هذا التقدم غير عادي ومعجزا. مع أنه لم يبذل ملاوامَلْ وحده بل بذل كل عدوّ قصارى جهده لعرقلة هذا التقدم وأرادوا أن تبطل نبوءة الله تعالى. ولكن كانت النتيجة أن تحققت نبوءة أخرى أيضا كما قال الله تعالى من قبل فلم يقدر الأعداء أن يوقفوا إقبال الناس.

إذا كان المرء يملك شيئا من الحياء والخجل فله أن يدرك أن هذه الأمور الغيبية العميقة للغاية والمليئة بقدرة إلهية تفوق قدرة البشر تماما، ويستطيع أن يفكر أنها إذا كان هذا الأمر من فعل الإنسان لنجحت مساعي الناس المعادية حتما. ولكن لم تكن نتيجة تلك الإعلانات إلا أن تحققت النبوءة التي قال الله تعالى فيها قبل الأوان بأن الأعداء يسعون بكل ما في وسعهم ألا تتحقق نبوءة

العروج والنصرة الإلهية وإقبال الخلق، ولكنها سوف تتحقق حتما. واللافت في الموضوع أنه ليس ملاوامَلْ فقط الذي بذل قصارى جهده بل إن بانديت الآريين أيضا الذي قضت عليه نبوءة الله، أي ليكهرام، هو الآخر أيضا قد هدر جزءا من عمره التافه في كتابات من هذا القبيل كيلا تتحقق النبوءة التي سبق أن نُشرت في البراهين الأحمدية عن إقبال مئات آلاف الناس وورود مئات آلاف الروبيات. وكانت النتيجة أنْ صار ذلك الشقي رمادا، محقّقا بذلك نبأ أنبأني الله به قبل خمس سنوات قائلا بأنه سيُقتل في غضون ستة أعوام عقوبة على بذاءة لسانه.

كذلك بذل النصارى أيضا قصارى جهودهم لعرقلة هذه النبوءة. وإعلاناتهم أيضا موجودة عندي. كذلك المسلمون- الذين كان واجبهم بل في الحقيقة مفخرة لهم أن يقبلوني- أخرجوا كل ما كان في جعبتهم لعرقلة نبوءة نُشرت قبل ٢٦ عاما في البراهين الأحمدية عن تقدمي وازدهاري وإقبال الناس في المستقبل، وكانت قد شاعت شفهيا منذ ٣٥ عاما تقريبا. ويُخيَّل إلي أنهم قد أصدروا أكثر من مائة ألف نشرة أكّدوا فيها أن هذا الشخص كافر ودجال وملحد فلا يتوجّهن إليه أحد ولا يساعدنَّه، بل يجب ألا يصافحه أحد ولا يسلّم عليه، وينبغي ألا يُدفن في مقبرة المسلمين بعد موته. ولكن انظروا كيف ظهر تأثير إعلاناتهم على عكس مبتغاهم! الأمر الذي يشير إلى قدرة الله بكل جلاء، إذ بايعني بعد ذلك مئات الآلاف من الناس، وجاءتني مئات الآلاف من الروبيات والهدايا الأخرى من كل حدب وصوب بما لا يُعدّ ولا يحصى. ولقد لطمت قدرةُ الله وغيرتُه وجوههم بحيث كُتبت لهم الخيبة والخسارة في كل موطن. وكان الموت أو الذلة في نصيبهم في كل مباهلة. كل هذه الإعلانات التي نشرها المسيحيون والآريون والمسلمون محفوظة في بعض الصناديق عندي، وهي مليئة بآلاف الشتائم والسباب الأكثر بذاءة من شتائم يكيلها أناس من أدنى الفئات الاجتماعية. وصفوني فيها بأني مكّار ومزيِّف ومخادع ودجال وملحد وعديم الإيمان. وقد احتفظت بها لكيلا يكون بوسع أحد إنكارها.

فعندما أنظر من ناحية إلى نبوءة الله في البراهين الأحمدية تقول لي بأنك وإن كنتَ وحيدا الآن وليس معك أحد ولكن الوقت قريب بل هو على الأبواب حين يلحق بك مئات آلاف الناس، وينصرونك بأعز أموالهم وسيسعى الأعداء من كل قوم قدر استطاعتهم ألا تتحقق هذه النبوءة ولكني سأجعلهم خائبين خاسرين، وأعصمك من كل دمار وإن لم يكن هناك عاصمٌ، ومن ناحية أخرى أرى بذْلَ الأعداء من جميع الأقوام جهودهم لعرقلة هذه النبوءة بحسب مضمونها، ثم أرى كيف تحققت في نهاية المطاف على الرغم من معارضة الأعداء الشديدة بحيث لو جُمع اليوم جميع المبايعين في ميدان واسع لزاد عددهم على جيش مِلِك عظيم. يغلبني البكاء وجدا على هذا الموقف أنه كم هو قادر ربنا الذي لا يُردّ قولُه قط وإن قام العالم كله للعداوة وأراد عرقلته!

هذا ما قلتُه في الجلسة، والآن أتساءل: ألا يعلم الهندوس في قاديان عن هذه النبوءة وتحققها شيئا؟ هل يجهل لاله شرمبت ولاله ملاوامَلْ هذه النبوءة؟ هل للآريين أن يأتوا بنظيرها من ديانتهم؟ وهل لهم أن ينكروا بأن الزمن الذي أُنبئ فيه بهذه النبوءة لم يكن أحد مقبِلا عليّ فيه؟ ملعون مَن يكذب، وميِّتٌ ذلك اللئيم الذي يكتم الحق. الناس أمثالهم ينكرون الله في الحقيقة وإن قالوا بلسانهم بأنه موجود. ولكن الله تعالى يُثبت بقدراته أنه موجود. أعرف جيدا- ليس من اليوم بل منذ قديم الزمان- أن الهندوس في قاديان ألدّ أعداء الإسلام بوجه عام ويحبون الظلام ويسعون إلى الظلام أكثر حين يرون النور، وكأن الله ليس موجودا بحسب رأيهم. لقد أراهم اللهُ آية ليكهرام العظيمة ولكنهم لم يتعلّموا منها درسا. كم كانت الآية واضحة إذ أُخبر فيها أن ليكهرام لن يموت بموت طبيعي بل سيُقتل في غضون ستة أعوام؟ وأن هذا الحادث سوف يحدث في يوم يلي يوم العيد، فكان كذلك.

وكان أساس تلك النبوءة أن ليكهرام كان يكذّب دين الإسلام وكان يستخدم لسانا بذيئا بشدة ويشتم. فأخبرني الله تعالى أن ليكهرام يُطلِق على الإسلام سكين اللحم، أي سكين لسانه، ولكن الله تعالى سيقضي عليه بسكين حديدية،

فكان كذلك تماما. ولقد نشرت إعلانا قلت فيه: يا أيها الآريون، إذا كان إلهكم يملك شيئا من القدرة فأنقذوا ليكهرام بالدعاء والالتماس منه، ولكن لم يقدر إلهكم على إنقاذه. وكان ليكهرام قد تنبأ عني بأن هذا الشخص سيموت في غضون ثلاث سنوات، ولكن الله أثبت بطلان نبوءته وغلب إلــهنا. ثم باهلني في كتابه "خبط الأحمدية"، أي دعا أن يموت صاحب الدين الباطل منا، فمات هو نفسه بعد هذا الدعاء، وختم بذلك على أن الديانة الآرية ليست صادقة بل الإسلام هو الدين الصادق. وبموته شهد بحقي أيضا أني من عند الله تعالى.

وإن أنْسَ فلن أنسى أسفي على أن السبب الحقيقي وراء موت ليكهرام كان هندوس قاديان، أما هو فكان جاهلا محضا. وعندما جاء إلى قاديان قال له هندوس قاديان عني بأني كاذب ومزيِّف. فتشجع كثيرا بسماعه لهذا الكلام وفسد طبعه، وجعل لسانه سكينا من البذاءة. ولكن السكين نفسها قضت عليه. إن كيل الشتائم لنبي الله المجتبى والطاهر وتكذيب الصادق يجعل الإنسان مستحقا للعقوبة في نهاية المطاف. لو اختار ليكهرام[1] الليونة والتواضع لأُنقِذ،

---

[1] هنا يجدر بالتذكر ما يدل على قدرة الله أنه كانت هناك نبوءة عن عبد الله آتهم أنه سيموت في غضون ١٥ شهرا إن لم يرجع إلى الحق، أما النبوءة عن ليكهرام فقد جاء فيها أنه سيُقتَل في غضون ستة أعوام. ولكن لما ظل عبد الله آتهم باكيا بشدة في أيام ميعاد النبوءة واستولت عظمةُ الحق على قلبه و لم يتفوه بكلمة سيئة في أثناء تلك المدة، أطال الله الرحيم والكريمُ مدته حتى مات بعد أن عاش فترةً وجيزة أخرى. أما ليكهرام فقد أطال لسانا سليطا بعد سماعه النبوءة كما هي عادة السفلة من الهندوس، فلم تبلغ النبوءة عنه ميعادها أيضا حتى قُتل بحسب النبوءة حين كانت سنة كاملة باقية من الميعاد. كذلك أظهر أقارب أحمد بيك حزنهم وخوفهم الشديد على إثر تحقق النبوءة عنه أي بعد موته، لذا فقد أخّر الله تعالى موت صهره بحسب وعده، لأنه قد جاء وعد الله تعالى على لسان جميع الأنبياء أنه إذا كانت نبوءة عن نزول بلاء على قوم ثم خشي الناس وامتلأت قلوبهم ذعرا واسترحموا الله بالدعاء أو الصدقات، يرحمهم الله تعالى. فمن منطلق هذا المبدأ يتصدق الناس في كل قوم عند حلول بلاء. منه.

لأن الله تعالى كريم ورحيم ويمهّل في العقاب، ولكن هؤلاء القوم خدعوه بشدة. أعلم أن ذنب موته في عنق هندوس قاديان. وأتأسف على أن هؤلاء القوم عاملوه بسوء. يقولون بلسانهم أن الإله موجود ولكني لا أقبل أن قلوبهم تؤمن به. إن دينهم لغريب حقا إذ يسبون جميع الأنبياء الذين خلوا في الأرض ويكذبونهم وكأن بلدا صغيرا، أي الهند، كان مقام عرش الله دائما و لم تكن له علاقة مع بلاد أخرى أو ظل غافلا عنها تماما. ولكنه تعالى يقول في القرآن الكريم بأن الأنبياء جاؤوا في جميع البلاد. كذلك خلا في الهند أيضا رسل الله الأطهار ومتلقّو كلام الله، وهكذا كان يجب أن يكون؛ لأن الله إله البلاد كلها وليس إله بلدٍ واحد. ولا ندري أيّ شيطان نفث في قلوبهم أن جميع كتب الله سوى "الفيدا" كاذبة. وكأن نبي الله موسى وحبيب الله عيسى وصفي الله محمد المصطفى ﷺ كلهم كانوا كاذبين ومكّارين والعياذ بالله. إن شريعتنا تعرض عليهم رسالة الصلح ولكن معتقداتهم النجسة ترمي إلينا سهاما محرضةً على الحرب. نقول: لا تقولوا لكبار الهندوس مكارين أو كاذبين ولكن قولوا بأن هؤلاء القوم نسوا دينهم الحق بعد مرور آلاف السنين. ولكن هؤلاء الناس ذوو طبائع خبيثة يكيلون مقابل سلوكنا هذا شتائم بذيئة لأنبيائنا الأخيار ويدعونهم مفترين وكاذبين. فهل لأحد أن يفكر أن يتم الصلح مع هؤلاء الهندوس؟ إن أتباع مذهب "سناتن دهرم" خير منهم إذ يملك معظمهم أخلاقا حسنة ويحترمون جميع الأنبياء ويُخفضون رؤوسهم تواضعا.

أظن أنه من الممكن أن تتصالح معنا سباع الفلوات وذئابها وتتخلى عن الشر، ولكن الظن أن أصحاب مثل هذه المعتقدات سيتصالحون مع المسلمين بصدق القلب باطل تماما. بل إن صلحهم صلحا صادقا مع المسلمين بهذه المعتقدات أكثر استحالة من آلاف المحالات. هل لمسلم صادق أن يتحمل سماع الشتائم بحق أنبيائه الأطهار والمقدسين ثم يتصالح معهم؟ كلا.

فالتصالح مع هؤلاء مضرّ ضررَ تربية الحية السامة اللادغة في كُمّ القميص. إن هذا القوم مسودّة القلوب بشدة إذ يعُدّون جميع الأنبياء الذين قاموا بإصلاحات

عظيمة في الدنيا مفترين وكذابين. لم يسلم من لسانهم موسى ولا عيسى عليهما السلام ولا سيدنا ومولانا خاتَم الأنبياء ﷺ الذي أصلح العالم أكثر من غيره على الإطلاق، والأموات الذين أحياهم ﷺ ما زالوا أحياء.

كيف يتسنى ثبوت وجود الله الذي هو غيب الغيب بشهادة واحدة فقط؟ لذلك خلق الله تعالى آلاف الأنبياء في كل قوم وفي كل بلد في العالم، وقد جاؤوا في أوقات نجست فيها الأرض بذنوب الناس. فأثبتوا وجود الله تعالى بآيات عظيمة ورسّخوا عظمته في القلوب وأحيوا الأرض من جديد. ولكن هؤلاء الناس يقولون بأنه لم ينـــزل أيّ كتاب من عند الله سوى الفيدا، وكان الأنبياء كلهم كاذبين وكانت عصورهم عصور المكر السيئ والخديعة. مع أن الفيدا لم يستطع إلى الآن أن يطهِّر الهند أيضا من الشرك وعبادة الأوثان والنار.

فحاصل الكلام أن هؤلاء الناس قد تجاوزوا كل الحدود في تكذيب الأنبياء الذين يسطع صدقهم كالشمس. والله الذي يغار لعباده سوف يحكم في ذلك حتما، وسيُري بالتأكيد قدرته لأنبيائه الأحباء عنده. نحن لا نظلمهم وهم يظلموننا. نحن ندعو لهم وهم يرموننا بالسهام. أقول حلفا بالله ﷻ إنهم لو جرّحونا بالسيف لما شقّ علينا ذلك مثلما تتمزق قلوبنا بشتائمهم التي يكيلونها لأنبيائنا الأصفياء. لا نستطيع أن نداهن- بعد سماعنا هذه الشتائم- مثل أناس ذوي طبائع خبيثة وديدان الأرض الذين يقولون بأنهم يحترمون هؤلاء جميعا ولكن لو شُتم آباؤهم لما قالوا ذلك قط. ندعو الله تعالى ليحكم بيننا وبينهم. إنه لدينٌ غريب، هل يُتوقّع من هؤلاء القوم أيّ خير؟ كلا. إنهم قوم يعادون الإسلام بل الأنبياء كلهم أشد العداوة. وبحوزتنا مجلاتهم المليئة بالسباب والشتائم.

والآن أعود إلى صلب الموضوع وأقول: إن ما جاء في جريدة الآريا من قاديان، نقلا عن لاله شرمبت أخ لاله بسمبر داس بأنهم لم يروا أية آية سماوية على يد مؤلف هذا الكتاب إنما هو كذب لدرجة أنْ لو أكل أحد أخبث أنواع النجاسة لكان أهون منه. يستيقن المرء بسماع هذا الكلام أن الكاذب إلى هذا

الحد لا يؤمن بإلهه ولا يخاف قط أنه يمكن أن تكون عاقبة الكذب وخيمة. وما دمتُ قد كتبت في عديد من كتبي عن لاله شرمبت ولاله ملاوامَلْ من سكان قاديان، أنهما شاهدا على يدي آية سماوية كذا وكذا بل شاهدا عشرات الآيات، وقد أُشيعت تلك الكتب أيضا في ملايين الناس إلى يومنا هذا. فإن لم يشهدا آيات سماوية على يدي فمَن عساه أن يكون أشد كذبا مني ومن عساه أن يكون أنجس مني طبعا وأكثر افتراء إذ اعتبرتهما شاهدينِ على آياتي كذبا وزورا! وإن كنت صادقا في ادّعائي فكل عاقل يُدرك أنه لا إهانة لي أكبر من أنهما كذّباني وعدّاني مفتريا في الجرائد والإعلانات. الناس في أماكن بعيدة لا يدرون حقيقة الأمر بل يمكن- نتيجة العداوة التي يكنّها لي معظم الناس- أن يعدّوهما صادقَين ويعُدُّوا شهادتهما كشهادة الأهل ويسيئوا عاقبتهما أكثر من ذي قبل. ولأني لا أستطيع أن أتحمل هذه الإساءة والإهانة، ولأن ذلك يترك تأثيرا سيئا جدا على جماعة أقامها الله تعالى لذا أقول لــ لاله شرمبت وملاوامَلْ أن يتحاكما معي بالحلف بالله، إما شفهيا أو خطيا. وعليهما أن يحلفا بالله أننا لم نشاهد الآيات المذكورة فيما يلي. وإن كنا كاذبَين في ذلك فلينــزل الله عقوبة الكذب علينا وعلى أولادنا. والآيات السماوية التي كتبتُها في "البراهين الأحمدية" كثيرة ولا حاجة إلى كتابتها كلها من أجل هذا الحلف.

(١) يكفي لــ لاله شرمبت أنه شاهَدَ أولا زمنا حين سافر معي وحده إلى أمرتسر بضع مرات، كذلك رافقني إلى بيت القسيس "رجب علي" عدة مرات في أيام طباعة البراهين الأحمدية، ويعلم جيدا بأني كنت حينئذ خامل الذكر و لم يكن أحد على صلة بي. ويعلم أيضا جيدا أني كنت وحيدا فريدا في زمن نُشر فيه البراهين الأحمدية أي حين سُجّلت النبوءة في البراهين الأحمدية عن إقبال الناس. والآن عليه أن يُقسم هل رأى تحقق هذه النبوءة بأم عينيه أم لا؟ وليقل حالفا بالله هل يمكن للإنسان أن يُنبئ في زمن فقره وخموله أمام العالم نبوءة قطعية ويقينية أن الله تعالى قال له: سيأتيك زمان قريبا حين لن تبقى خامل الذكر بل سيُقبل عليك مئات آلاف الناس وتأتيك مئات آلاف الروبيات،

وستُعرَّف بالعزة والإكرام في العالم كله تقريبا. ثم يحقق الله هذه النبوءة مع علمه أن صاحبها افترى عليه وكذب وأكل نجاسة الكذب، وأن الله سيُفشل ويخيِّب بحسب نبوءاته آمال كلَّ من يتصدى له. فليحلف لاله شرمبت، هل رأى تحقق هذه النبوءة أم لا؟ وهل عنده نظير أن تنبأ كاذب بمثل هذه النبوءة باسم الله ثم تحققت؟ عليه أن يقدِّم هذا النظير.

(٢) وليقل حالفا حلفا ثانيا: أليس صحيحا أن أخاه بسمبر داس قد عوقب مع برهمن "خوشحال" في قضية جنائية وسُجنا؟ عندها طلب مني الدعاء فأخبرته بإعلام من الله أن عقوبة بسمبر داس قد خُفِّفت إلى النصف نتيجة دعائي. ورأيته في الكشف أني وصلت إلى مكتب فيه سجل عقوبته، وشطبتُ نصف عقوبته بقلمي، ولم أشطب عقوبة "برهمن خوشحال" بل أبقيتُها كما هي لأنه لم يطلب مني الدعاء. أَوَليس صحيحا أنني قلت أيضا عندما أخبرته بتلك النبوءة بأن الله تعالى أخبرني بوحيه أن ملف القضية سيعود من المحكمة العليا وستُخفَّف عقوبة بسمبر داس إلى النصف ولكن لن يُطلَق سراحه، وأن برهمن خوشحال سيخرج من السجن بعد أن يقضي العقوبة كاملة. وقلتُ ذلك بُعيد تقديم الاستئناف من قبل بسمبر داس و"برهمن خوشحال" ودون أن يعرف أحد ماذا عسى أن تكون عاقبتها، حتى إن قضاة المحكمة العليا أيضا لم يعرفوا إلى أيّ حُكم سيجري قلمهم. فأخبرتُ عندئذ بأن الإله القادر الذي أنزل القرآن يقول لي بأنه قد أجاب دعائي وأن الملف سيعود من المحكمة العليا وتُخفَّف عقوبة "بسمبر داس" إلى النصف نتيجة دعائك ولكن لن يُطلق سراحه، ولن تُبرَّأ ساحة "برهمن خوشحال" ولن تُخفَّف عقوبته لكي تكون آية على إجابة الدعاء. وهذا ما حدث بالفعل إذ عاد الملف إلى محكمة المحافظة بعد بضعة أسابيع وخفِّفت عقوبة بسمبر داس إلى النصف ولم يُشطَب من سجن برهمن خوشحال ولا يوما واحدا، وحُرم كِلا المجرمين من إطلاق سراحهما. فليقل لاله شرمبت بالحلف أيضا أليس صحيحا أنه حين صدر الحُكم على هذا

النحو كما جاء في نبوءتي، كتب إلي في وريقة قال فيها بأن الله تعالى كشف عليك هذه الأمور الغيبية بسبب سعادتك وأجاب دعاءك؟

فليقل لاله شرمبت حالفا أيضا أليس صحيحا أنه ظل يكذب عندي إلى مدة من الزمن بأن أخاه بسمبر داس قد بُرِّئت ساحته؟ ثم عندما جاء الحافظ هدايت علي- الذي كان قاضيا في محكمة بطاله- إلى قاديان صدفة، وكانت الساعة العاشرة تقريبا، قابله بسمبر داس في الجزء الخاص بالرجال في الطابق الأسفل من بيتي، فقال له "هدايت علي": سررنا على خلاصك من السجن ولكن لم تبرّأ ساحتك. عندها قلت لشرمبت: لماذا ظللت تكذب أمامي كل هذه المدة بأن أخاك بسمبر داس قد بُرِّئت ساحته؟ قال شرمبت: قد كتمتُ الحقيقة لأن ظهورها كان مدعاة لوصمة عار لنا وكان من شأنه أن يؤدي إلى المشاكل في أمور الزيجات في المستقبل. فكنت أخاف أن يتهم الأقارب عائلتنا بسوء السلوك.

أَوَ ليس صحيحا أيضا أنه عندما قدِّم الاستئناف في المحكمة العليا عن سجن بسمبر داس كنت في مسجدنا الكبير وقت العشاء إذ جاءني مُلّا علي محمد من سكان قاديان- لا يزال على قيد الحياة وهو يعاند جماعتي- وقال بأن المرافعة قد نجحت وبُرِّئت ساحة بسمبر داس وضجة الفرح قائمة في السوق. عندها أصابني من الحزن ما اللهُ به عليم، ولم أشعر نتيجة الحزن هل أنا حيٌّ أو ميت. وفي هذه الحالة بدأتُ أصلّي، وعندما كنت ساجدا تلقيت إلهاما نصه: **"لا تحزن إنك أنت الأعلى"**. فأخبرت لاله شرمبت بذلك. ثم تبينت الحقيقة أنه قُبل الاستئناف فقط للنظر فيه ولم تُبرأ ساحة بسمبر داس. فليقل شرمبت حالفا بالله، ألم يحدث الأمر على هذا النحو؟ ومن ناحية ثانية فليُستحلَف مُلّا علي محمد أيضا الذي هو معارض بل هو أخو عدوّ لدود وخبيث.

(٣) أليس صحيحا أنه عندما رفعنا قضية في محكمة "بطالة" ضد سيخيٍّ اسمه "شندا سنغ" أنه قطع أشجارا من أرضنا التي كان يزرعها دون إذننا، عندها

دعوت الله تعالى فأخبرني استجابة لدعائي بأنك ربحتَ القضية. وأخبرت شرمبت بهذه النبوءة. ثم حدث أنه لم يحضر المحكمة أحد من جانبنا عند موعد صدور الحكم، وحضرها الفريق الثاني فقط. فجاء شرمبت إلى مسجدنا قرب صلاة العصر وقال لي مستهزئا بأن القضية رُفضت، ولم يُحكم فيها لصالحك. عندها أصابني حزن لا يسعني وصفه لأنه كان كلام الله على وجه القطعية. جلست في المسجد في حالة قلق وحزن شديدينِ ظنا مني أن مشركا قد أخجلني. وما كان لي أن أرفض الخبر لأن قرابة ١٥ شخصا من الهندوس والمسلمين جاؤوا به من بطاله لذا أخذ الحزن الشديد مني كل مأخذ. ففي أثناء ذلك تناهى إلى مسامعي من الغيب صوت مهيب للغاية: [١] **لقد ربحتَ القضية، مُسْلِمٌ**؟ أي أَوَلا توقن بكلام الله؟ لم أسمع صوتا مثله من قبل قط. فسعيت في كل جانب من جوانب المسجد لأعلم منشأ الصوت العالي فتبين أخيرا أنه صوت ملاك، وهم الملائكة أنفسهم الذين يرفضهم اليوم الآريون[٢] العمهون. عندها دعوتُ لاله شرمبت وقلت له بأني سمعت الآن هذا الصوت من الله تعالى، فضحك على ذلك مرة أخرى وقال: لقد جاء من بطاله ١٥ أو ١٦ شخصا بمن فيهم السيخ والهندوس والمسلمون، وبعضهم موجودون في السوق الآن، أنّى لهم أن يكذبوا جميعا. فانصرف بعد قوله ذلك وظن بي أني شبه مجنون. قضيت ليلتي في حالة اضطراب شديد، وما لبث أن انبلج الصبح حتى

---

[١] هو تعريب للوحي بالأردية. (المترجم)

[٢] يقول الآريون الجاهلون: ما حاجة الله إلى أحد كساعي البريد؟ أي أنه ليس بحاجة إلى الملائكة. صحيح تماما أنه ﷻ ليس محتاجا إلى أحد ولكن من سنته أنه يستخدم الوسائط، واستخدام الوسائط من قانونه العام السائد في الطبيعة. فانظروا مثلا أنه يوصل الصوت إلى الأذن بواسطة الهواء. إذًا، إن فعله الروحاني هذا يتطابق تماما مع سلسلة مادية إذ يوصل صوته إلى الآذان الروحانية بواسطة الملائكة الذين يقومون مقام الهواء. وضروري أن يكون هناك تطابق كامل بين كِلتا السلسلتين، المادية والروحانية. وهذا هو الدليل الذي قدّمه القرآن الكريم. منه.

ذهبت بنفسي إلى بطاله. لم يكن القاضي الحافظ هدايت علي موجودا غير أن الموظف المدعو "متهرا داس" كان موجودا- وقد يكون حيا إلى الآن- فسألته هل رُفضت قضيتنا؟ قال: لا، بل ربحتَها. قلتُ: قد أدلى قرابة ١٥ أو ١٦ شخصا من قاديان كانوا من الفريق المعارض أو شهودهم، عند عودتهم، ببيان أن قضيتنا قد رُفضت. قال: لم يكذب هؤلاء أيضا نوعا ما، إلا أن الحقيقة أني ما كنت موجودا عندما كتب القاضي الحكمَ، بل كنت قد خرجت لأمر ما، أو قال بأني ذهبت إلى بيت الخلاء. ولما كان القاضي قد انتقل إلى هنا حديثا فما كان مطلعا على دقائق القضايا المعقدة. وعندما همّ بكتابة الحكم قدّم له الخصوم حكما أصدره فيما سبق نائب المفوَّض وجاء فيه أنه لما كان المزارعون يزرعون الأرض كابرا عن كابر، فمن حقهم أن يقطعوا الأشجار عند الحاجة من أرض يزرعونها ولا دخل في ذلك لصاحب الأرض، وبذلك رفض القاضي القضية. وعندما جئت أنا أعطاني الحكم المكتوب لأصنّفه في الملف، فقلت له بعد قراءة القرار: لقد خدعك المزارعون لأن الحكم الذي قدّموه لك كان قد أُلغي بأمر من المفوض المالي، وبموجبه لا يحق لأحد سواء أكان مزارعا من الورثة أم غيره أن يقطع الأشجار منها إلا بإذن صاحب الأراضي. ثم قدّمت له ذلك القرار من الملف فمزّق القاضي حُكمه السابق على الفور ورماه بعد تمزيقه إربا، وأصدر قرارا جديدا لصالحك وحمّل المدّعى عليهم نفقات القضية أيضا. كان الفريق الثاني قد عادوا إلى قاديان مسرورين بعد أن سمعوا الحكم لصالحهم دون أن يعرفوا عن الحكم الثاني شيئا، فقالوا ما علموا.

باختصار، سردتُ الأمر كله لشرمبت بعد عودتي من هناك واطّلع المزارعون أيضا على فرحتهم الزائفة. فإذا كان لاله شرمبت ينكر هذه الآية أيضا فليقل حالفا بالله أن حادثا من هذا القبيل لم يحدث قط وأن هذا البيان افتراء محض. وإنني لأوقن أن أناسا كثيرين في قاديان ممن شاهدوا هذه الآية لا يزالون أحياء.

وبالإضافة إلى ذلك هناك عشرات الآيات السماوية الأخرى التي شهدها لاله شرمبت بأم عينه. فهو الآن في ورطة كبيرة، إلى متى يُكرهه الآريون على الإنكار؟

(٤) وليقل لاله شرمبت حالفا؛ أليس صحيحا أن السيد نواب محمد حيات خان سي، ايس آئي كان قد أُقيل من وظيفته، ولم يكن هناك أيّ أمل في براءته فالتمس مني الدعاء. عندها كشف الله لي أنه ستُبرَّأ ساحته ورأيته في الكشف جالسا على كرسي القضاء، فأخبرته بذلك؟ ولم أخبره هو فقط بل أخبرتُ كثيرين آخرين أيضا ويشهد على ذلك الآري "كشن سنغ" أيضا. وإن لم يكن ذلك صحيحا فليحلف.

(٥) وليقل لاله شرمبت حالفا؛ أليس صحيحا أنه حين أثار البانديت ديانند ضجة كبيرة في البنجاب وأساء كثيرا إلى نبي الله المقدس محمد المصطفى ﷺ والقرآن الكريم في كتابه "ستيارتهـ بركاش" وعدَّ أنبياء الله الأطهار ذهبا زائفا، قلتُ حينها لشرمبت بأن الله تعالى قد كشف لي بأن يوم موته قريب وسيموت في القريب العاجل لأن قلبه ميت. فمات في مدينة "أجمير" بعد بضعة أيام من النبوءة وذهب بحسراته معه.

(٦) كذلك فليقل شرمبت حالفا؛ أليس صحيحا أني أخبرته ولاله ملاوامَلْ بإلهامي ذات مرة وقت الصباح أنه ستأتي اليوم نقود من شخص اسمه "أرباب سَرْوَرْ خان" وهو من أقارب "أرباب محمد لشكر خان"؟ فذهب ملاوامَلْ إلى مكتب البريد في الموعد وجاء بخبر أن مبلغا كذا قد جاء من "سرور خان"، ثم اعترض قائلا: كيف نعلم أنه من أقارب فلانٍ؟ عندها بُعثَتْ للبتّ في الموضوع رسالة بحضوره إلى المحاسب بابو إلهي بخش الذي هو في هذه الأيام من أعدائي الألداء. فجاء الجواب منه أن "أرباب سَرْوَرْ خان" هو ابن "أرباب محمد لشكر خان".

(٧) أليس صحيحا أنني ذات مرة تلقيت إلهاما *(بالفارسية) ترجمته*: "يا عمِّ، قضيتَ نحبك وأحزنتَني كثيرا". وفي اليوم نفسه وُلد في بيت شرمبت صبي سمّاه "أمين شند". وفي تلك الأيام كان أخي المرحوم غلام قادر مريضا. فقلت لـ لاله شرمبت بأني تلقيت اليوم هذا الإلهام، وفيه إشارة إلى وفاة أخي، وهذا الكلام جاء إلهاما على لسان ابني سلطان أحمد، أو قد تكون فيه إشارة إلى ابنك

الذي سمَّيته "أمين شند"[١]. ما إن قلت ذلك إلا وذهب لاله شرمبت إلى بيته وغيّر اسم ابنه من "أمين شند" إلى "غوكل شند" الذي لا يزال حيا يُرزق. ولكن مات أخي بعد بضعة أيام.

كذلك فليُستحلَف لاله شرمبت هل صحيح أم لا أنه حين رفع المدعو كرم دين ضدي قضية هتك العِرض في محكمة المفوض الإضافي "آتما رام" في غورداسبور، قلتُ لـــ لاله شرمبت بأن الله تعالى أخبرني بأن ساحتي ستُبرَّأ في هذه القضية في نهاية المطاف وسيعاقَب كرم دين. يعود تاريخ هذا الكلام إلى زمن كانت المؤشرات كلها على النقيض من ذلك، وكان رأي القاضي أيضا معارضا لي. كان القاضي "آتما رام" قاسيا جدا في حكمه وغرّمني سبع مائة روبية وكتب الحكم مخرجا كل ما في جعبته. ولكن أُلغِي حكمُ آتما رام، كما كنت أنبأت من قبل، في محكمة القاضي الإقليمي وبرَّأ القاضي ساحتي بكل عزة واحترام وقال في حكمه بأن الكلمات التي استخدمها مستأنف الحكم أي أنا بحق كرم دين وهي: الكذاب واللئيم[٢] لم تهتك عِرض كرم دين قط بل لو استُخدمت بحقه كلمات أقسى منها أيضا لكان مستحقا لها. هذا الحكم صدر بحقي أنا، أما كرم دين فبقيت عليه غرامة خمسين روبية قائمة. لم أسرد هذه

---

[١] مع أنني كنت على يقين أن في الإلهام إشارة إلى وفاة أخي المرحوم غلام قادر، وهذا ما أخبرت به أقاربي بالإضافة إلى أخي المرحوم نفسه، فحزن بذلك كثيرا، وقد تأسفت أيضا بعد ذلك على إخباري إياه، ولكن حين أخبرني شرمبت بأنه سمى ابنه بـــ"أمين شند" خرجت من لساني بقدر الله تعالى بأنه قد يكون المراد من كلمات "يا عمِّ" هو "أمين شند"، لأن الهندوس يختصرون أحيانا اسم "أمين شند" إلى أَمِّي. عندها مُلئ قلبه ذعرا وعاد إلى بيته فورا وغيّر اسم ابنه من "أمين شند" إلى "غوكل شند". منه.

[٢] كان موقف كرم دين أن "الكذاب" يُطلق على من يكذب كثيرا ودائما، واللئيمُ يُطلَق على ولد الزنا وهذا ما هو معروف في عائلته واستشهد على موقفه بالكتب. ولكن قال القاضي الإقليمي بأنه لو استُخدمت بحقه كلمات أكثر منها قسوة أيضا لما أدَّت إلى هتك عِرضه، أي تلك الكلمات خفيفة نظرا إلى حالته، منه.

النبوءة لـ لاله شرمبت فقط بل كنت قد نشرتها في تأليفي بالعربية: "مواهب الرحمن" قبل أن يكون للقضية أي وجود أو أثر، ولا يسع أحدا إنكارها[١].

هذه بضع نبوءات كتبتُها الآن على سبيل المثال لا الحصر، وأقول حلفا بالله بأن بياني هذا كله صحيح وقد سمعه لاله شرمبت مرارا. وإن كنتُ قد كذبتُ فلينـــزل اللهُ عقابه عليّ وعلى أبنائي في غضون عام، آمين. ولعنة الله على الكاذبين.

كذلك يجب على لاله شرمبت أن يحلف هو أيضا مقابل حلفي قائلا: إن كنتُ كاذبا في هذا الحلف فلينـــزل اللهُ عليّ وعلى أولادي عقوبته في غضون عام، آمين. ولعنة الله على الكاذبين[٢].

هذا ما كتبته عن "شرمبت" ويشمل صديقَه ملاوامَلْ أيضا، فعليه أن يقول حالفا: ألم أرسله إلى أمرتسر لحفر كلمات الإلهام: **"أليس الله بكاف عبده"** على فصّ خاتَم بعد وفاة والدي؟ ألم يأت بالخاتَـــم بدفع خمس روبيات؟ وهل كان للازدهار الحالي والشوكة الحالية وإقبال الناس عليّ أي أثر في ذلك الزمن؟ ألم أخبره بهذه النبوءة كلها التي أرسلت له بسببها؟ أيْ قد أخبرته أن الله تعالى أخبرني: إن والدك سيموت قبل غروب الشمس يوم السبت، ولكن عليك ألا تقلق لأني سأتكفّلك دائما وسأتولّى قضاء حاجاتك. وتلقيت هذا الإلهام قبل ٣٥ أو ٣٦ عاما تقريبا حين كنت منـــزويا ومستورا في زاوية الخمول كما تكون جوهرة مستورة في أعماق البحر.

ثانيا: فليقل أيضا، ألم يُصَب ذات مرة بمرض السلّ؟ وكان قد رأى في الحُلم أيضا أن حية سامة لدغته، وتورّم جسده كله. أليس صحيحا أنه جاءني وبكى

---

[١] لم تُنشر هذه النبوءة في كتاب "مواهب الرحمن" فقط، بل نُشرت في جريدتَـــي "الحَكَم" و"البدر" أيضا قبل تحققها. منه.

[٢] فقرة الدعاء هذه مشروطة بأن ينشر شرمبت أيضا عن نفسه دعاء مقابل دعائي بالكلمات نفسها في جريدة. منه.

وطلب الدعاء فدعوت له، فأوحى الله إلي: **"قلنا يار نار كوني بردا وسلاما"**، أي يا نار الحمّى كوني بردا. وسردتُ له هذا الوحي، فشفي في غضون بضعة أيام؟

أقول حلفا بالله بأن هذا الكلام كله صدق وحق. وإذا كان كذبا فلينـــزل اللهُ عليّ وعلى أبنائي دمارا في غضون عام واحد ويعاقبني على الكذب، آمين. ولعنة الله على الكاذبين.

كذلك يجب على ملاوامَلْ ألا يحب الدنيا الفانية، وإذا كان ينكر هذه البيانات فليحلف مثلي وليَقُلْ بأن الكلام المذكور كله افتراء، وإذا كان صحيحا فلينـــزل عليّ وعلى أولادي كلهم عذابُ الله، آمين. ولعنة الله على الكاذبين[١].

وليكن معلوما أهم لن يحلفوا بهذه الطريقة بل سيكتمون الحق وسيسعون ليقتلوا الصدق، ومع ذلك آمل ألا يتركهم الله دون عقاب في حالة كتمانهم الحق[٢] لأن الإساءة إلى نبوءة من الله هي إساءة إلى الله.

إن ملاوامَلْ ارتكب جريمة أخرى أيضا حيث أنه رأى كلّ شيء، ثم نشر بكل قوة وشدة إعلانا معارضا مضت عليه عشر سنوات، ومنع الناس من أن يقبلوا عليّ أو ينصروني نصرة مالية. فكانت نتيجة منعه أن انضم إلى جماعتي مئات آلاف الناس بعد إعلانه وجاءتني مئات آلاف الروبيات، ولكنه مع ذلك لم يشعر بيد الله!

---

[١] صحيح أن ملاوامَلْ أنكر مرة في إعلانه رؤية آياتي، ولكن لا أهمية لهذا الإنكار. إذ إن كثيرا من الناس يأكلون نجاسة الكذب عند الإدلاء بالشهادات في المحاكم بسبب الجشع، فيشهدون شهادات كاذبة مقابل بضعة ملّيمات. بل المدار هو على الحلف بالطريقة التي كتبتُها. فلو حلف هؤلاء لإرضاء قومهم غير خائفين من الله، فسيعلمون أن الله موجود. منه.

[٢] وإذا نشروا كل شيء بطريقة سليمة فآمل أملا كبيرا أهم سينالون على ذلك أجرا وبركة من الله، ولكن الله لا يحب أن يموِّه أحدٌ الحق بالكذب لأنه بذلك يهاجم عزة الله وجلاله، فيبطش اللهُ تعالى به في نهاية المطاف. منه.

وفي الأخير أرى من الضروري جدا بيانَ أن الإله الذي قدّمه الباندِيت ديانند للآريين وجوده وعدمه سيان، لأنه ليس قادرا على أن يهب أحدا النجاة وإن تاب عن سلوكه السيئ وتجاسره السابق وطلب النجاة في حياته الأولى نتيجة توبته وإحداثه تغيُّرا طيبا في نفسه. بل لا بد بحسب مبدأ الآريين أن يأتي المرء إلى الدنيا مرة ثانية في خلق آخر سواء بصورة كلب أو قرد أو خنـــزير تاركا خَلقه السابق كإنسان ولكن لا بد له من أن يولَد ولادة جديدة على أية حال. هذا هو الإله الذي يُوصف سخيا وقادرا على كل شيء!!

إذا كان مقدرا للإنسان أن يحرز كل شيء بسعيه هو، فلا أفهم علامَ نشكر الإله. وما دمنا نرى أنه يأتي على الإنسان حين من الدهر في حياته يكون فيه تابعا للثوائر النفسانية وأهوائها إلى حد ما، وعلى الأقل يأخذ لا محالة نصيبا من الغفلة التي هي أمّ الذنوب. ومن طبيعة الإنسان أنه يولَد بداية في حالة الضعف من الناحية الجسدية ومن الناحية الروحانية على السواء. ثم إذا حالفه فضل الله تعالى تقدم في الطهارة رويدا رويدا. فما أعجب هذا الإله الذي ليس مطلعا على فطرة الإنسان أيضا. إذا كانت النجاة تُنال بهذه الطريقة فقد علمنا حقيقتها!

لا أخاطب لهذه المبارزة شخصا واحدا من الآريين فقط، ولا أدعو شخصين أو ثلاثة أشخاص بل أقول بكل يقين وعلى بصيرة تامة بأنه يجب أن يهبّ مقابلي ألفان أو عشرة آلاف أو عشرون ألفا أو مائة ألف من الآريين وليحلفوا؛ هل سوانح حياتهم نزيهة تماما بحيث لم يصدر منهم ذنب من أيّ نوع؟ وهل هم موقنون بحسب مبادئ الآريا أنهم سينالون النجاة بُعيد موتهم حتما؟ ثم عندما نلقي نظرة على المخلوقات يتبين بجلاء أن عدد الناس لا يقارَن مع عدد المخلوقات الأخرى حتى كمقارنة قطرة ماء مع البحر لأنه بالإضافة إلى الحيوانات التي تعيش في البر والبحر ويتعذر إحصاؤها، هناك حيوانات كثيرة غير مرئية أيضا في الماء والهواء، كما يثبت من البحوث وجود آلاف الديدان في قطرة ماء واحدة. فيتبين من ذلك أن الإله قام للتنجية حتى بعد مرور كل هذه

المدة والعصور الطويلة بإجراءٍ غير مناسب وكأنه ليس بشيء. يُستنتَج من ذلك أن الإله لا يريد قط أن ينال أحد النجاة، أو قولوا إن شئتم إنه ليس قادرا على التنجية أصلا. وهذا يبدو الأقرب إلى القياس لأنه إذا كان قادرا فلا يوجد سبب لِئَلا يهب نجاة دائمة. وكذلك إذا كان سخيا وقادرا فلا نفهم لماذا هو عصبي الطبع فلا يغفر الذنب مهما كان صغيرا، ولا يفرح ما لم يُدخل الإنسانَ نتيجة ذنب واحد في دوامة التناسخ ملايين المرات. أيّ خير يُتوقَّع من إله كهذا؟ وما دام شخص ذو طبع نبيل يستطيع أن يغفر للمخطئين في حقه عند توبتهم وطلبهم العفو، وتوجد في فطرة الإنسان قدرة أنْ يعفو عن خطأ المخطئ عند إظهاره الندم والضراعة فهل الإله الذي خلق الإنسان محروم من هذه الصفة؟ والعياذ بالله، كلا، ثم كلا.

فمن خطأ الآريين أنهم يحسبون الإله- الذي يؤمنون به سخيا وقادرا على كل شيء أيضا- محروما من هذه الصفة العظيمة. وليكن معلوما أن الإنسان الذي هو ضعف متجسد، لا يمكنه نيل النجاة قط دون صفة الله الغفور. وإن لم توجد صفة المغفرة فيه ﷻ فمن أين أتت في الإنسان؟

وليكن معلوما أن عدم النجاة نوع من الموت، كذلك التوبة الصادقة أيضا نوع من الموت. فعلاج الموت هو الموت نفسه. ألم يجعل الإله القادر على كل شيء علاجًا لموتنا هذا؟ هل سنموت دون علاج؟ كلا. بل الحق أن العلاج أيضا موجود منذ أن خُلقت الدنيا. أقول بأسف شديد بأن المسيحيين والآريين يسلكون في هذا الاعتقاد مسلكا واحدا. والفرق الوحيد هو أن المسيحيين يرون حاجة إلى قتل نبي لمغفرة ذنوب الناس، ولو لم يُقتل لما غُفرت الذنوب. ولو ثبت أنه لم يُقتل- كما أثبتُّ وأبلغتُ مبلغ الثبوت أن عيسى عليه السلام مات موتا طبيعيا، ويعلم العالم أن قبره موجود في كشمير- لتمزقت لحمة الكفارة وسداها كلها. الآريون يرون إلههم عاجزا تماما عن مغفرة الذنوب، ويشترك الآريون والمسيحيون في اعتقاد أن الله لا يستطيع أن يغفر للمذنبين وإن ندموا وتابوا. ولكن الآريين لم يكتفوا بذلك فقط بل يرفضون أيضا أن إلههم خالق الإنسان

ومنبع الفيض لجميع قواه الروحانية والجسدية، فإن باب معرفة الإله أيضا مسدود عليهم من هذا المنطلق، لأنه ليس من عادة الإله بحسب الفيدا أن يُري آية سماوية ويُدلّل على وجوده بهذه الطريقة. ومن ناحية أخرى هو ليس خالق الأرواح وذرات العالم. إذاً، إن معرفة الله مستحيلة من كِلا الوجهين بحسب مذهب الآريين.

إضافة إلى ذلك إن قضية الـــ "نيوك" تشكّل مثالا واضحا لفهم حقيقة التعليم الذي يعتزّون به. هل يمكن أن تقبل فطرة إنسان شريف أن تجامع زوجته، التي لم يطلِّقها، شخصا آخر في حياته؟

إضافة إلى ذلك ترفض هذه الديانة النجاةَ الدائمة التي يودّها الإنسان بطبيعته، وقد نُقش في فطرته أن يطلب المتعة والسعادة الدائمة، ولكنْ يعتقد أتباع هذه الديانة أن إلههم يطرد عباده من دار النجاة بعد مدة محدَّدة. ويقدمون السبب لذلك أنه لما كانت سلسلة العالم جارية إلى الأبد، والإله ليس خالق الأرواح، لذا واجه مشكلة عويصة أنه لو نجّى الأرواح كلها للأبد لانقطعت سلسلة العالم، ولتعطّل الإله وصار صفر اليدين في يوم من الأيام، لأن كل روح تخرج من الدنيا حائزة نجاة دائمة فإنها تفلت من يد الإله. فلو ظلت الأرواح تفلت من اليد على هذا النحو لأتى حتما يوم لن تبقى في يد الإله أية روح ليرسلها إلى الدنيا، لأن سلسلة خلقه قد انقطعت نهائيا، ولأن الإله لا يستطيع قط أن يخلق حتى روحا واحدة وبذلك أُغلق باب إتيانها إلى الدنيا. فبناء على ذلك قام الإله بإجراء وقائي رفض به أن يهَب أيةَ روح نجاةً أبدية، ويطردها من دار النجاة طردا.

يقول بعض الآريين السفهاء في هذا المقام حذلقة منهم وشطارة بأنه ما دامت الأعمال محدودة فقد جُعلت النجاة أيضا محدودة. ولكنهم إما منخدعون أو مخادعون، لأن الطاعة الدائمة مودَعة في فطرة الإنسان. متى يقول الأبرار والأتقياء بأننا سوف نتخلى عن طاعة الله وعبادته بعد مدة كذا وكذا. بل لو أُعطُوا عمرا إلى مدة لامتناهية لاستمروا في طاعة الله وعبادته. فما ذنبهم في

هذه الحالة إذا ماتوا عاجلا؟ إنهم ينوون الطاعة إلى الأبد وليس إلى مدة معينة، وإنما الأعمال بالنيات. الموت الذي يصيب الإنسان إنما هو فعل الله وليس فعل الإنسان.

هذه هي معتقدات الآريين التي يعتزون بها. لما كان مترسخا في أذهانهم أن الإنسان مضطر إلى مواجهة عقوبة المرور بمراحل التناسخ اللامتناهية نتيجة ذنب واحد أيضا فيرون السعي للتخلص من الذنوب عبثا وبلا جدوى. ولا توجد في دينهم مجاهدة يتخلص بها الإنسان من الذنوب في هذه الدنيا دون تحمُّل عقوبة العودة إلى الدنيا مرارا بواسطة التناسخ والولادات المتكررة. فعلى أيّ أساس يمكنهم أن يقوموا بالمجاهدة لو كانوا يتفكرون. ولو كان لهم نصيب من الفلسفة الروحانية لأمكنهم أن يفهموا بسهولة أنهم يوصدون بهذا المعتقد باب رحمة الله الكريم الرحيم على أنفسهم. يظنون أن المراد من التوبة هو التفوه ببضع كلمات ولكن التوبة الحقيقية هي نوع من الموت الذي يحلّ بأهواء الإنسان السيئة، وهي تضحية صادقة يؤديها الإنسان في حضرة الله بصدق كامل. والتضحيات الأخرى كلها التي يؤديها المرء كتقليد إنما هي نموذج لها.

فالذين يقدمون هذه التضحية الحقيقية التي هي التوبة بتعبير آخر، هم في الحقيقة يوردون موتا على حياتهم السفلية. عندها يهبهم الله تعالى الرحيم الكريم حياة النجاة في العالم الثاني عوضا عن هذا الموت، لأن كرمه ورحمه أسمى من أن يجمع موتتين على أحد. فالإنسان يشتري الحياة الأبدية بالموت عن طريق التوبة. ولسنا بحاجة إلى صلب أحد من أجل الحصول على هذه الحياة، بل يكفينا صليب واحد هو صليب التضحية بأنفسنا.

اعلموا أن كلمة التوبة تضم في طياتها معاني لطيفة جدا وروحانية لا تعرفها الأمم الأخرى. المراد من التوبة هو الرجوع حين يتصدى الإنسان للأهواء النفسانية كلها ويقبل لنفسه الموت ويسير إلى الله تعالى. ولكن هذا ليس سهلا. ولا يُعَدُّ المرء تائبا إلا إذا تخلّى عن اتّباع النفس الأمارة كليا واختار لنفسه كل مرارة وكل موت في سبيل الله وخرّ على عتبات الله، عندها يستحق أن يهبه الله

تعالى الحياة مقابل هذا الموت. ولأن الآريين قد عدّوا ولادة الإنسان المتكررة في الدنيا مدار النجاة، فلا ينتبهون إلى هذا الأمر، ولا يدرون كما أن الثوب الوسخ يبيَضّ في نهاية المطاف بعد المرور بمراحل مختلفة مثل الغلي في الماء والدَّعْك على يد الغسال في ماء نظيف، كذلك التوبة التي بيّنت معناها آنفا تُطهِّر الإنسان وتنــزِّهه. عندما يُلقي الإنسان بنفسه في نار حب الله ويحرق نفسَه، فموته هذا بالحب يهبه حياة جديدة. ألا تفقهون أن الحب نارٌ والذنب أيضا نارٌ. فإن نار حب الله تقضي على نار الذنوب، وهذا هو أصل النجاة.

ولكن من المؤسف حقا أن الآريين لا ينتبهون إلى عيوب دينهم، ويوجّهون إلى الإسلام اعتراضات سخيفة. والغريب أنه ليس لديهم اعتراض لا يدخل في سلوك فرقة من فِرق دينهم. والآن أنهي كتابي هذا باسم الله؛ الحمد لله أولا وآخرا هو مولانا، نعم المولى ونعم النصير.

****

قصيدة

من المؤلف

[1]لا تفروا من الإسلام، إذ لا سبيل إلى الهدى إلا هو، أفيقوا أيها النائمون فهو وحده شمس الضحى.

أقسم بالله الذي خلقنا، إن الإسلام وحده الآن هو دين الله تحت أديم السماء.

إن ذلك الحبيب مختفٍ عن الأعين فكيف السبيل إلى رؤيته؟ الإسلام وحده يحل كل هذه المشاكل أيها الأصدقاء.

الذين قلوبهم مسودّة ينكرون هذا الدين فيا أهل الظلمة، الإسلام وحده سراج يضيء القلوب.

لقد فحصنا أديان العالم كلها، وتبين أخيرا أن الإسلام هو الوحيد دار الشفاء.

لقد يبست البساتين السابقة كلها، وقد بحثنا في كل مكان فوجدنا هذا البستان وحده مخضرا.

لا نظير في العالم لهذا الشراب، فاشربوه أيها الأصدقاء إذ لا ماء حياةٍ إلا هو.

صدق الإسلام ثابت كشمس الظهيرة، ولكن المصيبة أن الأعداء لا يبصرون.

إن قبول الحق بعد تبيانه شيمةُ الأبرار، وهذا هو وطريق الحياء.

العقل والفطنة والفهم والذكاء يكمن في أخذ ما هو مفيد وتركِ ما هو سيئ.

بواسطة هذا الدين يحظى المرء بملكوت السماء، فيا طلاب الـــمُلك اعلموا أن هذا هو ظل "هما"[2]

---

[1] ترجمة قصيدة أردية. (المترجم)

[2] الـــ "هُما" اسم طائر خيالي يقال عنه في الأساطير في القارة الهندية أنه إذا مرّ من فوق رأس أحد صار مَلِكا. (المترجم)

الأديان الأخرى كلها قصص وحكايات ومنشأ الشرك، أما الإسلام فيُري وجه الواحد الأحد ﷻ.

يدعو ﷺ وينادي بإراءة مئات الآيات، وهذا هو الغرض الوحيد من وراء بعثتي.

إن ذلك الحبيب ﷺ يجدد الدين بالمعجزات، فهذا هو نسيم الصبا لحديقة الإسلام.

بسبب هذه الآيات ما زال الدين نَضِرًا، فيا أيها المتعثرون هلمّوا إليها لأنها هي عصا الاتّكاءِ للدين.

ما الفائدة من الدين الذي لا آية فيه، فيا أيها الأحبة، إن الآيات هي الحلة الذهبية للدين.

الأسف على الآريين الذين صاروا مثل الخفاش، فمن الظلم والجفاء أنهم يرون ثم ينكرون.

لقد علموا كل شيء ثم ظلّوا محرومين، هل هذه هي فطنة العاملين بالـــ "نيوك"؟!

هناك عباد أطهار وآخرون ذوو قلوب سيئة، إن مزية الحق أن أهله ينتصرون في الأخير.

لقد اتخذ الآريون بذاءة اللسان مهنة لهم على الدوام، لعل هذا ما درسوه في فيداهم.

إن طيبي الطبائع لا يسبون الأطهار، أما هؤلاء ذوو القلوب المسودة فقد اتخذوا السباب هواية.

من المؤسف أنهم امتهنوا السب والإساءة، فلمن أشتكي؟! فكلهم يهذون على هذا المنوال.

كانوا أناسا، فكيف صاروا سباعا؟! أمُسخت فطرتهم أم هذا هو قدر الله؟!

أيًّا من الآريين تراه تجده عاريا من مقتضى التحضر، أيًّا منهم يمكن أن أذكره؟! فهذا الوباء منتشر في كل حدب وصوب.

إن بذاءة لسان ليكهرام صارت سكينا عليه، فمن حمقهم وخطئهم البحت أنهم مع ذلك لا يكادون يفقهون.

لقد ذاق ليكهرام وبال أعماله، هذه هي عقوبة الشرير عند الله.

الإساءة إلى أنبياء الله وسبّهم، والنباح كالكلاب، إنما هي بوادر الهلاك.

إنهم يطلقون الخناجر وإن تكلموا بكلام معسول، هذه هي الخديعة الكامنة في قلوبهم السوداء.

لو ضحّى المرء بحياته إحسانا إليهم، فإن عادتهم هي نكران الجميل، هذا ما يؤذي ويؤسَف له.

لقد فسد الهندوس ومُلئت قلوبهم بُغضا وضغينة، وإن عادتهم هي الإساءة في كل شيء.

لو كانوا أصفياء القلوب لفديناهم بأنفسنا، ولكن هذا ما أشتكي من هؤلاء ذوي الأعمال السيئة.

كيف أفصح عن حالة قلبي بسبب هذا الحزن؟! كأن قلبي صار مَضيف الأحزان كلها.

لقد صارت هذه الفِرقة عدوا منذ يومها الأول، ماذا عسى أن تكون النهاية إذا كانت البداية هكذا؟!

لقد تمزَّق قلبي بطول سماع التحقير والإهانة، هناك أحزان كثيرة تغزو القلب، ولكن الحزن مذيب الروح هو هذا الحزن.

لا شك أن هناك مئات السيئات منتشرة في العالم ولكن إهانة الأطهار هي الأسوأ.

ظل المرسَلون يبكون على غفلة الغافلين دائما، ولكن هذا هو النواح الحديث في هذا العصر أيها الناس.

لا نسيء إلى مقدسيهم، هذا هو أمر الله في تعليمنا.

إن ذلك القدوس لا يعلمنا بذاءة اللسان، هذا هو أصل التقوى وهذا هو الصدق والصفاء.

أما في دين الآريين فالسباب أيضا عبادة، إنهم يكذّبون الجميع، فهل هذه هي التقوى؟!

يقولون عن جميع الأنبياء سواء أكان موسى أم عيسى بأنهم كانوا مكّارين.

ويقولون إن الفيدا وحده صادق وهادٍ، أما بقية الكتب فكلها كاذبة وزائفة.

هذه هي أفكارهم المتدنية التي بحسبها اعتبروا الجبل قشةً، ولكن ماذا نقول لهم ما دام هذا مستوى فهمهم وذكائهم؟!

الدودة التي تعيش تحت طبقات الروث ترى الروث أرضها وسماءها.

لقد رأينا أن ملخص الفيدات هو الـــ "نيوك" فقط، وهو العمل الحسن بحسب كتبهم المقدسة.

المرأة التي لم تنجب الصبي من زوجها يجب عليها الـــ"نيوك" بحسب الفيدات..

وما في اليد حيلة ما دام أمر الفيدات أنه جائز ما لم تنجب أحد عشر ذَكَرا.

أيها الأعزة! إن صفات الإله المذكورة في الفيدات غريبة حقا، لا رحمة فيه كما نسمع منهم.

إنه يهب النجاة ثم ينـــزعها من الجميع، ما أغربه من سخيّ مَن كان هذا سخاؤه!

هو إله بالاسم فقط وليس خالق أحد، الأرواح كلها أزلية فكيف يكون هو إلـــهًا؟!

لولا الأرواح لما استطاع الإله أن يخلق شيئا، وإن مُلكه مؤسَّس عليها فقط.

فهو يرنو إليها لإتمام أي عمل، وكأنها هي الملك وهو متسوّل أمامها.

فبإيجاز، هذا هو إله فيدات الآريين، الذي يعتمدون عليه ضعيف جدا.

قولوا يا أيها الآريون هل هذه هي صفات الإله؟! أهذا الذي تعتزون به؟!

لقد أخفيتم الفيدات طويلا نادمين، ولكن هذا هو سرها المكتوم الذي كُشف أخيرا.

أيّ إله ذلك الذي ليست فيه أية قدرة! هل هذا الإله يمكن أن يبارز دين الحق؟!

إن إله الهندوس هذا ليس أقل من الأوثان، بل هو، واللهِ، وثن آخر بحد ذاته.

لم نخترع هذه الأقوال من عند أنفسنا بل هذا ما وجدناه في الفيدات[١] أيها الأحبة.

فطرة كل بشر تأنف ذلك، ولا ندري كيف شغفت قلوب الآريين بحبه.

هذا هو نموذج أحكام الفيدا، وهذا ما ناله الآريون من الفيدات.

جميع الأوباش يعملون به بكل سرور، هذا هو سند لعاملي الـــ"نيوك"[٢] أجمعين.

---

[١] المراد من لفظ الفيدا هنا هو تعليم نشره الآريون نقلا عن الفيدات بحسب زعمهم. وإلا فاعلموا أننا نفوّض حقيقة الفيدات إلى الله. لا ندري ماذا أضافوا إليها وماذا أنقصوا منها. وما دامت في البنجاب والهند مئات المذاهب التي تدّعي اتّباع الفيدات فأنّى لنا أن نتهم الفيدا بسبب خطأ فِرقة معينة منهم؟ والثابت أيضا أن يد التحريف أصابت الفيدا أيضا، لذا فإن الأمل في التحسن بعد هذا التحريف عبث لا جدوى منه. منه.

[٢٢] فليكن معلوما أن ما نقصده من تعليم الفيدا هنا هو التعاليم والمبادئ التي يبيِّنها الآريون في هذا الموضوع وقولهم بأن تعليم الـــ"نيوك" مذكور في الفيدات. وبحسب قولهم يعلن الفيدا بأعلى صوته أن الذي لم يُرزَق بالأولاد أو رُزق بالبنات فقط، من واجبه أن يسمح لزوجته أن تضاجع رجلا آخر وتُنجب منه ذَكَرا من أجل نجاتها. ويمكن أن تستمر هذه العلاقة حتى الحصول على أحد عشر ذَكرا. وإذا كان زوجها مسافرا أمكن لها أن تقيم العلاقة مع رجل آخر بنية الـــ"نيوك" لكي تنجب الأولاد بهذه الطريقة وتقدمهم هديةً لزوجها حين عودته من السفر وتقول له بأنك سافرت للحصول على الأموال المادية، ولكن انظر أني كسبت هذا المال في أثناء غيابك.

فباختصار، لا يقبل عقل الإنسان ولا غيرته أن يكون هذا الطريق الوقيح جائزا. وكيف يمكن أن يكون مسموحا ولم يطلقها زوجُها ولم تتحرر من ربقة نكاحه. فالأسف بل ألف أسف أن هذا ما ينسبه الآريون إلى الفيدات. ولا نقول بأن هذا هو تعليم الفيدا في الحقيقة، بل من الممكن أن بعض الرهبان الهندوس الذين يعيشون عازبين وتتغلب عليهم

الأهواء سرا، اخترعوا هذه الأمور من عندهم ثم نسبوها إلى الفيدات، أو أضافوها إلى الفيدات تحريفا منهم، لأن الباندينات الباحثين يقولون بأنه قد أتى على الفيدات زمان حُرِّف فيها بشدة وبُدِّلت كثير من مسائلها الطاهرة، وإلا لا يقبل العقل أن يعلّم الفيدا مثل هذا التعليم، ولا تقبل الفطرة السليمة أن يجعل أحد زوجته العفيفة- دون أن يطلقها ويقطع علاقته معها بطريقة مشروعة- تضاجع شخصا آخر بُغية الحصول على الأولاد، فهذا عمل الديُّوثين. غير أنه إذا طُلّقت المرأة و لم تعد لها أدنى علاقة مع زوجها السابق، عندها يجوز لها أن تنكح شخصا آخر، فلا اعتراض عليها ولا على عفتها في هذه الحالة. وإلا نقول جهارا نهارا بأن نتيجة الـــ"نيوك" ليست جيدة بأي حال. وما دام أتباع آريا سماج يخالفون من ناحية تحجُّب المرأة قائلين بأنه تقليد المسلمين فقط، ومن ناحية ثانية تتناهى إلى آذان نسائهم كل يوم مسألة الـــ نيوك "المقدسة"، وترسخ في أذهانهن أنهن يستطعن أن يجامعن رجالا آخرين أيضا؛ فلكل عاقل أن يدرك إلى أي مدى يمكن أن تثور شهواتهن السيئة بسماعهن مثل هذا الكلام، وخاصة إذا نُسب الكلام إلى الفيدات. بل الحق أنهن سوف يتقدمن عشرات الخطوات فوق ذلك. ولكل أن يفهم إلى أيّ مدى يمكن أن يعيث سيل الشهوات السيئة فسادا مع انهيار جسر الحجاب. وهذه النماذج موجودة في "جكن ناتهـــ" و"بنارس" وفي عدة أماكن أخرى، ليت كان فيهم رجل رشيد!!

ولا نفهم أيضا لـــمَ الحاجة إلى الأولاد من أجل النجاة؟ هل الناس مثل البانديت ديانند الذين لم يتزوجوا و لم يكن لديهم أولاد محرومون من النجاة؟ بل الحق أنه يجب لعنُ نجاة ينالها المرء بجعل زوجته تجامع رجلا آخر وجاعلا إياها ترتكب فعلا هو زنا في أعين العالم كله، ولا سبيل إلى تلك النجاة دون ارتكاب هذه الفعلة الشنيعة. ولا نفهم أيضا أنه إذا كانت آلاف القوى والقدرات والخواص في الأرواح وذرات الأجسام هي أزلية وجاءت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسها دون أن يخلقها الإله، فما فائدة إلهٍ مثله أصلا، وما الدليل على وجوده؟ ولماذا نسميه إلـــها؟ كيف يستحق طاعة كاملة ما دامت تربيته ليست كاملة؟ وكيف عَلِم عن قوى لم يخلقها؟ وإذا كان غير قادر على خلق روح واحدة؛ فبأي معنى يمكن اعتباره قادرا على كل شيء ما دامت قدرته منحصرة في الربط والوصل فقط. إن قلبي يشهد أن هذه التعاليم السيئة ليست من الفيدات في شيء قط. إن الإله يُعَدّ إلها إذا كان هو المبدأ لكل فيض وبركة. لا شك أن أصحاب فيدانت (فلسفة أخلاقية هندوسية) أيضا ارتكبوا أخطاء ولكن دينهم لا يبقى عرضة للاعتراض بعد إصلاح بسيط فيه. ولكن

فأنّى لهم أن يؤمنوا بتعليم الفرقان الطاهر، ما دام تعليم الفيدا هذا هادي قلوبهم ومقتداهم.

عندما تمت الحجة عليهم بدأوا بالسباب والشتائم، هذا هو الحجر في أيدي الجهلاء الذي يظلمون به.

لا يحجم الظالمون عن كيل الشتائم لحظة واحدة، هذا هو شغلهم الشاغل صباحَ مساءَ.

يُدعَون أتباع الفيدا ولكن قلوبهم مسودة، اِرفعوا الحجاب سترون ظلمة مُلئت بها قلوبهم[١].

إنهم سباعٌ طبيعةً، وأموات ليسوا أحياء، وذوو لسان بذيء كل حين، هذه علامة غضب الله[٢].

لم تقم لهم قائمة مقابل دين الله فبدؤوا بكيل الشتائم، هذا كل ما خطر ببالهم.

مذهب "ديانند" سيئ للغاية. يبدو أنه اتّبع الفلاسفة وأهل المنطق الكاذبين الذين لم تكن لهم أدنى علاقة مع الفيدا، بل كانوا أعداءه الألداء سرًّا. لهذا السبب لا يحظى الإله في مذهبه باحترام لائق. ولا يوجد فيه تعليم المجاهدات من أجل وصال الله على غرار الرهبان ذوي القلوب الطاهرة، بل علّم هذا الشقيُّ مريديه التعنتَ وسباب أنبياء الله الأطهار فقط. بل قولوا إن شئتم بأنه سقاهم كأس السم.

فحاصل الكلام أن اعتراضنا كله موجَّه إلى فيدات ديانند المفترضة، لا إلى كتاب من كتب الله، والله أعلم. منه.

[١] إذا كان فيهم أناس لا يسبون أنبياء الله، وهم صالحون ونبلاء. فهُم مستثنون من بياننا هذا، منه.

[٢] فليكن معلوما أن رأينا هذا هو عن أتباع مذهب "آريا سماج" الذين أظهروا خُبث طويتهم من خلال إعلاناتهم ومجلاتهم وجرائدهم وكالوا لأنبياء الله الأطهار آلاف الشتائم، وجريدتهم وكتبهم موجودة عندنا. ولا نقصد هنا أناسا ذوي طبائع نبيلة لا يحبون هذا الطريق. منه.

ليس في عيونهم أدنى حياء ولا خجل، وقد تجاوزوا في ذلك الحدود كلها.

الإله الذي آمنّا به قادر وقدير، نرجو منه ﷻ أن يُري آية من آياته.

المجادلة معهم تحطّ من عزتنا نحن، والاختلاط معهم ليس إلا سبيل الرياء.

فيا أحبائي لا تنسوا العقبى، اتّبعوا هذا الدين فهو وحده بدر الدجى.

أنا عرضة ظلم هؤلاء الظالمين، هذا ما يشهد به ماء الأعين وهو خير شاهد.

كيف أبوح بما يدور في خلدي؟! ولمن أفصح بحزني، بينما تغزوني الأحزان والآلام؟!

لقد أهلكتني آلام الدين، وقلبي متفطّر، إن حبيبي هو سندي، وإلا لهلكت تماما.

لقد متّ حزنا، فماذا تسألونني، هذا هو شرط الوفاء في نظر ذلك الحبيب.

لو لم يتداركني الحبيب لهلكتُ، وسوف أحظى بوصال حبيبي بالبكاء هذا هو أملي ورجائي.

لقد ولّى زمنٌ حين كانت الليالي تنقضي في السهر والسمر، أما الآن فالموت بالمرصاد، إنها حكاية حزينة الآن.

تعال وأدرِكني بسرعة يا حبيبي، ويا ساقِيَّ، واسقني شراب التلاقي، هذه هو طمعي وطموحي.

أشكر الله الرحمن الذي أعطى القرآن، كانت الزهور في البستان قبله غير متفتحة، أما القرآن فهو الزهرة الوحيدة التي تفتحت الآن.

كيف يمكن أن نؤدي حق وصفه؟! فإن كل كلمة منه جوهرة، لقد رأينا أحباء كثيرين ولكنه هو الوحيد الذي خلب لُبّي.

لقد فحصنا الكتب كلها ووجدناها مجملة كالأحلام، كانت صحوفها فارغة، أما القرآن فهو مائدة الهدى.

هو الذي أوصلنا إلى الله تعالى وبواسطته وجدنا حبيبنا، كان الزمن الذي مضى كالليالي الهالكة، أما الآن فقد طلع النهار.

هو الذي أرى الآيات ونادى جميع الباحثين، وأيقظ الرقود، وهو الهادي إلى الحق.

عندما حرّف الناس الصحف السابقة كلها، انقرضت من الدنيا، والآن إن القرآن هو الصحيفة الجديدة التي تشبه العريس الجميل.

يقولون بأن حُسْنَ يوسف كان خلّابًا ولكنه أكثر منه حسنا وجمالا.

لقد سمعتم أن يوسف سقط في البئر، ولكن الإسلام جاء ليُخرج من البئر، هذا هو نداؤه.

لا يسعني أن أبين محاسن الإسلام، إذ قد يبست الحدائق كلها ولم يزدهر إلا هذا البستان.

إن ديدان الأرض صاروا أعداء الدين في كل مكان، هذا ابتلاء من الله للإسلام اليوم.

إن دموعي تتوقف إلى حد ما عندما أرى الصادقين يبكون في كل مكان بسبب هذا الحزن.

إن هذا الدين كخنجر على رؤوس المشركين كلهم، ما يؤلمهم هو أنه يخلّص من الشرك.

لماذا يعاديه الضالون كلهم؟ إن سرّ استيائهم هو أنه الهادي إلى الطريق.

الدين مختفٍ في الغار، وهناك ضجة الكفر في كل مكان، فأكثِروا من الدعاء فها هو غار حراء.

إنه هادينا ومقتدانا الذي منه النور كله، اسمه محمد ﷺ، هو حبيب قلبي.

الأنبياء كلهم أطهار، بعضهم أفضل من الآخر، ولكنه ﷺ خير الورى عند الله تعالى.

هو أفضل ممن سبقوه، وهو قمر في الحسن والجمال كل عين مركّزة عليه، فهو وحده بدر الدجى.

لقد تعب السابقون في الطريق، أما هو ﷺ فقد أوصل الناس إلى بر الأمان، فدتْه نفسي فهو ربان السفينة الحقيقي.

أزال الحُجُب كلها وهدى إلى الطريق، وأوصلنا إلى الحبيب، فهو الهادي الكامل.

ببركته ﷺ رأينا ذلك الحبيب المستور ﷻ الذي يفوق حدود المكان والزمان، فهو ﷺ الهادي الكامل.

هو سلطان الدين اليوم، وهو تاج المرسَلين، هو طيب وأمين، هذا هو الثناء الذي يليق به.

الأوامر التي نزلت من الله تعالى قد عمل بها كلها، وقد كشف جميع الأسرار، هذا هو نِعم العطاء.

إن نظره يصل إلى الأعماق، وقلبه قرين الحبيب، وفي يده مشعل الدين، وهو عين الضياء.

أماط اللثام عن أسرار الدين العميقة كلها، هو الملك الذي يوزّع الثروة كلها.

إني فداء ذلك النور، وصرتُ له كليا، هو كل شيء وأنا لست بشيء قط، هذه هي كلمة الفصل.

هو الحبيب الوحيد وهو كنـــز العلوم، أما ما عداه فقصص وحكايات، هو الحق البريء من الخطأ.

كل ما وجدناه فقد وجدناه ببركته ﷺ، وربنا شاهد. فالذي أرانا الحقَّ هو هذا الحبيب الجميل.

كنا عمهين وقلوبنا مصفَّدة في مئات الأصفاد، وهذا المجتبى قد فتح الأقفال[1] كلها.

---

[1] لقد استخدمتُ هنا كلمة بنجابية "جنده" وتعني القُفل. وقد استخدمت في بعض الأماكن الأخرى أيضا كلمات بنجابية، إذ إنني لا أهدف إلى إظهار علوّ كعبي في نظم الشعر ولا أحب هذا اللقب لنفسي ولا تهمني الأدرية بالذات. بل هدفي الحقيقي هو إدخال الحق إلى القلوب، ولا علاقة لي بفنون الشعر. منه

يا ربي الرحمن هذه كلها مننك، أنت الذي تسهِّل المشاكل كلها، هذا ما نسألك إياه دوما.

يا حبيب قلبي اِرحمني بفضلك، وإلا فإن ابتلاء الدنيا ليس أقل من الثعبان.

يتمنّى قلبي أن أقبّل صحيفتك وأطوف حول القرآن دائما، فهو كعبتي المشرفة.

أدرِكْني سريعا يا سندي لأن أعباء الحزن ثقيلة، لا تستر وجهك عني، لأن وجهك دواء لدائي.

يقولون إن حماس الحب لا يبقى على حال واحدة دائما، ولكن حبك يظللني كل حين.

لقد صرنا ترابا لعلنا نجد الحبيب بهذه الطريقة، إنني عائش على هذا الأمل، هذا هو غذائي.

حبك هو الحقيقة في الدنيا والباقي كله ظلمة وظلام، أنت حبيبي، هذا هو الحب النقي.

لقد جعلتُ نفسي رمادا تذروه الرياح في سبيلك منذ أن سمعت أن هذا هو شرط الحب والوفاء.

لما تمكن مني الحِبّ وشطبتُ الأنانية كلها، ولما متُّ (في الحب) أحياني فهذه هي كأس البقاء.

في هذا الحب مائة صعوبة في كل خطوة، ولكن ماذا أفعل، فهذا ما أعطانيه الله تعالى.

لن أتخلى عن الوفاء ولن أنقض هذا العهد، هذا ما أمرني به ذلك الحبيب الأزلي.

منذ أن لاقاني ذلك الحبيب صار أعدائي في كل بيت، لقد تحجرت القلوب كأن هذا هو قدر الله وقضاؤه.

يترددون علي بيتي ليخوّفوني ويُرونني السيوف والفؤوس، هذا هو الملحوظ في كل مكان.

قلبي لا يخاف أحدا في سبيل الحبيب، إن الدنيا كلها شاطرة، وإن قلبي وحدي هو المجنون.

كيف أحكي لك قصصي في هذا السبيل؟! إنها مليئة بالآلام والأحزان، هذا كل ما في الموضوع.

بقطع قلبي إربا أنوي رؤية مشهد (وصال الله) فلا تنعتوني مجنونا بل هذا ما يقتضيه العقل الرصين.

يا حبيب قلبي اِرحمني بفضلك ورحمتك، لا تقل لي ﴿لن تراني﴾ هذا ما أرجوه منك.

ما أشد فراق الحبيب! فهو يذهب بالنفس والروح، هذه هي "كربلاء" ففيها يفدي العشاق أرواحهم.

إن وفاءك كامل، وعيب البُعد عنك يوجد فينا، إن طاعتنا أيضا ناقصة، هذه هي مصيبتنا.

فيك الوفاء يا حبيبي، وعهودك كلها صادقة، ولكننا نحن الذين جنفنا، هذا ما يُبكيني.

لم نقدر على أن نفي بالعهد ولم نفِ بمقتضى الصداقة، ولكن أنت ذو الفضل؛ هذا ما كُشف علينا.

يا من هو دواء لداء قلبي، إن فراقك قاتل، هذا ما يسمونه جحيمًا حارقة.

لقد قتلتْني آفات صُبَّت على الدين، هذا هو الحجر الأكبر الذي سقط على صدري من الأعداء.

إن عدو الحق الظالمَ يفكر دائما كيف يمكن أن يفنى الحق ويباد.

لقد جاء زمان أظلم وأطغى، وهو الرحى التي تسحق الدين.

ما أخضر هذا الدين وما أنضره! لقد ذبلت الأديان كلها، والإسلام هو الدين الوحيد الذي نما وازدهر.

لقد وجدنا أعين كل دين بغير نور، وعين الإسلام هي الوحيد التي تتمتع بكحل المعرفة.

لقد رأينا لَعْل اليمن ودرّ عدن أيضا، وفحصنا الجواهر كلها، ولم يعجبنا شيء إلا الإسلام.

سوف تتحسرون كثيرا بإنكاركم إياه، لأنه بمنـــزلة كيميا يُصنع منها الذهب.

لقد عميت عيون الآريين فبدؤوا بالشتائم، هذا كل ما خطر ببالهم.

إن بذيء اللسان أسوأ من جميع الأشرار. والقلب الذي فيه هذه النجاسة فهو مثل بيت الخلاء.

لا شك أن هناك سباعا كثيرة في لباس الناس، ولكن بذيء اللسان كذئب يشرب دم الأطهار.

الذين يناصرون الفيدا[1] بأي دين يعتزون؟ أيعتزون بدين خالٍ من الثمار ومتآكلٍ داخليا.

يا أيها الآريون ما الذي جرى لكم؟! ولماذا فسدت قلوبكم؟! فاتركوا هذه الحذلقة، هذا هو سبيل الحياء.

لماذا تؤذونني وتختلقون مئة افتراء؟! لو توقفتم عن ذلك لكان أفضل وأبعد عن البلاء.

هذا هو الميرزا الذي مات ليكهرام مقتولا نتيجة دعائه، وحدث المأتم في كل بيت.

لا خير في إيذاء الأطهار وإزعاج قلوبهم، هذا هو جزاء التمادي في التجاسر.

---

[1] اعلموا أن هذا ليس هجوما منا على الفيدا، إذ لا ندري إلى أيّ مدى تمّ التصرف في تفسيره. إن مئات المذاهب في الهند تعتمد على الفيدا في معتقداتها، مع أنها تعادي وتعارض بعضها بعضا بشدة متناهية. فالمراد من الفيدا هنا هو التعاليم التي نشرها الآريون ومبادؤهم. منه.

ملحوظة: هذه الحاشية موجودة في الطبعة الأولى، ولكن لم توضَع علامة الحاشية على بيت معين، فوضعناها على هذا البيت نظرا إلى مضمونه. (الناشر)

يا ربّ أرني عظمة هذا الدين وشوكته، واقضِ على الأديان الباطلة كلها، هذا هو دعائي دائما.

الشعر ليس غايةً عندي، إنما الهدف أن يفهم بهذا الأسلوب من كان من الفاهمين.

تمّت

الإعـــلان

اِعلموا أنني ما كنتُ بحاجة إلى تأليف هذا الكتاب، ولكن جريدة نجسة- يُصدرها الآريون في قاديان ويستخدمون فيها لسانا بذيئا ومسيئا دائما ويتفوهون بكلمات نابية بحق الإسلام بسبب عداوتهم الفطرية له، وبسبب كيلهم الشتائم لي يقومون مقام ليكهرام- أجبرتني على تفنيد تمهمهم من خلال هذا الكتاب، وإثبات أن أخاهم لاله شرمبت ولاله ملاوامَلْ الساكنَين في قاديان شاهدان على كثير من آياتي. ولا يقتصر الأمر عليهما فقط، بل كل الآريين والهندوس في قاديان شهود عيان على بعض آياتي في الحقيقة. ثم لا يقتصر الأمر على قاديان وحدها، بل النبوءة بقتل ليكهرام نبوءة عظيمة الشأن جعلت جميع الهندوس والآريين من البنجاب والهند كلها شهداء على تلك الآية العظيمة. ولا يسع الآريين الآن إنكار تلك النبوءات. وإن حملهم القلم ضدها وقاحة محضة. وإن لم ينتهوا عند هذا القدر فسوف يُفتضح أمرهم كله. والسلام على من اتبع الهدى.

الــــــــــــراقـــــــم

ميرزا غلام أحمد، المسيح الموعود، من قاديان

صورة الغلاف لهذا الكتاب

احمدی اور غیر احمدی

میں

کیا فرق ہے؟

تقریر

حضرت مرزا غلام احمد قادیانی

مسیح موعود و مہدی معہود علیہ السلام

برموقعہ جلسہ سالانہ ۲۷؍دسمبر ۱۹۰۵ء

ترجمة صفحة الغلاف لهذا الكتاب

ما هو الفرق

بين الأحمدي وغير الأحمدي؟

خطاب

سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام

بمناسبة الجلسة السنوية في ٢٧/١٢/١٩٠٥م

ملحوظة:

لقد نُشر هذا الخطاب

نقلا عن جريدة "الحَكَم" عدد ١٧/٢/١٩٠٦م إلى ١٧/٦/١٩٠٦م،

وأضيفت بعض الحواشي

نقلا عن جريدة "بدر" عدد ٢٦/١/١٩٠٦م إلى ٢٣/٢/١٩٠٦م

(الناشر)

الهدف من بعثة المسيح الموعود وتأسيس الجماعة

خطاب ألقاه سيدنا حجة الله المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بتاريخ ١٩٠٥/١٢/٢٧م في المسجد الأقصى بعد صلاتَي الظهر والعصر.

لقد عُقدت صباح ١٩٠٥/١٢/٢٦م جلسة الإخوة الحاشدة في صالة كبيرة في الفرع الجديد من دار الضيافة للتفكير في إصلاح شؤون مدرسة "تعليم الإسلام". وألقى كثير من الإخوة كلماتهم حول مواضيع مختلفة. وقال أحدهم في أثناء كلمته:

"الفرق الوحيد بين جماعة المسيح الموعود عليه السلام والمسلمين الآخرين، على قدر علمي هو أنهم يعتقدون بصعود المسيح ابن مريم إلى السماء حيا بينما نحن نوقن بأنه قد مات، وليس هناك شيء آخر محل للنـــزاع بيننا وبينهم من حيث المبدأ".

فلما كان هذا الكلام لا يوضّح الهدف الحقيقي من وراء تأسيس هذه الجماعة بل كان الأمر يبدو مشتبها فيه وضعيفا؛ كان ضروريا أن يقوِّمه عليه السلام. ولكن لما كان الوقت ضيقا رأى عليه السلام مناسبا أن يخطب بالإيجاز عن الغرض الحقيقي من بعثته بعد صلاتَـــي الظهر والعصر في ٢٧ ديسمبر/ كانون الأول، وكانت صحته يومذاك معتلّة ولكنه مع ذلك ألقى الخطاب التالي بفضل الله تعالى ورحمته. (المحرر)

قال الصَّلَيْهِ السَّلامُ:

"أنا متأسف لأني معتلّ الصحة اليوم فلا أستطيع أن أتحدث طويلا ولكن أرى ضروريا أن أقول شيئا بإيجاز نظرا إلى أمر هام. لقد سمعتُ البارحة أن أحد الإخوة قال بأن الخلاف الوحيد بيننا وبين المسلمين الذين يعارضوننا هو موت المسيح عليه السلام وحياته وإلا فكلّنا سواسية وأن معارضينا أيضا على الحق عمليا، أي أنهم يقومون بكافة أعمال المسلمين مثل الصلاة والصوم وغيرها، ولكن وقع خطأ في قضية موت عيسى عليه السلام فقط فأسس الله تعالى هذه الجماعة لإزالة هذا الخطأ. فليكن معلوما أن هذا ليس صحيحا. لا شك أن هذا الخطأ قد نشأ في المسلمين بأسلوب سيِّئ للغاية، ولكن إذا كان أحد يظن أن مجيئي إلى الدنيا يهدف إلى إزالة هذا الخطأ فحسب وليس في المسلمين خطأ آخر يجدر بالإصلاح بل هم على صراط مستقيم فهذه الفكرة خاطئة. وأرى أن وفاة المسيح أو حياته ليست بأمر ليؤسس الله تعالى من أجله جماعة كبيرة كهذه ويرسل إلى الدنيا شخصا معينا، وأن يُظهر هذا الخطأ بطريقة تؤدي إلى تعظيمه كثيرا وكأن الظلام عمّ العالم كله، وصارت الأرض ملعونة. الخطأ بشأن موت المسيح لم ينشأ اليوم، بل نشأ بعد فترة وجيزة من وفاة النبي ﷺ. لقد ظل أولياء الله الخواص والصلحاء وأهل الله أيضا يأتون ومع ذلك بقي الناس على هذا الخطأ. فلو كان المقصود إزالة هذا الخطأ فقط لأزاله الله تعالى منذ ذلك الوقت، ولكن ذلك لم يحدث وبقي الخطأ على حاله إلى أن جاء عصرنا. ولو اقتصر الأمر على ذلك فقط في هذا العصر أيضا لما أقام الله تعالى جماعة جديدة من أجله لأن وفاة المسيح لم تكن بالأمر الذي لم يقبله أحد من قبل. بل إن معظم الخواص الذين كشف الله تعالى عليهم الحقيقة ظلوا يعتقدون بذلك. والحق أن هناك أمرا آخر أسس الله هذه الجماعة من أجله. لا شك أن إزالة الخطأ عن موت المسيح أيضا من الأهداف العظام لهذه الجماعة ولكن الله لم يبعثني لهذا الهدف وحده فقط بل الحق أنه قد نشأت أمور أخرى كثيرة بحيث لو لم يؤسس الله تعالى جماعة لإصلاحها ولم يبعث أحدا لدُمرت الدنيا كلها، ولانمحى اسم

الإسلام واندثرت آثاره. فيمكن أن نعبّر عن ذلك بتعبير آخر: ما هو الهدف من بعثتي؟

إن وفاة عيسى وحياة الإسلام هدفان يرتبط بعضهما ببعض بشدة متناهية. وإن قضية وفاة المسيح صارت ضرورية لحياة الإسلام في العصر الراهن، لأن الفتنة الناتجة عن حياة المسيح قد تفاقمت إلى حد كبير. القول في مسألة حياة المسيح، أليس الله قادرا على أن يرفعه إلى السماء حيا؟ يدل على عدم معرفة قدرة الله و...[1]. نحن نؤمن بذلك أكثر من غيرنا ونوقن: ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ونؤمن أيضا بأنه قادر على أن يفعل ما يشاء، ولكنه منـــزَّه عن الأمور التي تعارض صفاته الكاملة، ويعادي أمورا تخالف دينه. إن قضية حياة عيسى عليه السلام كانت في الأوائل بمنـــزلة خطأ فحسب، أما اليوم فقد تحوّل هذا الخطأ إلى أفعى تريد ابتلاع الإسلام. ففي أوائل الأيام ما كان هناك أيّ خطر من ضرره وكان بمنـــزلة خطأ فحسب. ولكن منذ أن قويت شوكة المسيحية واتخذ المسيحيون حياة المسيح دليلا كبيرا وقويا على ألوهيته، فقد أصبح هذا الخطأ خطرًا مهدّدًا. إذ يقول هؤلاء بكل شدة وتكرار: إن لم يكن المسيح إلهًا فكيف صعد وجلس على العرش إذًا؟ وإذا كان بإمكان بشر أن يصعد إلى السماء حيًّا فلماذا لم يصعد إليها أحد من البشر منذ آدم إلى اليوم؟ فبتقديم مثل هذه الأدلة يريدون أن يؤلِّهوا عيسى عليه السلام، وقد ألّـــهوه فعلا وأضلوا عددا كبيرا من الناس في العالم، وقد صار كثير من المسلمين الذين يربو عددهم على ثلاثة ملايين كما يقال، عرضة لهذه الفتنة بسبب اعتبارهم هذا الخطأ اعتقادا صحيحا. ولكن إذا كان ذلك صحيحا، ولو صعد عيسى عليه السلام إلى السماء حيا في الحقيقة، كما يزعم المسيحيون ويؤيدهم المسلمون بسبب خطئهم وعدم علمهم لكان ذلك **يوم مأتم** للإسلام لأن الإسلام جاء إلى العالم ليتولد عند الناس إيمان ويقين بوجود الله تعالى وينتشر توحيده. إنه لدينٌ ليس فيه ضعف

---

[1] يبدو أن كلمة ما سقطت هنا بسهو الناسخ. (الناشر)

من أيّ نوع. إنه يعُدّ الله تعالى واحدا لا شريك له، ولو أقِرَّ بهذه الخصوصية لغير الله لكان في ذلك إساءة إليه ﷻ لا يجيزها الإسلام. ولكن المسيحيين أضلوا الدنيا بتقديمهم خصوصية المسيح هذه، وقد وافقهم المسلمون دون تأمل وتدبر و لم يكترثوا بضرر أصاب الإسلامَ بسبب ذلك.

يجب ألا ينخدع أحد بما يقوله الناس عادة: أليس الله بقادر على أن يرفع المسيح إلى السماء حيا؟ لا شك أنه قادر، ولكنه لا يجيز أمورا منشؤها الشرك، فتُشرك أحدا بالبارئ تعالى. ومن الواضح أن تخصيص شخص معين بخصوصية من بعض الأوجه هو مبدأ الشرك بعينه. والواضح تماما أن التسليم بخصوصية في المسيح عليه السلام أنه حيّ إلى الآن على عكس البشر كافة ويختلف من حيث الخواص البشرية، أمرٌ هيأ للمسيحيين فرصة ليقدموه دليلا على ألوهيته. لو اعترض مسيحي على المسلمين: أخبِروني هل حُصلت هذه المزية الفريدة لأحد آخر في هذا العصر؟ ليس لديهم جواب على ذلك، لأنهم يوقنون بأن جميع الأنبياء قد ماتوا ولكن وفاة المسيح لا تثبت بحسب زعم المسلمين الذين يعارضوننا. ولأنهم يستنتجون من "التوفي" معنى الرفع إلى السماء حيا فلا بد أن يستنبطوا من: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أيضا: عندما رفعتَني إلى السماء حيا، بينما لا تُثبت آية أنه سيموت أيضا في وقت من الأوقات. قولوا الآن ماذا عسى أن تكون نتيجة ذلك؟ هداهم الله ليُدركوا خطأهم. أقول صدقا وحقا بأن الذين لا يتركون هذا المعتقد بعد اكتشاف ضعفه وشناعته مع كونهم مسلمين فهم أعداء الإسلام وكحيَّة في الكُمّ له.

اعلموا أن القرآن الكريم ذكر موت المسيح مرارا وأثبت أنه مات كبقية الأنبياء والناس أجمعين. لم تكن فيه مزية لا توجد في غيره من الأنبياء والناس بوجه عام. صحيح تماما أن معنى "التوفي" هو الموت فقط. لا يثبت من أي قاموس أن معنى التوفي هو الرفع أيضا إلى السماء بالجسد. إن حسن اللغة يكمن في سعتها. لا توجد في العالم لغة تخص شخصا واحدا فقط دون غيره. غير أن هذه الخصوصية خاصة بالله تعالى حتما لأنه واحد لا شريك له. قدِّموا لنا

قاموسا من قواميس اللغة حيث ذُكر أن معنى "التوفي" بحق عيسى عليه السلام بوجه خاص هو الرفع إلى السماء حيا بالجسد، وأنه إذا استُخدمت الكلمة نفسها بحق أي إنسان غيره في العالم كله كان معناها الموت. أروني ذكر هذه الخصوصية في أيّ معجم من معاجم اللغة. وإن لم تفعلوا، لأنها ليست موجودة أصلا، فاتقوا الله لأن ذلك هو مبدأ الشرك بعينه. ونتيجة هذا الخطأ صار المسلمون مدينين للمسيحيين. فإذا قال المسيحيون: ما دمتم تعترفون بحياة المسيح وبأنه موجود في السماء وتؤمنون بمجيئه أيضا حَكَمًا، فقولوا الآن، أيّ شك بقي في ألوهيته؟! وخاصة حين لا يثبت أنه سيموت. إنها لطامة كبرى أن يطرح مسيحي سؤالا دون أن يكون له جواب.

فباختصار، لقد بلغ الآن التأثير السيِّئ لهذا الخطأ هذا المبلغ. صحيح أن موت المسيح لم يكن قضية عظيمة لتكون هناك حاجة إلى بعثة مبعوث عظيم من أجلها. ولكنني أرى أن حالة المسلمين قد تردّت كثيرا وتركوا التدبر في القرآن الكريم وساءت حالتهم العملية أيضا. لو كانت حالتهم العملية على ما يرام وتأملوا في القرآن الكريم ومعانيه لما استنبطوا مثل هذه المعاني قط. وقد استنبطوا من عندهم معانيَ على هذا المنوال؛ وإلا فإن كلمة "التوفي" لم تكن غريبة أو جديدة بل تقول جميع القواميس العربية أيا كان مؤلفها بأن معناها هو الموت. فلماذا إذًا اخترعوا من عند أنفسهم معنى الرفع إلى السماء بالجسد؟ لو استنتجوا منها المعنى نفسه بحق النبي ﷺ لما تأسفنا لأن الكلمة نفسها قد وردت في القرآن الكريم بحقه أيضا، كما يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾[1].

قولوا الآن، إذا كانت هذه الكلمة تعني الرفع إلى السماء مع الجسد أليس من حقنا أن نستنبط المعنى نفسه بحق النبي ﷺ أيضا؟ ما السبب في أنه إذا استُخدمت هذه الكلمة بحق نبي هو أدنى درجة من النبي ﷺ بآلاف المرات

---

[1] يونس: ٤٧

يخترعون لها معنى من عند أنفسهم ويرفعونه إلى السماء وعندما تُستخدم الكلمة نفسها بحق سيد الأولين والآخرين لا يستنبطون منها معنى سوى الموت؟ مع أن النبي ﷺ نبي حيّ وحياته ثابتة بأسلوب لا تثبت به حياة غيره قط. لذا نقول بكل تحد وقوة بأنه إذا كان هناك نبي حيّ فهو نبينا الأكرم ﷺ فقط. لقد ألّف كثير من المرموقين كتبا عن "حياة النبي" وعندنا أدلة دامغة على حياته ﷺ لا يستطيع أحد مواجهتها.

من جملتها أن النبي الحي هو ذلك الذي فيوضه وبركاته جارية إلى الأبد. ونرى أن الله تعالى لم يضيّع المسلمين قط منذ زمنه ﷺ إلى يومنا هذا. فقد بعث على رأس كل قرن رجلا أنجز مهمة الإصلاح بحسب مقتضى العصر حتى بعثني على رأس القرن الحالي لأُثبت حياة النبي ﷺ. وثابت من القرآن الكريم أن الله حافظ على دينه ﷺ دائما وسيحافظ في المستقبل أيضا كما يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. إن عبارة: "إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" تدل بجلاء على أنه سيأتي على رأس كل قرن دائما رجال ليستعيدوا المتاع المفقود ويذكّروا به الناس.

من المعلوم من حيث المبدأ أنه عندما ينصرم قرن ينقرض الجيل السابق أيضا ويموت العلماء وحفاظ القرآن وأولياء الله والأبدال الذين كانوا في ذلك الجيل. وبذلك تمس الحاجة إلى أن يولَد لإحياء الملة رجل آخر لأنه لو لم يؤسس الله تعالى نظاما جديدا في القرن الجديد لإبقاء الإسلام خضِرا نضرا لمات هذا الدين، لذا يبعث الله على رأس كل قرن رجلا ينقذ الإسلام من الهلاك ويهبه حياة جديدة وينقذ العالم من الأخطاء والبدعات وأصناف الغفلة والكسل التي تنشأ فيهم.

إن هذه الخصوصية توجد في النبي ﷺ وحده، وتشكّل على حياته دليلا قويا لا يمكن لأحد مواجهته. وكذلك إن سلسلة بركاته وفيوضه أيضا ليست

[1] الحجر: ١٠

مقطوعة ولا ممنوعة. وتستفيد الأمة من بركاته هو في كل زمان، وتتعلم منه وتحب الله تعالى كما يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[1]. إذًا، فالمعلوم أن حب الله تعالى ﷻ لا يترك هذه الأمة محرومة في أيّ قرن. وهذا الأمر وحده يشكّل برهانا ساطعا على حياة النبي ﷺ. ومقابل ذلك لا تثبت حياة عيسى عليه السلام. وقد حدثت في حياته فتنة لم تحدث في حياة أيّ نبي آخر لذلك سأله اللهُ تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ﴾[2]. والجماعة التي أعدّها عيسى كانت ضعيفة وغير جديرة بالثقة، وهذا ما يعترف به المسيحيون أيضا.

وثابت من الإنجيل أن التلاميذ الـــ ١٢ الذين كانوا نموذجا لقوته القدسية وتأثيره بوجه خاص كان أحدهم يُدعى يهوذا الإسخريوطي الذي باع سيده ومرشده مقابل ثلاثين دينارا. أما الآخر الذي يحتل مقام الصدارة بين الجميع وكان يُسمَّى تلميذا رشيدا وكانت في يده مفاتيح الجنة فقد لعنه أمامه ثلاث مرات. فإذا كان هذا هو تأثير المسيح وفيضه في حياته فيمكنكم أن تقدروا ماذا عسى أن يكون قد بقي منه الآن بعد مرور ١٩٠٠ عام؟ أما الجماعة التي أعدها النبي ﷺ مقابلهم فكانت مخلصة ووفية بحيث ضحُّوا من أجله بنفوسهم وأرواحهم، وهجروا أوطانهم وأعزاءهم وأقاربهم، ولم يبالوا بأي شيء مقابله ﷺ. ما أعظم هذا التأثير وما أقواه! وقد اعترف به المعاندون أيضا، ولم تنقطع سلسلته إلى الآن بل لا تزال جارية. وذلك التأثير وتلك البركات لا تزال موجودة في تعليم القرآن الكريم.

هناك مثال آخر جدير بالذكر عن التأثير وهو أنه لا يمكن العثور على الإنجيل قط. والمسيحيون أنفسهم يواجهون صعوبات في العثور على الإنجيل الحقيقي، وبأية لغة كان وأين هو؟ بينما حظي القرآن الكريم بالحماية دائما، ولا يمكن أن

---

[1] آل عمران: ٣٢

[2] المائدة: ١١٨

يتحرَّف فيه حرف ولا نقطة عن مكانها. وقد حظي القرآن بحماية دائمة بحيث يوجد آلاف بل مئات الآلاف من حفاظه في كل بلد وكل قوم وهم متفقون عليه، فيحفظون القرآن الكريم ويُسمعونه دائما. قولوا الآن، أليست هذه من بركات النبي ﷺ؟ أَوَليست هذه البركات بركات حية؟ وهل تثبت بها حياته ﷺ أم لا؟

باختصار، إن حياته ﷺ ثابتة من مبدأ حماية القرآن الكريم ومن منطلق حديث بعثة المجدد على رأس كل قرن لتجديد الدين وكذلك من خلال بركاته وتأثيراته الجارية إلى الآن. الجدير بالإمعان هنا هو ماذا أفادت عقيدة حياة عيسى عليه السلام العالَمَ؟ هل حدث الإصلاح الأخلاقي والعملي أم نشأ الفساد؟ كلما أمعنتم النظر في هذا الموضوع تراءت لكم مثالب هذه العقيدة أكثر فأكثر.

الحق والحق أقول بأن الإسلام تضرر بهذا الاعتقاد كثيرا حتى تنصّر نحو أربع مائة مليون مسلم وتركوا الإله الحق واتخذوا الإنسان الضعيف إلها. أما ما نفعت به المسيحيةُ العالَمَ فهو واضح تمام الوضوح. لقد اعترف المسيحيون بأنفسهم أن هناك مساوئ كثيرة انتشرت في العالم بسبب المسيحية لأن الذي يعلَّم أن ذنوبه قد وُضعت في ميزان غيره يتشجع على الذنوب أكثر من ذي قبل. والمعلوم أن الذنب سمٌّ زعاف للإنسان قد نشرته المسيحية. وفي هذه الحالة يزداد ضرر هذا المعتقد أكثر من ذي قبل.

لا أقول بأن الناس في العصر الراهن وحدهم مسؤولون عن الاعتقاد بحياة المسيح. كلا، بل أخطأ بعض من القدامى أيضا في هذا الصدد ولكنهم مع هذا الخطأ نالوا ثوابا لأنه قد ورد عن المجتهد: "قد يخطئ ويصيب"، ويثاب في كلتا الحالتين. الحق أن المشيئة الإلهية اقتضت أن تبقى هذه القضية خافية، فظلوا في غفلة منها وبقيت الحقيقة خافية عليهم مثل أصحاب الكهف، كما تلقيتُ إلهاما: **"أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا"**. كذلك إن قضية حياة المسيح أيضا سرٌّ عجيب. مع أن الله تعالى يبين وفاة المسيح بكل صراحة، ويثبت الأمر نفسه من الأحاديث، والآية التي قُرئت عند

وفاة النبي ﷺ كاستدلال أيضا تُثبت الأمر نفسه، ولكن الله تعالى قد أخفاه مع كونه مكشوفا إلى هذا الحد وأبقاه خافيا للموعود المقبل، فحين جاء هذا الموعود أماط اللثام عن هذا السر.

إنها لحكمةُ الله أنه يخفي سرًّا حين يشاء ويظهره حين يشاء. كذلك فقد أخفى هذا السر أيضا إلى أجله المسمّى. أما الآن، حين جاء الموعود الذي كان مفتاح هذا السر بيده فكشفه للعيان. وإذا كان أحد لا يريد أن يقبل الآن ويتعنّت فكأنه يحارب الله.

إذاً، فإن مسألة وفاة المسيح قد اتخذت الآن منحى بحيث لم يعد فيها خفاء قط بل صارت واضحة من جميع الجوانب والنواحي. إن وفاة المسيح ثابتة من القرآن الكريم، كما تؤكد على وفاته الأحاديثُ. كما أن حادث معراج النبي ﷺ صدّق موته عليه السلام، وشهد النبي ﷺ شهادة عيان لأنه رأى ليلة المعراج عيسى مع يحيى عليهما السلام. ثم الآية: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾[1] تمنع صعوده إلى السماء حيا لأنه حين طلب الكفار منه ﷺ معجزة الصعود إلى السماء ردّ الله تعالى عليهم قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾ أي سبحان ربي أن يخلف الميعاد بعد أن قدَّر للإنسان مرة أن يولَد في هذه الدنيا ويموت فيها كما يقول: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾[2]. أما أنا فبشر وترافقني مقتضيات البشرية التي لا يمكن أن تصعد إلى السماء. والحق أن هذا ما قصده الكفار من هذا السؤال لأنهم كانوا قد سمعوا من قبل بأن الإنسان يحيا ويموت في هذه الدنيا؛ فحين وجدوا فرصة مواتية طرحوا هذا السؤال. وقد رُدّ عليهم بما أدّى إلى أن خابت آمالهم ومكايدهم. فالقضية مفروغ منها أن المسيح عليه السلام قد مات. غير أنها آية معجزة أن الله تعالى ترك هؤلاء الناس في غفلة وجعل المتيقظين سكارى.

---

[1] الإسراء: ٩٤

[2] الأعراف: ٢٦

واعلموا أيضا أن الذين لم يجدوا هذا العصر هم معذورون، ولم تتم الحجة عليهم. وما فهموه حينها بناء على اجتهادهم ينالون عليه أجرا وثوابا عند الله. ولكن لم يعد الوقت الآن كما كان بل رفع الله الآن ذلك الحجاب وأظهر السر المخفي. وترون الأضرار الفادحة والمخيفة لهذه القضية أن الإسلام اليوم في ضعف وانحطاط، وقد حملت المسيحية سلاح حياة المسيح نفسه للهجوم على الإسلام، وبسببه أصبحت ذرية المسلمين صيدا لها. أقول صدقا وحقا بأنهم يغوون الناس بسرد مثل هذه المسائل لهم. ويردّون الناس عن الإسلام في المدارس والكليات بسردهم تلك الخواص التي يخترعها لهم المسلمون نتيجة جهلهم. أما الآن فقد أراد الله تعالى تنبيه المسلمين[1].

فقد أراد الآن أن ينتبه المسلمون لأن التأكيد على وفاة المسيح هام جدا لتقدم الإسلام، وألا يعتقد الناس أن المسيح صعد إلى السماء حيا. ولكنني أقول بأسف شديد بأن معارضيَّ لا يفقهون هذا السر لشقاوتهم ويصرخون ويشغبون عبثا. ليت هؤلاء الحمقى يدركون أننا لو ركّزنا جميعا على وفاة المسيح فلن تقوم للدين المسيحي قائمة. أقول على بصيرة بأن حياة الإسلام تكمن في هذا **الموت**. اسألوا المسيحيين أنفسهم ما الذي يبقى من دينهم إذا ثبت أن المسيح ليس حيا بل هو ميّتٌ؟ إنهم يقولون بأنفسهم بأن هذه هي المسألة الوحيدة التي تستأصل شأفة دينهم. ولكن المسلمين باعتقادهم بحياة المسيح يقوّونهم ويضرون الإسلام. ينطبق عليهم مثل *فارسي يقول*: يجلس على غصن شجرة ويقطع جذعها.

السلاح الذي كان في أيدي المسيحيين ضد الإسلام قد حمله المسلمون[2] وأطلقوه لقلة فهمهم وضعف عقلهم، الأمر الذي ألحق بالإسلام ضررا إلى هذا

---

[1] جريدة "الحَكَم" مجلد ١٠ رقم ٦ العدد: ١٩٠٦/٢/١٧م صفحة ٢، ٣

[2] **حاشية**: جاء في جريدة "بدر": "من الغريب أن المسيحيين يستخدمون هذا السلاح لقطع أعناق المسلمين، والمسلمون ينهضون لنصرتهم لتُقطع رقابهم". (جريدة "بدر" مجلد ٢، رقم ٤، العدد: ١٩٠٦/١/٢٦م صفحة ٣)

الحد. ولكن من دواعي السرور أن الله تعالى نبّههم عليه في وقت مناسب وأعطاهم لكسر الصليب سلاحا لا نظير له، وأسس هذه الجماعة لتأييده واستعماله. فالقدر الذي أضعف به سلاحُ موت المسيح الدينَ الصليبيَّ بفضل الله وتأييده وحدَّ من سرعته لم يعد خافيا الآن. يفهم المسيحيون ومؤيدوهم جيدا أنه إذا كانت هناك فرقة أو جماعة تقدر على القضاء عليهم فهي هذه الجماعة دون غيرها. لذلك إنهم يستعدون لمواجهة صاحب أي دين ولكن لا يتصدون لهذه الجماعة. عندما دعونا الأسقف للمبارزة وأثارتْه أيضا على ذلك بعضُ الجرائد الإنجليزية كثيرا لكنه مع ذلك لم يبرز في الميدان. والسبب في ذلك أننا أُعطينا لاستئصال المسيحية أسلحةً ما أُعطِيها غيرنا. والسلاح الأول من ضمنها هو موت المسيح نفسه. الموت ليس هو المطلوب بحد ذاته، بل إنما نركز عليه لأنه كان سلاح المسيحيين الذي كان يضر الإسلام. فأراد الله تعالى أن يصلح هذا الخطأ، وقد أُصلح بكل قوة وشدة.

إضافة إلى ذلك الهدف الحقيقي هناك إزالة الأخطاء والبدعات أيضا التي تطرقت إلى الإسلام. من قلة التدبر القولُ أنه لا فرق بين هذه الجماعة والمسلمين الآخرين. فإن لم تتغير معتقدات المسلمين المعاصرين وكان كلا الفريقين مثل بعضهما؛ فهل أسس الله هذه الجماعة عبثا؟! إن هذا التفكير يمثّل إساءة كبيرة لهذه الجماعة وتجاسرا ووقاحة بحق الله. لقد أوضح الله تعالى مرارا وتكرارا أن ظلمة حالكة سادت العالم عمليا وعقديا أيضا. والتوحيد الذي جاء لإقامته عدد كبير من الأنبياء والرسل إلى الدنيا وسعوا واجتهدوا من أجله بكل ما في وسعهم قد غطّته اليوم غشاوة سوداء وتورط الناس في أنواع الشرك. لقد قال النبي ﷺ بألا تحبوا الدنيا، ولكن حب الدنيا قد استولى اليوم على كل قلب، وترى كل شخص غارقا في حبها. وإذا طُلب منهم أن يحركوا ساكنا في سبيل الدين يترددون كثيرا ويقدمون ألف عذر ومبرر. يُعتبَر كل نوع من السيئات والأعمال الشنيعة مسموح به ويُركَّز على أصناف المنهيات علنا، وقد صار الدين كيتيم وبلا حيلة. فلو لم يؤيَّد الإسلام ولم يُنصَر في هذا الوقت الحرج

فأيّ وقت يُنتظَر لنصرته؟! لم يبق الآن من الإسلام إلا اسمه. ولو لم يُحفَظ الدين في هذا الوقت أيضا فأي شك كان في انقراضه؟!

الحق والحق أقول إنه من قلة الفهم فقط أنْ يقال: ما الفرق بيننا وبين المسلمين الآخرين؟ لو اقتصر الأمر على شيء واحد فقط لما كانت هناك حاجة إلى تحمل هذا القدر من العناء، ولم تكن هناك حاجة إلى إنشاء جماعة. أعلم جيدا أن الله تعالى قد بيّن مرارا وتكرارا أنه قد سادت ظلمة شديدة الحلكة بحيث لا يُرى شيءٌ. التوحيد الذي كنا نفتخر به وكان الإسلام يعتز به بقي على الألسن فقط، وقد تضاءل كثيرا عدد الذين يعتقدون بالتوحيد عمليا وعقديا. لقد قال النبي ﷺ بألا تحبوا الدنيا ولكنك ترى كل قلب غارقا فيها وصار الإسلام كغريب ويتيم. وقال النبي ﷺ بصراحة تامة: "حب الدنيا رأس كل خطيئة". ما أطهره من كلام وما أصدقه! ولكن انظروا اليوم ترون كل شخص واقعا في هذه الخطيئة. لقد أدرك معارضونا من الآريين والمسيحيين حقيقة دينهم جيدا ومع ذلك يريدون أن يتمسكوا به. يعلم المسيحيون جيدا أن أصول دينهم وفروعه ليست على ما يرام وأن تأليه إنسان ليس بفعل سليم. لقد تطورت الفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها في هذا العصر، وأدرك الناس جيدا أن المسيح لم يكن إلا إنسانا ضعيفا وعاجزا ولم يملك أية قدرة اقتدارية. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يدرس المرء هذه العلوم ويجرب بنفسه ويطلع على نقاط ضعف المسيح وعجزه ومع ذلك يعتقد بأنه إله. كلا، هذا لا يمكن.

لقد بدأ الشرك من امرأة أي من حوّاء التي عملت بأمر الشيطان معرضة عن أمر الله تعالى. والنساء هنّ مؤيدات لهذا الشرك العظيم أيضا أي المسيحية. الحق أن المسيحية دينٌ تدفعه فطرة الإنسان من بعيد ولا يمكن أن تقبله بحال من الأحوال. لولا الانهماك في المادية لأسلمت فئة كبيرة من المسيحيين إلى يومنا هذا. لقد كان بعض الناس مسلمين سرا بين المسيحيين وكتموا إسلامهم ولكن أوصوا عند الاحتضار وأعلنوا إسلامهم. كان هؤلاء يحتلون مناصب مرموقة. وقد كتموا إسلامهم في حياتهم لحب الدنيا ولكن اضطروا إلى إعلانه في نهاية

المطاف. أرى أن الإسلام قد وجد طريقه إلى تلك القلوب ويتقدم باستمرار ولكن حب الدنيا قد حجب الناس جميعا.

فلباب الكلام أن حب الدنيا هو الذي أدّى إلى فُرقة المسلمين الداخلية، لأنهم لو آثروا رضا الله فقط لأدركوا بكل سهولة أن مبادئ جماعة كذا وكذا أكثر جلاء ولقبلوها واتَّحدُوا. أما الآن، حين يطل هذا الفساد برأسه بسبب حب الدنيا فكيف يمكن عدُّ أناس مثلهم مسلمين وهم لا يتأسون بأسوة النبي ﷺ؟ لقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [1]. أما الآن فقد قُدِّم حبّ الدنيا على حبّ الله واتّباع الرسول ﷺ. هل هذا هو اتباع النبي ﷺ؟! هل كان النبي ﷺ شخصا ماديا؟! هل كان يأكل الربا؟! أو كان يتهاون في أداء الفرائض أو العمل بأوامر الله تعالى؟! هل كان فيه ﷺ شيء من النفاق أو المداهنة والعياذ بالله؟! هل كان يؤثر الدنيا على الدين؟! فكّروا وتأملوا.

المراد من الاتّباع هو أن تتأسّوا بأسوته ﷺ، ثم انظروا كيف يُنعم الله تعالى عليكم بكثرة. لقد تأسى الصحابة بتلك الأسوة، فانظروا أين كانوا وإلى أين أوصلهم الله تعالى! لقد نبذوا الدنيا وراء ظهورهم كليًّا وتخلّوا عن حبها تماما، وقضوا على أمانيهم. والآن لكم أن تقارنوا حالتكم مع حالتهم، وانظروا هل تحذون حذوهم؟ الأسف كل الأسف أن الناس في هذا العصر لا يفقهون ماذا يريد الله منهم. لقد خلّفت " رأس كل خطيئة" أولادا كثيرين؛ فمثلا إذا حضر أحد المحكمة لا يخجل قط من الإدلاء بشهادة زور مقابل بضعة مليمات. هل للمحامين أن يقولوا حالفين بأنهم يقدمون الشهود الصادقين كلهم؟ لقد تدهورت اليوم حالة الدنيا كثيرا، حيثما تنظرون تجدون شهودا كاذبين يُدلون بشهادات كاذبة. إن رفع القضايا الزائفة أمر سهل وبسيط! ولا يتورعون عن تلفيق الوثائق. كلما قالوا عن أمر شيئا تحاشوا صدق المقال. فليسأل أحدٌ أولئك الذين لا يدركون حاجةً إلى هذه الجماعة، هل هذا كان الدين الذي جاء به

[1] آل عمران: ٣٢

النبي ﷺ؟ لقد سمّى الله تعالى الكذبَ رجسًا وأكد على اجتنابه فقال: ﴿اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[1] أي عدّ الكذب مثل عبادة الأوثان. فكما يُخضِع شخص غبي رأسه أمام حجر تاركا عبادة الله كذلك يتخذ الكذب وثنا لتحقيق مرامه تاركا الصدق والحق. لذلك اعتبر الله تعالى الكذبَ مثل عبادة الأوثان وذكر العلاقة بينهما. فكما يتحرى عابد الأوثان النجاة عند الوثن كذلك يتخذ الكاذب أيضا وثنا من عنده ويظن أنه سينال النجاة بواسطته. كم تردّت الحالة! بحيث إذا قيل لهم: لماذا تعبدون هذا الوثن؟ اتركُوا هذه النجاسة، قالوا: كيف نتركه، إذ لا تقوم لنا بدونه قائمة. أيّ شقاوة أكبر إذ يحسبون الكذب مدار حياهم؟! ولكني أقول وأؤكد لكم أن الصدق هو الذي ينتصر في نهاية المطاف، وفيه الخير والفتح.

أَذكر أنني أرسلت ذات مرة مقالا إلى أمرتسر وأرفقت به رسالة أيضا إلى جريدة اسمها "وكيل هند" يصدرها "رليا رام". فاعتبر إرسالي الرسالة بهذه الطريقة منافيا لقانون البريد ورفعوا ضدي قضية في المحكمة. قال لي المحامون بأنه لا سبيل للخلاص سوى إنكار إرسال الرسالة، كأنه لا خلاص بغير الكذب. ولكنني ما أحببت ذلك بل قلتُ: إذا عوقبت نتيجة قول الصدق فليكن ولكني لن أكذب. رُفعت القضية إلى المحكمة أخيرا وحضر مسؤول مكاتب البريد كمدّعٍ. وعندما سئلتُ عن الرسالة قلتُ بكل صراحة بأن الرسالة رسالتي ولكني أرفقتها مع الطرد حاسبا إياها جزءا من المقال. ففهم القاضي الأمر ووهبه الله تعالى البصيرة. لقد أصرّ مسؤول مكاتب البريد على الموضوع كثيرا ولكن القاضي لم يسمع له وسمح لي بالانصراف[2]. أنّى لي أن أقبل أنه لا سبيل ولا تجري الأمور

---

[1] الحج: ٣١

[2] لقد ذُكر هذا الحادث في حاشية جريدة "بدر" بتفصيل أكثر وهو كما يلي:

لقد مضى ٢٧ أو ٢٨ عاما تقريبا أو أكثر بقليل على إرسالي مقالا للطباعة في تأييد الإسلام ولمواجهة الآريين إلى مطبعة شخص مسيحي اسمه "رليا رام"، وكان محاميا أيضا يسكن في "أمرتسر" وكان يُصدر جريدة أيضا، فأرسلتُ المقال للطبع في طرد مفتوح

الجانبين ووضعت فيها رسالة أيضا. ولما كانت الرسالة تحتوي على كلمات تؤيد الإسلام وتشير إلى بطلان أديان أخرى بالإضافة إلى التأكيد على طباعة المقال، استشاط ذلك المسيحي غضبا بسبب الاختلاف في الدين ووجد فرصة مواتية للهجوم كالأعداء، وهي أن وضع الرسالة المنفصلة ضمن الطرد البريدي كان جريمة من حيث القانون ولكني لم أعرف ذلك. وعقوبة جريمة مثلها بحسب قوانين البريد هي غرامة قدرها خمس مائة روبية أو السجن إلى ستة أشهر. فأخبر هذا المسيحي المسؤولين في دائرة البريد كالواشين ورفع قضية عليّ. ولكن قبل أن أعرف عن القضية شيئا كشف الله تعالى عليّ في الرؤيا بأن المحامي "رليا رام" أرسل إليّ حية لتلدغني، ولكني قليتُها كما يُقلى السمك وأعدتُها إليه. وأَعلمُ أنه كانت في ذلك إشارة إلى أن الأسلوب الذي حكمت به المحكمة في القضية في نهاية المطاف هو مثال يمكن أن يفيد المحامين.

على أية حال، طُلب مني المثول في مركز محافظة غورداسبور، وقال جميع المحامين الذين شاورتُهم في الموضوع بأنه لا منجى دون الكذب. واقترحوا بأن أفيد بأني لم أضع الرسالة في الطرد بل يمكن أن يكون رليا رام قد وضعها فيه، وطمأنوني أنه بهذه الإفادة سوف يُبتّ في الأمر بناء على الشهادة وسوف تُبرّأ ساحتك بتقديم بعض الشهود الكاذبين، وإلا فإن وضع القضية صعب جدا ولا سبيل للخلاص إلا كذب المقال. فقلت للجميع بأني لا أريد أن أترك الصدق بحال من الأحوال، وليحدث ما يحدث. ثم مثلتُ في محكمةِ حاكمٍ إنجليزي في اليوم نفسه أو في اليوم التالي، كذلك مثُل مقابلي مسؤول كبير في دائرة البريد كمدّع حكومي وكتب القاضي إفادتي بيده. وأول ما سألني كان: هل وضعت أنت تلك الرسالة في طردك؟ وهل هذه الرسالة وهذا الطرد منك؟ قلتُ دون أدنى توقف: نعم، هذه رسالتي وطردي أنا، وأنا الذي وضعت الرسالة في الطرد وأرسلتهما. ولكني لم أفعل ذلك بسوء النية لإلحاق خسارة بضريبة الحكومة بل لم أر مضمون الرسالة مختلفا عن مضمون المقال إذ لم يكن فيها أمر شخصي. فبسماع هذا الكلام أمال الله تعالى قلب الحاكم الإنجليزي لصالحي. وقد صرخ ضدي المسؤول في دائرة البريد كثيرا وأثار ضجة كبيرة وألقى خطابات طويلا بالإنجليزية لم أفهم منها شيئا إلا أن الحاكم الإنجليزي ظل يرفض كلامه بعد كل خطاب قائلا بالإنجليزية: No, No. وحين أخرج المدّعي كل ما كان في جعبته وجُلّ أدلته توجه الحاكم إلى كتابة الحكم ولم يكتب إلا سطرا أو سطرا ونصف

على ما يرام دون الكذب؟! الكلام من هذا القبيل خرافات بحتة. الحق أنه لا مندوحة عن الصدق. كلما أذكر هذا الحادث أتلذذ به إذ اخترتُ كنف الله فحماني حماية صارت آية. ﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1].

اعلموا يقينا بأنه لا شيء نحسٌ مثل الكذب. يقول الناس الماديون عادة بأن الصادقين يُسجَنون. ولكن كيف أقبل ذلك؟ إذ قد رُفعت عليّ سبع قضايا ولم أضطر إلى كتابة كلمة واحدة كاذبة بفضل الله تعالى. وليخبِرني أحد هل جعلني الله أتعرض لهزيمة في واحدة منها؟ إن الله تعالى يؤيد الصادق وينصره من عنده. هل يمكن أن يعاقب ﷻ صادقا؟ لو حدث ذلك لما تشجع أحد في العالم على قول الصدق، ولارتفع الإيمان بالله ولمات الصادقون وهم أحياء.

الحق أن بعض الناس عندما يعاقَبون عند صدق المقال لا يكون سببه عائدا إلى قولهم الصدق بل يكون ناتجا عن بعض سيئاتهم الأخرى الخفية أو عن كذب آخر لأن الله تعالى يعلم سلسلة سيئاتهم وشرورهم، أي تكون لهم أخطاء أخرى كثيرة فيعاقَبون على خطأ منها.

إن معلّمي السيد گل علي شاه كان من سكان بطاله، وكان يعلّم "برتاب سنغ، ابن شير سنغ" أيضا. فذكر مرة أن شير سنغ ضرب طباخه ذات مرة بشدة لمجرد كثرة الملح أو الفلفل في الطعام، ولما كان المعلم رجلا بسيطا فقال له بأنك ارتكبت اليوم ظلما عظيما. قال "شير سنغ": المعلِّم لا يعلم أنه قد سبق لهذا الشخص أن هضم مائة خروف لي. كذلك فإن سيئات المرء تكون مكدّسة

بالكاد حتى قال لي: حسنا، تستطيع أن تنصرف. عندها خرجتُ من المحكمة وشكرتُ الله تعالى المحسن الحقيقي الذي أكرمني بالفتح مقابل المسؤول الإنجليزي.

وإنني أعلم يقينا أن الله تعالى نجّاني من ذلك البلاء ببركة الصدق فقط. وكنت قد رأيت في الرؤيا من قبل بأن شخصا حرّك يده لإزالة قبَّعتي. فقلتُ له: ما الذي أنت فاعلُه؟ عندها ترك القبعة على رأسي وقال، لا بأس، لا بأس. (جريدة "بدر" مجلد٢، رقم ٥، صفحة ٣، عدد: ١٩٠٦/٢/٢م)

[1] الطلاق: ٤

مسبقا فيُبطَش به بمناسبة أخرى ويعاقَب[1]. والذي يختار الصدق لا يمكن أن يهان ويُخزَى قط لأنه يكون في حماية الله، ولا حصن حصينٌ مثل حماية الله. ولكن العمل الناقص لا ينفع. هل لأحد أن يقول بأن شرب قطرة ماء واحدة يكفي عند شدة العطش؟! أو يمكن أن يشبع أحد بأكل حبة أو لقمة واحدة عند شدة الجوع؟ كلا، لن يشبع قط ما لم يأكل أو يشرب ما فيه الكفاية. كذلك ما لم تبلغ الأعمال كمالها لا تؤتي ثمارا ولا تسفر عن نتائج مطلوبة. الأعمال الناقصة لا ترضي الله تعالى ولا تكون مباركة. لقد وعد الله تعالى أن تكسبوا الأعمال بحسب مرضاتي، عندها سوف أبارك فيها.

زبدة الكلام أن الناس الماديين ينسجون من عند أنفسهم أفكارا أنه لا مندوحة لنا من الكذب والزيف. يقول أحدهم مثلا: صدق فلان في القضية فسُجن لأربعة أعوام. ولكني أكرر وأقول: هذه الأمور كلها مبنية على الأوهام وتنشأ نتيجة عدم المعرفة. "حاوِل أن تبلغ من الكمال ذروته لتكون محببا عند الناس جميعا."

فهذه كلها نتائج النقص، أما الكمال فلا يؤتي ثمارا مثلها. إذا رتق أحد فتقا واحداً في عباءته الغليظة التقليدية فلن يصبح خياطا ولن يستلزم ذلك أنه قادر على خياطة لباس الحرير الفاخر أيضا بإتقان. ولو أُعطي مثل هذه الأقمشة للخياطة لكانت النتيجة أنه سيُفسدها كليا. إذًا، فالحسنة المختلطة بالأوساخ لا تنفع ولا أهمية لها عند الله تعالى، ولكن الناس يعتزون بها ويريدون النجاة بواسطتها. إن الله تعالى لا يضيع أدنى حسنة وإن كانت مثقال ذرة إن وُجد الإخلاص. لقد قال تعالى بنفسه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2]، فلماذا إذًا لا يحظى المرء بالثمار مع كسْبه الحسنات إلى هذا الحد؟ السبب هو أنه لا

---

[1] ورد في جريدة "بدر": "يرتكب الإنسان سيئة بمناسبة ويؤخذ بسببها في مناسبة أخرى." (جريدة "بدر" مجلد٢، رقم ٦، صفحة ٣ بتاريخ ١٩٠٦/٢/٩م)

[2] الزلزلة: ٨

يوجد فيها إخلاص. الإخلاص شرط في الأعمال كما يقول تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١]. وهذا النوع من الإخلاص يوجد في الأبدال[٢].

فإن أناسا أمثالهم يصبحون أبدالا ولا يبقون على صلة مع هذا العالم. وتكون كل أعمالهم مبنية على الإخلاص واللياقة. أما أهل الدنيا فحالتهم أنهم يبتغون المدح والثناء على الصدقات أيضا. وإذا دفع أحد تبرعا في مشروع حسن توقّع من ذلك أن يُحمَد في الجرائد وأن يثني عليه الناس. فما علاقة مثل هذه الحسنة بالله تعالى؟ هناك كثير من الناس الذين يوزعون عند زواجهم الطعام على القرية كلها ولكن ليس لله بل للرياء وكسب المديح. ولو لم يكن فيه رياء وكان فعلهم هذا لمجرد الشفقة على خلق الله وخالصة لله، لصاروا أولياء الله. ولكن عندما لا تكون له علاقة مع الله فلا ينشأ فيه تأثير طيب ومبارك.

اعلموا جيدا أنه من كان لله كان اللهُ له، ولا يمكن لأحد أن يخدع اللهَ تعالى. إذا كان أحد يفكر أنه يستطيع أن يخدع الله بالرياء والزيف فهذا حمق وغباوة محضة منه، بل هو المخدوع بنفسه. إن زينة الدنيا وحبها أصل السيئات كلها، فيعمى الإنسان فيها ويخرج عن حدود الإنسانية ولا يدري ماذا يفعل وماذا كان يتحتم عليه فعله. ما دام الإنسان الذكي لا ينخدع بحيلة أحد فكيف يمكن أن ينخدع اللهُ إذًا؟ ولكن أصل هذه الأعمال السيئة هو حب الدنيا، فالذنب الأكبر الذي أدّى إلى دمار المسلمين، وتراهم متورطين فيه جميعا، هو حب الدنيا فقط. فهذا هو أكبر همِّهم وغمِّهم، قياما وقعودا ونياما ومستيقظين بل في كل لحظة من الليل والنهار ولا ينتبهون إلى وقت يوضَعون فيه في القبر. لو خافوا اللهَ وكان لديهم أدنى همٍّ وغمٍّ من أجل الدين لاستفادوا كثيرا. يقول السعدي في بيت فارسي ما معناه: "لو خشي الوزيرُ اللهَ سبحانه وتعالى كما يخشى الملِك لصار مثيل الملاك".

---

[١] البينة: ٦

[٢] جريدة "الحَكَم" مجلد ١٠، العدد: ١٩٠٦/٥/١٧م صفحة: ٤، ٥.

كيف يبدي الموظفون نشاطا ملحوظا في عملهم من أجل وظيفة بسيطة ولكن عندما تحين الصلاة يفتّ في عضدهم بالنظر إلى برودة الماء فقط. لماذا تحدث مثل هذه الأمور؟ لأنه ليست في القلوب عظمة الله. إذا كان في القلوب شيء من عظمته، والتنبّه إلى الموت، واليقينُ، لزال الكسل والغفلة كلها. لذا يجب أن ترسخوا عظمة الله في القلوب وتخافوه دائما. إن بطشه شديد. صحيح أنه يعفو ويصفح ولكن عندما يبطش بأحد يبطش بشدة حتى: ﴿لا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[1]، أي عندها لا يبالي الله تعالى كيف ستكون حالة الذين يعقبونه. وعلى النقيض من ذلك إن الذين يخافون الله ويرسخون عظمته في قلوبهم يُكرمهم الله تعالى ويصير جُنَّة لهم. لقد جاء في الحديث: **"من كان لله كان الله له"**. ولكن من المؤسف حقا أن الذين ينتبهون إلى ذلك أيضا ويريدون أن يأتوا إلى الله يود معظمهم أن تظهر نتائج أعمالهم للعيان فورا. إنهم لا يدرون ما مدى الحاجة إلى الصبر والجلَد والمثابرة في أمور الدين! والأغرب من ذلك أن الدنيا التي يكادون يموتون من أجلها ساعين في سبيلها ليل نهار ينتظرون إلى سنوات طويلة لتتحقق أمور تتعلق بها. كم من الزمن ينتظر الزارع بعد زرعه البذرة؟! ولكن عندما يأتي الأمر إلى الدين يقولون: اجعلونا أولياء الله بنفخة واحدة، ويودّون أن يصلوا إلى العرش في أول يوم، مع أنهم لم يتجشموا في هذا السبيل جهدا و لم يتحملوا عناء و لم يتعرضوا لابتلاء.

تذكّروا جيدا أن هذه ليست سنة الله ولا قانونه، بل التقدم هنا يحدث تدريجيا. والله تعالى لا يفرح بالكلام فقط أن نقول بأننا مسلمون أو مؤمنون. يقول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [2]. إنه لمما ينافي سنة الله أن يُجعل أحدٌ ولي الله بنفخة واحدة. لو جرت سنة الله على هذا المنوال لفعل النبي ﷺ ذلك وجعل أصحابه المضحين من أجله أولياء

[1] الشمس:١٦

[2] العنكبوت: ٣

الله بنفخة واحدة، ولما عرضهم للابتلاء لتُقطع أعناقهم، ولما قال الله تعالى عنهم: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾[١].

فما دام الحصول على الدنيا أيضا مستحيلا بغير تكبّد المشاكل والعناء والجهد، فما أغبى ذلك الذي يحسب الدين شيئا سهل المنال دون عناء! صحيح أن الدين سهل ويُسر، ولكن كل نعمة تتطلب مشقةً، ومع ذلك لم يفرض الإسلام أية مشقة. خذوا الهندوس مثلا، كم يتجشم رهبانهم من المشقة والعناء حتى تضعف ظهور بعضهم! ومنهم من يطيل الأظافر، وكذلك الرهبانيةُ في المسيحية. ولكن الإسلام لم يتبنَّ هذه الأعمال، بل علّم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٢] أيْ من زكّى نفسه فقد نجا، فمن جنَّب نفسه كل نوع من البدعة والفسق والفجور والأهواء النفسانية لوجه الله وترك كافة الملذات النفسانية وآثر المعاناة في سبيل الله فقد نجا. فالذي يؤثر الله تعالى ويترك[٣] الدنيا وتصنُّعها فهو ناجٍ في الحقيقة. ثم يقول تعالى: ﴿قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٤] أي: مَن لوّث نفسه وهوى إلى الأرض فقد خاب. يبدو كأن تعليم الإسلام كله يتلخص في هذه الآية وحدها التي يتبين منها كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى الله تعالى. صحيح ومتحقق تماما أنه لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الله تعالى ما لم يتخلّ عن استخدام قواه البشرية بسوء. إذا كنتم تريدون أن تتخلصوا من أرجاس الدنيا وتلاقوا الله فاتركوا هذه الملذات، وإلا: "تريد الله، وتهوى الدنيا الدنيئة أيضا، هذا محض خيال ومحال وجنون."

---

[١] الأحزاب: ٢٤

[٢] الشمس: ١٠

[٣] **حاشية:** جاء في جريدة "بدر": "من آثر الدين فقد وصل إلى الله. يجب تسوية النفس بالتراب، وتقديم الله على كل شيء. هذا هو ملخص الدين. على الإنسان أن يتخلّى عن كل نوع من السلوك غير السويّ، عندها يصل إلى الله تعالى. (جريدة "بدر" مجلد٢، رقم ٦، صفحة ٣، عدد: ١٩٠٦/٢/٩م)

[٤] الشمس: ١١

السيئة ليست في فطرة الإنسان وليس هناك شيء سيِّئ أصلا، ولكن استعماله الخاطئ يجعله سيئا. خذوا الرياء مثلا، هو أيضا ليس سيئا بحد ذاته. فإذا عمل أحد عملا لوجه الله فقط وليتشجع الآخرون أيضا على تلك الحسنة كان هذا الرياء أيضا حسنة.

الرياء قسمان، أحدهما للدنيا. فمثلا إذا كان أحد يؤمّ الصلاة وفي هذه الأثناء جاء شخص كبير أطال الصلاة من أجله ولإراءته. ففي مثل هذه المناسبات يتأثر بهم بعض الناس كثيرا فيعتز المرائي بذلك كثيرا. فهذا أيضا نوع من الرياء الذي لا يقوم به صاحبه في كل حين وآن بل في وقت ما، كما يأكل المرء طعاما عند الجوع أو يشرب ماء عند العطش فقط. ولكن الذي يؤدي صلاته- على النقيض منه- لوجه الله كما هو حقها فهذا ليس رياء بل هو وسيلة للحصول على رضا الله تعالى. فباختصار، للرياء أيضا محل ومناسبة، ولكن الإنسان حيوان لا ينتبه إلى عيوب لا محل لها. فمثلا يعتبر أحد نفسه ورعًا وتقيًّا جدا، وإذا كان ماشيا وحده في الطريق ورأى صرة من الجواهر الثمينة يخطر بباله: لا بأس، لا يراني أحد. وإذا لم يتهافت عليها في هذه الحالة وأدرك أنها مِلك غيره، والنقود اللقيطة في الطريق هي مِلك أحد على اية حال. فإذا فكّر بهذه الطريقة ولم يتهافت على الصرة ولم يطمع فيها وفكّر أنها من حق غيره، وكذلك تلك النقود أيضا مِلك غيره فهو تقيّ وورع في الحقيقة. وإلا ليس ذلك إلا ادّعاء فحسب وستتبين حقيقته عندئذ وسيتلقف الصرة والنقود.

كذلك الذي يُظَنّ أنه لا يُرائي سيثبت عدم ريائه إذا وجد فرصة مواتية ومع ذلك لم يُراءِ. ولكن كما قلتُ قبل قليل بأن بعض العادات تتحول في بعض المناسبات المعينة إلى حسنة. فمثلا يؤدي المرء صلاته بالجماعة، وهذا أيضا نوع من الرياء. فإذا كان الهدف من ذلك هو إراءة الناس فقط فهو رياء بلا شك، ولكن إذا كان المقصود هو طاعة الله ورسوله فهي نعمة عظيمة. فصلُّوا في المساجد وفي بيوتكم أيضا. كذلك إذا كانت التبرعات تُجمع من أجل الإسلام

في مكان ما، ويرى شخص أن الناس ساكتون صامتون ولا ينتبهون إلى الموضوع فيتبرع قبل غيره ليتشجع الآخرون، فهذا أيضا رياء في الظاهر ولكنه مدعاة للثواب. فيقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾[١]، ومن ناحية ثانية يثبت من الحديث أن شخصا كان يمشي مرحا مختالا في الحرب، فرآه النبي ﷺ وقال: إن الله تعالى لا يحب هذا العمل ولكنه يحبه في هذه المناسبة. إذًا، لو لم تراعِ المحل والمناسبة لكنتَ زنديقا.

فلباب القول بأن خُلقا معينا يجعل الإنسان مؤمنا بمناسبة ويجعله الخلق نفسه كافرا بمناسبة أخرى. لقد قلت من قبل بأنه ليس هناك خُلق سيِئ بحد ذاته بل الاستخدام السيِّئ يجعله كذلك.

لقد ورد عن غيظ عمر ﷺ بأن أحدا سأله عن ذلك وقال بأنك كنت سريع الغضب وشديده قبل الإسلام؟ قال: الغضب مازال الآن كما كان، ولكنه كان يظهر في غير محله سابقا أما الآن فيظهر في محله. إذًا، الإسلام يعلّم استخدام القوى جميعا في محلها المناسب. فلا تحاولوا أن تزول قواكم بل تعلَّموا استعمالها الصحيح. فباطلة أفكارُ ومعتقدات الذين يقولون بأن تعليمنا هو أنه إذا لطمكم أحد على الخدّ فأديروا له الخدّ الآخر. من الممكن أن يكون هذا التعليم مثل قانون خاص بمكان أو زمان في ذلك العصر، ولكن لا يمكن أن يكون للأبد ولا يمكن العمل به على الدوام لأن الإنسان كشجرة متفرّعة الأغصان؛ فلو رُكِّز الاهتمام على غصن واحد لدُمِّرت الأغصان الأخرى وبادتْ. العيب في تعليم المسيحية هذا واضح تمام الوضوح. كيف يمكن نموّ قوى الإنسان وتربيتها بهذا التعليم؟ لو كان العفو هو الأمثل دائما فلماذا أُعطِي الإنسان قوة الانتقام أصلا؟ ثم لماذا لا يُعمل بتعليم العفو هذا؟ ومقابل ذلك إن التعليم الكامل هو ما أعطاه القرآن الكريم، ووصلنا بواسطة النبي الأكرم ﷺ وهو: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٢].

---

[١] لقمان: ١٩
[٢] الشورى: ٤١

يتبين من ذلك بصراحة تامة أن القرآن الكريم لا يريد ألا يتصدى الإنسان للشرّ أبدا وألا ينتقم قط وفي أيّ حال، بل تقتضي مشيئة الله تعالى أن يراعي المرء المحل المناسب دائما ويرى إذا ما كانت المناسبة تقتضي العفو والصفح عن الخطأ أم تتطلب العقوبة. إذا اقتضت الحكمةُ المعاقبةَ فليعاقَب المخطئ بقدر ما يستحقه. وإذا كان العفو هو مقتضى الحال فلينبذ فكرة المعاقبة.

هذه هي المزية التي يتحلّى بها هذا التعليم بأنه يراعي كل الجوانب والنواحي. فإذا تُرك كل شرير ووقح على حاله عملا بتعليم الإنجيل لساد الدنيا فوضى وظلم. لذا عليكم أن تهتموا دائما بهذا الأمر ولا تظنوا أن قواكم كلها ميتة، بل اسعَوا جاهدين أن تُستخدَم في محلها المناسب دائما. أقول على بصيرة بأن هذا التعليم قد صوّر القوى الإنسانية كلها. ولكن الأسف على الذين يسمعون كلام المسيحيين المعسول ويُعجَبون به ويتركون النعمة العظمى أي الإسلام. الصادق لا يكون لطيفا وحُلوًا للآخرين في كل الأحوال بل هو كأمّ لا تطعم طفلها الحلوى دائما بل تعطيه دواء مرًّا أيضا بحسب مقتضى الحال. والحال نفسه ينطبق على المصلح الصادق. وهذا هو التعليم المبارك من كل الجوانب والنواحي. إن الله تعالى صادق. المسيحيون يؤمنون أيضا بإلهنا فيضطرون إلى الإيمان بجميع صفات الله التي نؤمن بها نحن.

يطرح القس "فندر" في كتابه سؤالا: إذا كانت هناك جزيرة لم تبلغها دعوة المسيحية فماذا يمكن أن يُسأل به يوم القيامة القاطنون فيها؟ ثم يجيب عليه بنفسه بأنهم لن يُسألوا هل آمنتم بيسوع وكفارته أم لا؟ بل سيُسألون: هل تؤمنون بإله واحد لا شريك له وذي صفات يبينها الإسلام؟

إن إله الإسلام هو الإله الذي يضطر إلى الإيمان به بطبيعته كل من يسكن في الفلوات أيضا. إن ضمير كل شخص ونور قلبه يشهد له ليؤمن بإله

الإسلام. لقد نسي المسلمون المعاصرون حقيقة الإسلام هذه، والتعليم الحقيقي الذي فصّلتُه. ومهمتي هي إقامة التعليم نفسه مرة أخرى. وهذا هو الهدف العظيم الذي جئت من أجله.

إضافة إلى ما بيّنته آنفا هناك أخطاء علمية وعقدية أخرى أيضا في طور الانتشار في المسلمين، ومهمتي هي إزالتها. فمثلا يعتقد هؤلاء الناس أن عيسى وأمه بريئان من مس الشيطان أما غيرهما جميعا فليسوا كذلك، والعياذ بالله. هذا خطأ صريح بل كفرٌ، وفيه إساءة كبيرة للنبي ﷺ. الذين يخترعون مثل هذه المعتقدات من عند أنفسهم وبذلك يجلبون سمعة سيئة للإسلام ليست فيهم شائبة من الغيرة، وهم بعيدون عن الإسلام كل البُعد. حقيقة القضية هي كالتالي: يثبت من القرآن الكريم أن الولادة نوعان. أحدهما بمس روح القدس والآخر بمس الشيطان. إن أولاد جميع الصلحاء والأتقياء يولَدون بمس روح القدس. أما الأولاد الذين يولَدون نتيجة السيئة فبمس الشيطان. فقد وُلد جميع الأنبياء بمس روح القدس. ولكن لأن اليهود اعترضوا على عيسى عليه السلام وقالوا بأنه ولد زنا، والعياذ بالله، ووُلد نتيجة علاقة مريم غير الشرعية مع جندي اسمه "بندارا" ونتيجة مس الشيطان لذا فقد شهد الله تعالى بحقه ليزيل عنه هذه التهمة الشنيعة وقال بأن ولادته كانت بمس روح القدس. ولكن لما لم يُوجّه اعتراض من هذا القبيل إلى نبينا الأكرم ﷺ والأنبياء الآخرين فلم تكن هناك حاجة إلى بيان هذا الأمر بحقهم.

كان أبوَا سيدنا رسول الله ﷺ- عبد الله وآمنة- يحظيان بالاحترام والإجلال منذ البداية، ولم تخطر مثل هذه الفكرة ببال أحد قط. أما الذي يواجه قضية ما، فتكون هناك حاجة إلى شهادة لبراءته، ولكن الذي لم يواجه قضية فلا حاجة إلى شهادةٍ لإثبات براءته.

كذلك هناك خطأ آخر رائج بين المسلمين وهو عن المعراج. نؤمن بأن النبي ﷺ قد عُرج به. ولكن اعتقاد بعض الناس أن المعراج كان حُلما عاديا فقط ليس صحيحا، كذلك الذين يعتقدون أنه ﷺ صعد إلى السماء بجسده المادي أيضا فهذا الاعتقاد أيضا خاطئ. بل الحقيقة والمعتقد الصائب هو أن المعراج كان كشفا وبوجود نوراني. كان ذلك وجودا ولكنه كان نورانيا، وكانت يقظة ولكن كانت يقظة كشفية ونورانية لا يفقهها الناس من هذه الدنيا إلا الذين طرأت عليهم تلك الحالة. وإلا فقد طلب اليهود معجزة الصعود إلى السماء بالجسد المادي وفي اليقظة الظاهرية فقيل في القرآن الكريم في الجواب: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾[1]. أي أن الناس لا يطيرون إلى السماء هكذا. هذه هي سنة الله الجارية منذ القِدم.

هناك خطأ آخر سائد في معظم المسلمين أنهم يقدّمون الأحاديث على القرآن الكريم، مع أن هذا الاعتقاد خاطئ تماما. القرآن الكريم يحتل مرتبة اليقين أما الحديث فمرتبته ظنية. الحديث ليس قاضيا على القرآن بل القرآن هو القاضي عليه، غير أن الحديث شارح للقرآن الكريم فيجب أن ننـــزّله منـــزله اللائق. الإيمان بالحديث ضروري ولكن إذا لم يعارض القرآن الكريم بل وافقه. وإذا عارض القرآن فهو ليس حديثا بل هو قول مردود. ولكن الحديث ضروري لفهم القرآن الكريم. إن أوامر الله تعالى التي نزلت في القرآن الكريم وضّحها النبي ﷺ بعمله، وأمر العمل بها وأسس بصددها قدوة. لولا هذه القدوة لما فُهم الإسلام. ولكن مع ذلك كله فإن الأصل هو القرآن الكريم. إن بعض أهل الكشف يسمعون من النبي ﷺ مباشرة أحاديث لا يعلمها الآخرون أو يأخذون منه ﷺ تصديق الأحاديث المتداولة.

---

[1] الإسراء: ٩٤

باختصار، هناك أمور كثيرة من هذا القبيل التي توجد في هؤلاء الناس تُسخِط اللهَ تعالى وهي تعارض الإسلام تماما. لذا فالله تعالى لا يراهم مسلمين الآن ما لم يعودوا إلى الصراط المستقيم متخلّين عن المعتقدات الخاطئة. ولهذا الغرض بعثني الله تعالى لأزيل كل هذه الأخطاء وأقيم الإسلام الحقيقي في الدنيا من جديد.

هذا هو الفرق بيننا وبين هؤلاء الناس. لم تعد حالتهم ثابتة على الإسلام الحقيقي بل أصبحوا مثل حديقة خربة لا جدوى منها. قلوبهم نجسة، فيريد الله تعالى أن يُنشئ قوما جديدا يكون نموذج الإسلام الحقيقي بسلوكه مسلك الصدق والحق[١]. انتهى.

(جريدة "الحَكَم" ١٧فبراير- ١٧أيار/مايو و١٧يونيو/حزيران ١٩٠٦م)

[١] (جريدة "الحَكَم" مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد: ١٧/٦/ ١٩٠٦م صفحة ٣، ٤)